لو جاء الغد

IF TOMORROW COMES

بقلم

سيدني شيلدون

ترجمة

محمود مسعود

دار الهلال

مجلة الابتسامة

مقـــدمة

بقلم سيدنى شيلدون
ترجمة محمود مسعود

يعتبر الروائى الامريكى الكبير سيدنى شيلدون أقدر واشهر مؤلفى روايات الخفايا والجنائيات فى العصر الحديث ، حتى لقد لقب بأستاذ الرواية الجنائية غير منازع وصارت مؤلفاته أروج الروايات واكثرها مبيعا وذيوعا ، وترجم اكثرها الى أكثر من ثلاثين من أمهات اللغات العالمية . وفى هذه الرواية يقدم لنا المؤلف أذكى واجرأ بطلاته واقدرهن على تدبير المكائد ورسم الخطط المذهلة .. فتاة توافر لها جمال أخاذ وذكاء خارق واعصاب فولاذية مما يندر أن يجتمع فى اهاب فتاة واحدة . وبهـذا السلاح تواجه ملوك الجريمة المنظمة من عتاة « المافيا » الذين استحكموا فى معاقلهم وبسطوا سلطانهم الباطش الرهيب على مدن بأسرها فى تحد سافر للقانون الذى يبدو عاجزا عن مواجهتهم والاقتصاص منهم وتخليص المجتمعات الآمنة من شرورهم وآثامهم وهم لايتورعون عن سحق كل من يأبى الاذعان لمطامعهم ، ناهيك بمن يجرؤن على مناهضتهم والتصدى لهم . واسوأ من هذا كله شراؤهم للذمم وهيمنتهم على ضعاف النفوس من رجال الامن والقانون ليكونوا لهم مطايا يوجهونهم كآلات عمياء مطواعة استغلالا لنفوذهم فى تحقيق جرائمهم البشعة وامعانا في تحدى القانون والنظام ... وبين براثن هذه الطغمة الفاسدة تقع البطلة ضحية بريئة مظلومة وتواجه حكما بالسجن لمدة خمسة عشر عاما عن جريمة ملفقة لم تقترفها ... ولكنها لا تلبث بما اوتيت من عزم وقوة وشجاعة أن تقهر عوامل اليأس والخذلان وتنبرى للانتقام من ظالميها القساة ولا سلاح لها سوى ذكائها الحاد وملاحتها الآسرة وأعصابها البتارة استخلاصا لحريتها واقتصاصا من ملوك الجريمة واحدا تلو الآخر بأساليب مبتكرة فذة تقصر عنها عقول ادهى الرجال .. فهل تنتهى محنتها عند هذا الحد وتعود اليها أسباب الطمأنينة لكى تذوق طعم الحب والسعادة من جديد وقد انتزعت منهما انتزاعا بما فرض عليها من تلك الارزاء الاليمة ؟ ..

لقد القت البطلة نفسها تواجه مرة أخرى مجتمعا أوسع يضن عليها بما هو حقها فى الحياة الآمنة الوادعة ، فتضطر من جديد الى المكافحة والمناضلة ، وفى كفاحها هذا العاصف ضد عالم يتسيد فيه المنحرفون من ذوى الثراء الباذخ والالقاب العريضة والمناصب السامقة واضرابهم ممن اكتظت جيوبهم بالاموال وخوت نفوسهم من نوازع الاستقامة والشرف ـ تجد البطلة نفسها مسوقة الى مواجهة كل أولئك بأسلحة جديدة من ذخيرتها التى لا ينضب معينها الخصب كفا لاذاهم عنها وحيلولة دون استشراء انحرافهم وتقليما لاظافرهم الحادة الناشبة فى كيان المجتمع الاكبر .. وهكذا نراها تتقلب بين نيويورك ولندن وباريس وبروكسل ومدريد وامستردام وغيرها من المواطن العالمية ، فى مواجهات حامية عنيفة مع ابرع رجال البوليس المحلى والدولى « الانتربول » ممن اطلقهم خصومها الجدد فى اثرها وهم اعجز مايكونون عن الاهتداء حتى الى حقيقة امرها ، الا محققا واحدا تفرد دون هؤلاء بالعبقرية يكتشف شخصيتها ولكنه يظل على الدوام يتعقبها فى دأب كلب الصيد وقد نذر نفسه لاقتناصها مدفوعا بعوامل خفية يضمرها فى نفسه تفضح فى النهاية سره الدفين .. ثم يشاء القدر أن تتلاقى فى طريقها بذلك الذى يماثلها ذكاء وجراة وماضيا اليما معذبا مثل ماضيها .. فاذا توحدت وجهاتهما فى القيام بمشروعاتهما المتسمة باشد الجراة والمغامرة فهل تتوحد مشاعرهما القلبية حتى تفوز البطلة فى النهاية بالحب الذى افتقدته طوال حياتها العاصفة ؟ .. ذلك ماتتركه للقارىء حتى لا نفسد عليه بهجة الاستمتاع بهذه الرائعة الجديدة التى صدرت لاول مرة منذ شهور قلائل والتى تنشر لاول مرة مترجمة الى العربية .

***

هذا ، وللمؤلف روايات اخرى مشهورة هى « الوجه العارى » ، و « غريب فى المرآة » ، و « خط الدم » ، و « الشطر الاخر لمنتصف الليل » ، و « غضب الملائكة » ، و « سيد اللعبة » .

والمؤلف يعيش فى لوس انجيلوس بالولايات المتحدة مع زوجته الممثلة جورجا كورتوايت ، ولهما ابنة واحدة هى مارى التى اتجهت الى التاليف وفازت روايتها الاولى « ساحلم بالظلام » باحدى الجوائز الادبية المرموقة .

محمود مسعود

القسم الاول

الفصل الأول

نيو أورليانز

الخميس ٢٠ فبراير ــ الساعة ١١ مساء .

خلعت ملابسها ببطء ، واختارت رداء زاهي اللون وهي كالحالمة . ثم سرحت نظرها في غرفة النوم للمرة الاخيرة لكي تتأكد ان الغرفة المحببة اليها على مدار الثلاثين سنة الماضية كانت نظيفة ومرتبة ، ولم تلبث أن فتحت درج المنضدة المجاورة للفراش واخرجت منه المسدس محاذرة . كان المسدس اسود لامعا ، بارد اللمس بصورة مروعة . واخيرا وضعت المسدس قرب التليفون ، وادارت رقم ابنتها في مدينة فيلادلفيا . ولبثت برهة تستمع الى صدى الرنين البعيد ، وعلى الاثر جاء صوت رخيم قائلا : آلو ! ..

ــ تريسي ! .. أحببت أن أسمع صوتك ياحبيبتي ..

ــ يالها من مفاجاة لطيفة يا امي ! ..

ــ ارجو الا اكون ايقظتك من النوم ؟..

ــ كلا . كنت اقرأ ، استعدادا للنوم . كنت مع تشارلز في الخارج نتناول العشاء ، لكن الطقس شنيع جدا . الثلوج هنا تسقط بغزارة . كيف حال الطقس عندكم ؟..

ناجت دوريس هويتني نفسها : يا الهي !.. اننا نتكلم عن الطقس ، في حين هناك أشياء كثيرة اريد أن أخبرها بها ، ولا اقدر ! ..

ــ امي ؟.. هل انت على الخط ؟..

حدقت دوريس هويتني من النافذة ، وناجت نفسها بعد أن ردت بأن المطر ينهمر : بالصورة الدراماتيكية ، كأنها في أفلام هتشكوك ! ...

سمعت تريسي تقول : ماهذه الضوضاء ؟ ..

فردت دوريس وهي تفتعل نبرة الانتعاش :

ـ هو الرعد ياتريس ... احكي لي ما يحدث عندكم في فيلادلفيا ...

ـ اشعر يا امي كأنني اميرة في حكاية خيالية ، ولم اكن اعتقد ابدا ان الانسان يمكن ان يشعر بمثل هذه السعادة الغامرة .. في مساء غد سأقابل والدي تشارلز ... هم آل ستانهوب ، من الاكابر في تشسترهيل ، ولهم مؤسسة كاملة ..

ـ لا تشغلي بالك .. انهم سوف يحبونك ياعزيزتي ..

ـ قال لي تشارلز ان هذا لا يهم ، فهو يحبني ، وانا متيمة به ... ولا يمكنني الانتظار الى ان تقابليه ... هو شخصية رائعة ! ..

ـ انا متأكدة انه كذلك ..

قالت دوريس لنفسها انها لن تجتمع بتشارلز ابدا !.. ولن تحمل قط حفيدا في حجرها !..

ـ كفى الآن كلاما عني يا امي ... اخبريني كيف الاحوال عندكم ؟ ...

ـ انا بكل خير ... انني اشعر بالم السعادة كلما تكلمت معك ...

فقالت تريسي معاتبة : هل لم تختاري حبيبا لك بعد ؟ ..

والواقع ان دوريس هويتني من بعد وفاة والد تريسي منذ خمسة اعوام لم تفكر حتى في مصادقة رجل آخر ، على الرغم من تشجيع تريسي لها ...

لقد غيرت دوريس موضوع الحديث قائلة :

ـ لا أصدقاء ... كيف حال عملك ؟.. هل انت مرتاحة ؟..

ـ انا مشغوفة به .. وتشارلز لا يبالي اذا استمررت في العمل بعد زواجنا ...

ـ هذا رائع ياطفلتي ... يبدو انه شاب متفهم جدا ..

ـ هو كذلك .. وستتأكدين بنفسك ..

وقصف الرعد مدويا .. اذن فقد حان الوقت .. ولم يبق ما يقال ، سوى كلمة وداع اخيرة ، قالتها دوريس وهي تغالب نفسها لكي يبدو صوتها ثابتا :

ــ مع السلامة يا حبيبتي ...
ــ ساراك يا امي في حفلة الزفاف ... وسأتصل بك حالما نحدد انا وتشارلز الموعد ...
على اى حال لم تبق سوى كلمة نهائية :
ــ نعم ... انا احبك ياتريسي ، جدا ، جدا ! ..
ووضعت دوريس هويتني سماعة التليفون بعناية ...
ثم تناولت المسدس .. لم يكن ثمة سوى حل واحد تلجا اليه .. وبسرعة ...
فرفعت المسدس الى صدغها ، وضغطت على الزناد ...

الفصل الثاني

فيلادلفيا .
الجمعة ٢١ فبراير الساعة ٨ صباحا
غادرت تريسي هويتني شقتها في العمارة السكنية مرتدية معطفها الواقي من المطر في طريقها الى عملها في بنك تراست وهي تشعر بالبهجة والسعادة ... كانت في الخامسة والعشرين من عمرها ، ذات محيا صبوح فيه من امارات الذكاء والنجابة حظ موفور ، وعينين خضراوين ، وقوام رياضي ممشوق ، وبشرة وردية نضرة .
كان البنك الذي تعمل فيه قد رقاها الى وظيفة رئيسة لقسم التحويلات الخارجية ، وبعد ادخال نظام الكمبيوتر في البنك ــ وهي متخصصة في هذا المجال ــ تضاعفت انشطة المصرف ، وزادت اعباء تريسي . بيد انها كانت متفانية في عملها ، قريرة العين به . انما كانت سعادتها الكبرى هي في تلك العلاقة التي ربطت بينها وبين تشارلز . فقد اعجب بجمالها وذكائها في تلك الندوة المصرفية التي حضرها كلاهما : هو كمدير للمؤسسة الاستثمارية التي يشرف عليها والده ستانهوب المالي الكبير ورجل الاعمال المرموق ، وهي كاخصائية في المعاملات المصرفية الداخلية والخارجية . وبعد قبولها دعوته الاولى للعشاء في المطعم الفاخر ، تكرر اللقاء بينهما ، وتطورت العلاقة الى حب متبادل ، وعندما عرض عليها الزواج ، قبلت بعد تردد ، حتى انه قال لها ذات مرة :

ـ نعم ان والدي ووالدتي سيقابلان فكرة زواجنا بدهشة الى حد ما ، لكنني كفيل بتسوية كل شيء ...

فقالت له تريسي : وفيم الدهشة ؟ ...

فتنهد تشارلز قائلا : لن اخفي عنك ياحبيبتي ان آل ستانهوب متمسكون بالتقاليد التي تحرص على الزواج المتكافيء واختيار العروس بمعرفتهم ... لكن هذا لا يهم .. المهم هو اختياري انا ..

وشفع هذا بعناق وقبلة ، ثم أردف قائلا :

ـ سوف نتناول طعام العشاء عندهما يوم الجمعة المقبل .. فقد حان الوقت لكي تلتقي بهما .

كانت هذه الذكريات تدور في خاطر تريسي رغم انهماكها في عملها بالمصرف . وعندما حانت الساعة الواحدة وتاهبت تريسي للانصراف بعد الفترة الصباحية لتصفيف شعرها استعدادا لموعدها عند أسرة ستانهوب الكبير ـ استدعاها ديزموند المدير التنفيذي في البنك . ودعاها الى الجلوس وقال لها بلهجة ودية :

ـ سمعت انك وتشارلز ستانهوب مخطوبان تمهيدا للزواج .

فقالت تريسي بدهشة : اننا لم نعلن أي شيء عن هـذا ... كيف ..؟

فرد ديزموند قائلا : ان اي شيء يتصل بآل ستانهوب هو من الاخبار الهامة . انا سعيد بهذا النبأ . واعتقد انك سوف تعودين للعمل معنا بعد شهر العسل ... اننا لا نريد أن نفتقدك ... فأنت واحدة من أكفأ موظفينا ...

ـ انني وتشارلز تناقشنا في هذا ، واتفقنا على أنني سـأكون اسعد بمواصلة العمل ...

ابتسم ديزموند راضيا .. فان مؤسسة ستانهوب كانت واحدة من اهم البيوت الاستثمارية في الدوائر المالية ، وكان ديزموند يتوق الى احتكار معاملاتهم في فرع هذا البنك الذي يشرف عليه ... ومالبث ان مال في مقعده الى الخلف قائلا :

ـ بعد عودتك من شهر العسل ياتريسي ، ستجدين في انتظارك ترقية ، مع علاوة كبيرة ..

ـ آه .. شكرا لك .. هذا خبر عظيم ...

كانت بشرى طيبة ودت تريسي أن تبلغها لتشارلز باقرب وقت ، وبدا لها كان الاقدار اختارتها وحدها لكي تغدق عليها من السعادة ما لا مزيد عليه ..

وفي الموعد المحدد دلفت تريسي الى قصر آل ستانهوب وهي تحسب لهذا اللقاء الف حساب .. وقد وجدت ستانهوب الاب رجلا بادي الصرامة في حوالي الخامسة والستين من العمر ، وخط المشيب شعر عارضيه . اما زوجته فكانت أدنى الى القصر ، تلوح عليها امارات المهابة والعزم . وقد بادرتها قائلة وهي تبسط يدها :

ـ هذا كرم منك ياعزيزتي أن تحضري عندنا . اننا طلبنا من تشارلز أن يهيىء لنا بضع دقائق لكي نجتمع بك على انفراد . لعلك لا تمانعين ؟ ..

فتولى الزوج الرد قائلا : طبعا لا تمانع . اجلسي ياتريسي ... أليس هذا اسمك ؟ ..

ـ نعم ياسيدي ...

وجلس الوالدان على اريكة في مواجهتها ، ثم اردف قائلا :

ـ اذن انت وتشارلز تريدان الزواج ؟.

ولما ردت تريسي بالايجاب قالت مسز ستانهوب :

ـ الحقيقة أنك وتشارلز لم تتعارفا ببعض مدة طويلة ، أليس كذلك ؟ .

غالبت تريسي استياءها ، فهاهي ذي في مجلس تحقيق ، وهو ماكانت تخشاه . بيد أنها ردت قائلة :

ـ انها كانت مدة كافية لكي نعرف أننا متحابان يا مسز ستانهوب ...

وهنا غمغم ستانهوب : متحابان !؟..

ثم مضت مسز ستانهوب تقول : لكي أكون صريحة معك يا مس هويتني ، فان هذا الخبر جاء صدمة لوالده ولي .. فالجميع يعرفون أن خطبته لبنت عمته شارلوت التي نشأ معها منذ الصغر كانت ستعلن هذه السنة ..

لم تكن تريسي بحاجة الى من يصف لها شارلوت .. فقد تصورتها من طبقة الاغنياء هؤلاء ، تتقلب في النعيم ، وتتعلم في ارقى المدارس وهوايتها الخيول والفوز بالجوائز ...

ولم يلبث مستر ستانهوب ان قال لها : كلمينا عن عائلتك ...

واعقبته زوجته سائلة : أين كان مسقط رأسك ياعزيزتي ؟.

ـ في لويزيانا .. وكان أبي ميكانيكيا ..

ـ ميكانيكي ؟!..

ولم تكن تريسي بحاجة الى ذكر عبارتها الاخيرة ، بيد انها لم تستطع أن تقاوم ، وليذهبا الى الجحيم ... فقد كانت فخورة بابيها .. ولهذا استطردت تقول :

ـ نعم ... انه أسس مصيفا صغيرا في نيواورليانز ، وظل يرعاه حتى التسع ... وعندما توفي ابي منذ خمس سنوات ، حلت امي مكانه ...

تبادل الاب والام نظرة معنوية ، وقالا معا : مفهوم ...

والواقع أن نبرات صوتهما جعلت تريسي أقرب الى التوتر ، وتطلعت الى ملامحهما المتجهمة التي خلت من كل تعاطف ، فلم تتمالك أن اطلقت لنفسها العنان قائلة :

ـ مؤكد انكما ستحبان امي ، فهي جميلة ، وذكية ، وجذابة ... انها من اهل الجنوب .. وهي قصيرة القامة ، في مثل قامتك يامسز ستانهوب ...

ولكنها كفت عن الاسترسال ازاء صمتهما المرهق .. ولم تتمالك ان ارسلت ضحكة يسيرة بلهاء تبددت تحت نظرة الاب الصارمة ..

وفي هذه الورطة الثقيلة جاءت النجدة بدخول تشارلز ... فلم تسعد تريسي في حياتها برؤية أحد مثلما سعدت برؤيته .. وقال تشارلز متهلل الاسارير :

ـ كيف سار كل شيء بينكم ؟..

وفي الحال نهضت تريسي والقت نفسها بين ذراعيه مغمغمة :

« عظيم ياحبيبي » ...

حمدا لله ! .. ان تشارلز ليس مثل والديه ... ولايمكن ابدا ان يكون مثلهما ! .. انهما ضيقا الفكر ، ومحدثا نعمه ، وباردان !.

وبعد العشاء الفاخر الذي ساده جو المجاملة ، تلمس تشارلز يدها من تحت المائدة ، وقال باسما وهو يغمز لها بعينه :

ـ أنا وتريسي نفضل زفافا محدودا ، وفيما بعد ..

بيد أن والدته قاطعته قائلة : كلام فارغ ... ان الاسرة لا تعرف الزفاف المحدود ياتشارلز ... ان هناك العشرات من الاصدقاء الذين يريدون ان يحضروا زواجك ... وربما يجدر بنا ان نرسل الدعوات في الحال ...

وبنظرة الى تريسي تتفحص قوامها أردفت : هذا ، ان كان

ذلك الترتيب مقبولا لكما ؟
ـ نعم .. نعم طبعا ...
سارعت تريسي بهذا الرد وقد سرى عنها .. فسوف يتم الزواج فعلا ، فعلام التشكك والهواجس من جانبها ؟..
ثم اضافت مسز ستانهوب قائلة : ان بعض الضيوف سوف يجيئون من الخارج ، وسأتخذ الترتيبات لاستضافتهم عندنا ..
وقال ستانهوب : هل اتفقتما على المكان الذى تقضيان فيه شهر العسل ؟..
ابتسم تشارلز ، واجاب وهو يضغط على يد تريسي تحت المائدة هذه معلومات خصوصية يا أبى !..
وقالت الزوجة الام : وكم سيطول شهر العسل ؟..
ـ لمدة خمسين سنة ! ..
لشد ما افتتنت به تريسي لهذا الرد !..
وكان الوقت يناهز منتصف الليل عندما أوصلها تشارلز بسيارته الى شقتها الصغيرة ، وأثناء ذلك قال لها :
ـ ارجو الا تكون السهرة قد ارهقتك ياتريسي .. أبى وأمى يمكن أن يكونا صلبين أحيانا ...
فردت تريسي كذبا : آه .. كلا .. انهما كانا بديعين ..
وعلى الرغم من انها كانت مجهدة من تأزم السهرة فى مطلعها ، الا انها قالت له وهما على باب الشقة :
ـ الا تود أن تدخل ؟..
ـ ليس هذه الليلة .. فعندى عمل كثير فى الصباح ..
فقالت وقد اخفت استياءها : طبعا .. مفهوم ياحبيبى ..
ـ سأتصل غدا ..
وودعها بقبلة قصيرة ..

***

استيقظت تريسي على رنين جرس التليفون الذى كان يدق بالحاح ...
واشارت الساعة على المنضدة الجانبية الى الثانية والنصف صباحا ... وكان اول خاطر أفزعها هو أن شيئا قد الم بتشارلز . فاختطفت سماعة التليفون قائلة : آلو ! ..
فجاءها على البعد صوت رجل يقول : تريسي هويتنى ؟.

ـ من المتكلم ؟..

ـ انا الملازم ميلر من ادارة بوليس نيو اورليانز .. هل انت تريسي هويتني ؟ ..

فاجابت وقلبها يدق كمطرقة : نعم ..

ـ يؤسفني ان عندي خبرا سيئا .. هو خاص بوالدتك ...

ـ هل وقع لامي حادث ؟..

ـ انها توفيت يامس هويتني ...

صرخت تريسي مروعة : كلا !...

فقال المتكلم : كنت أكره ان أبلغك الخبر بهذه الطريقة .

ياله من كابوس ! .. لقد تجمدت الكلمات على لسانها ، وشل تفكيرها ...

ثم سمعت صوت الضابط يقول :

ـ آلو !.. آلو يامس هويتني !..

ـ ساصل باول طائرة ...

جلست تريسي فى المطبخ الصغير تفكر فى امها .. مستحيل انها توفيت ! ..

فقد كانت موفورة الحيوية ، دائبة النشاط .. وكانت علاقتهما على الدوام وثيقة الاواصر ، عميقة المشاعر ... وبعد وفاة والدها فاتحها الكثيرون فى شراء المصنع ، بل عرضوا عليها من المال ماكان يمكن ان يكفل لها حياة طيبة طيلة العمر ، غير انها ظلت ترفض باصرار ، قائلة لابنتها : « ان والدك اقام هذا المصنع بكده ودابه ، ولا يمكن ان ابدد عمله الشاق المتواصل » ... وهكذا تعهدت أمها هذا العمل وسارت على نهج زوجها الراحل !..

ولم تتمالك تريسي ان اجهشت بالبكاء ...

وودت فى هذا الموقف من كربها أن تتصل تليفونيا بتشارلز وتخبره بما حدث ، وان يكون بجانبها ... ثم حانت منها التفاتة الى ساعة المطبخ ، فكانت الثالثة والنصف .. انها لاتود أن توقظه ، وبمكن أن تتصل به تليفونيا من نيواورليانز ... ولم تتمالك ان تساءلت فى نفسها ان كان هذا التطور يمكن ان يؤثر على مشروعات الزواج ، فما أسرع .. تألمت للتفكير فى شيء كهذا وهى فى مصابها ذاك .. لقد قال لها الضابط ميلر : « عند وصولك الى نيواورليانز

خذى اول تاكسى واقصدى الى ادارة البوليس » ..
لماذا ادارة البوليس ؟.. وماذا حدث ؟..

***

ما ان هبطت تريسى فى مطار نيواورليانز واستردت حقيبتها الصغيرة حتى استقلت اول سيارة أجرة توجهت بها الى مركز البوليس وهى فى دوامة من التوجس والجزع ..

واستقبلها الملازم ميلر معتذرا قائلا :

ــ آسف لاننى لم اتمكن من مقابلتك فى المطار .. اننا فتشنا كل اوراق والدتك ، ولم نجد الا انت الوحيدة التى أمكن الاتصال بها .

ــ ارجوك ياحضرة الضابط .. اخبرنى ماذا ــ ماذا حدث لوالدتى ؟ ..

ــ انها انتحرت ...

شعرت تريسى بقشعريرة باردة سرت فى كلّ كيانها ، وقالت بصوت مشروخ :

ــ هذا .. هذا مستحيلٌ .. ما الذى يدعوها الى قتل نفسها ؟

ــ انها تركت رسالة موجهة اليكَ ...

***

كانت المشرحة باردة ، كالحة ، مرعبة ...

وقد اقتيدت تريسى فى ممشى أبيض طويل افضى بها الى حجرة كبيرة خاوية .. ومالبث المشرف فى معطفه الابيض الطويل أن تقدم الى حائط ومد يده الى مقبض وجذب منه درجا كبير الحجم قائلا :

ــ هل تحبين ان تلقى نظرة ؟..

كلا !.. مايكون لها أن تبصر الجثمان الهامد الممدد فى ذلك الصندوق ، وودت لو استطاعت أن تبرح هذا المكان ...

وفى النهاية تقدمت وانية ، وهى تكاد تصرخ فى كل خطوة .. واذا هى تحدق فى رفات الجسد الخامد الذى حملها ، وغذاها ، وضاحكها ، ومنحها المحبة والحنان .. ولم تلبث ان انحنت وقبلت وجنة أمها ، باردة ورخوة ، واذا هى تهمس : أواه يا أمى ! ... لماذا ؟ .. لماذا فعلت هكذا ؟ ..

وسمعت المشرف يقول لها : سنقوم بتشريح الجثة ... هذا من قوانين الولاية حيال من ينتحرون ...

ولم يكن فى الرسالة التى تركتها دوريس هويتنى أى تفسير .. كانت بها هذه الكلمات :

« حبيبتي تريسي – أرجو أن تسامحيني ... انني فشلت ، ولم يكن في قدرتي ان اكون عبئا عليك ... كان هذا هو المخرج الوحيد ... انني احبك اعظم الحب – امك » .

كانت الرسالة خامدة مجردة من كل معنى ، مثل الجثة الممددة في التابوت ....

وفي عصر هذا اليوم اتفقت تريسي على ترتيبات الجنازة ، ثم قصدت في سيارة أجرة الى بيت الاسرة ...

كان البيت مثل معظم البيوت في نيواورليانز ، مشيدا من الاخشاب بلا اساس ، اذا كانت المنطقة تحت مستوى سطح البحر ...

لقد شبت تريسي وترعرعت في هذا البيت ، وكان مليئا بالذكريات الحلوة ... وهي لم تدخل هذا البيت في السنة الماضية ، ولهذا ررعت عندما اقتربت سيارة الاجرة من البيت ولمحت لافتة كبيرة في الفناء مكتوبا عليها : « المنزل للبيع – شركة نيواورليانز العقارية » ... هذا مستحيل !..

وبخطى مضطربة مضطرمة تقدمت الى الباب الامامي وفتحته بالمفتاح الذي ظلت تحتفظ به منذ كانت طالبة .. وما أن دلفت الى الداخل حتى جمدت مكانها مشدوهة ...

كانت الغرف خاوية تماما ، مجردة من كل اثاث ... واسرعت تريسي تجري من غرفة الى اخرى وهي لا تكاد تصدق عينيها .. فقد بدا وكأن كارثة مفاجئة قد حلت بالبيت .. ولما هرولت صاعدة الى الدور العلوي ووقفت بباب غرفة نومها التي شغلتها معظم حياتها ، بدت لعينيها خاوية متجهمة ...

رباه !.. ماذا حدث ؟..

ثم صافح سمعها رنين جرس الباب الامامي ، فهبطت السلالم كالحالمة وفتحت الباب ...

كان القادم هو اوتو شميدت الالماني وكيل مصنع هويتني لقطع الغيار ، وكان رجلا متقدما في السن بادي النحول تحف بصلعته دائرة من الشعر الابيض ، وقد بادرها قائلا :

– انني سمعت الخبر توا .. ولا .. ولا يمكنني ان اقول لك كم احزنني ..

فقالت تريسي وهي تشد على يديه : أواه يا اوتو !... كم انا

مسرورة برؤيتك .. ادخل ..

وقادته الى غرفة المعيشة الخالية قائلة : أنا آسفة اذ لا يوجد ما نجلس عليه ... هل تمانع فى الجلوس على الارض ؟..

ـ لا .. لا ..

وجلسا على الارض متواجهين ، والصمت يغشى عيونهما تعاسة وضنى ... كان شميدت وكيلا للمصنع منذ أن اقامه والدها ، وبعد وفاته كانت امها تعتمد عليه كل الاعتماد .. ثم قالت له تريسى :

ـ انا لا افهم مايحدث يا أوتو ... يقـــول البوليس ان امى انتحرت ، لكنك تعلم انه لا يوجد سبب يدفعها الى قتل نفسـها ...

وفجاة خطرت لها فكرة ، فاضافت : هل كانت مريضة ؟.. هل اصيبت بمرض خطير أو ..

فاشاح بنظره ، وقال وهو فى حرج شديد : لا ... لم يـكن هذا ...

فقالت تريسى بتؤدة : انت تعرف السبب ؟..

فتفرس فيها بعينيه الزرقاوين الباهتتين قائلا : ان والدتك لم تخبرك بما كان يحدث فى الفترة الاخيرة ... انها لم تكن تريد أن تكدرك ...

فقالت تريسى مقطبة : تكدرنى لاى شىء ؟... تكلم ... من فضلك ! ..

فقال وهو يقبض ويبسط يديه اللتين انحلهما العمل : هـــل سمعت عن رجل اسمه جورومانو ؟ ..

ـ جورومانو ؟ .. كلا .. لماذا ؟..

فراح شميدت يقول وهو يطرف بعينيه : منذ ستة شهور اتصل جو رومانو بوالدتك وقال انه يريد شراء المصنع .. ولما اخبرته بانها لا ترغب فى البيع ، عرض عليها ثمنا يبلغ عشرة امثال ما يـــساويه المصنع ، فلم يكن بامكانها أن ترفض ... والحقيقة انها تحمست ، وكان فى نيتها شراء سندات بالمبلغ كله يكفى ريعها لكى تعيش هى وانت مدى الحياة فى يسر وبحبوحة ... وكانت تريد أن يكون فى هذا مفاجاة لك ... والحقيقة اننى سررت من اجلها ، وكنت اريد اعتزال العمل طيلة السنوات الثلاث الماضية ، لكننى ياتريسى لم يكن بوسعى أن اتخلى عن مسز دوريس ...

ثم أردف وهو يكاد يبصق الكلمات : ان رومانو هذا ـ رومـــانو

هذا أعطاها مقدم الثمن مبلغا صغيرا ... اما الباقي وهو القسط الاكبر ، فكان محددا ان يدفع في الشهر الماضي ...

فقالت تريسي في شيء من نفاد الصبر : استمر يا أوتو .. ماذا حدث ؟..

ـ عندما تسلم رومانو زمام المصنع ، بادر بطرد جميع عماله واحل رجاله محلهم ... وبعد هذا اخذ ينهب المصنع ، فباع جميع أصوله ، وجلب معدات جديدة على حساب المصنع ، وكان يبيعهما دون ان يسدد اثمانها ... وكان الموردون لا يقلقون لتأخير السداد اعتقادا منهم بانهم لا يزالون يتعاملون مع والدتك ... وحينما بدأوا في النهاية يلحون عليها لسداد مستحقاتهم ، ذهبت الى رومانو وطلبت منه أن تعرف حقيقة مايجري .. فابلغها أنه قرر الا يمضي في الصفقة وانه سيعيد اليها المصنع ... وعند هذا الحد لم يكن المصنع بلا قيمة فقط ، بل كانت والدتك مدينة بنصف مليون دولار لم يكن في قدرتها دفعة ... واقول لك ياتريسي أن الموقف كان يمزق قلبي أنا وزوجتي ونحن نرى والدتك تجاهد عبثا لانقاذ المصنع ... فلم يكن امامها من مخرج .. وقد اضطروها الى اعلان الافلاس .. واستولوا على كل شيء : المصنع ، والبيت ، وحتى سيارتها ..

ـ أواه ياربي !.

ـ بل اكثر من هذا ... فان المدعي العام وجه الى والدتك انذارا بانه سوف يستصدر حكما عليها بالتدليس والاحتيال ، ثم السجن وكان ذلك في اليوم الذي توفيت فيه ، على ما اظن ..

فقالت تريسي وهي تضطرم بغضب عاجز : لكن كل ما كان يجب عليها أن تفعله هو أن تخبرهم بالحقيقة ... وأن تشرح لهم ماذا فعل ذلك الرجل في حقها !..

فهز وكيل المصنع الكهل رأسه قائلا : ان جورومانو يعمل لحساب رجل يدعى انتوني أورساتي ... واورساتي يسيطر على نيواورليانز وقد اكتشفت بعد فوات الاوان أن رومانو فعل هذا من قبل مع مصانع اخرى ... وحتى لو كانت والدتك قد جرته امام المحاكم لاستغرق هذا سنوات قبل أن تكشف الحقيقة ، ولم تكن تملك المال للتغلب عليه ..

فهتفت وهي في ألم كرب : ولماذا لم تخبرني والدتي بكل هذا ؟ ...

ـ ان والدتك كانت معتزة بكرامتها ... وما الذى كان بامكانك ان تفعليه ؟.. ليس في قدرة أحد أن يفعل شيئا ..

فقالت تريسي بشراسة : اريد ان ارى جوررومانو .. اين يمكن ان اجده !..

فاجاب شميدت بصراحة باترة : انسى كل شيء عنه .. ليست عندك فكرة عن مدى قوته ...

ـ انه يملك بيتا قرب جاكسون سكوير ، لكن لا فائدة من ذهابك اليه باتريسي ... صدقيني ...

لم ترد تريسي ... فقد انعمت نفسها باحساس كان غير معهود لديها بتاتا : الحقد المضطرم ... واقسمت فى سرها أن يدفع جو رومانو الثمن لقتل أمها ...

الفصل الثالث

كانت تريسي فى حاجة الى وقت ... وقت للتفكير .. وقت للتخطيط لخطوتها التالية ..

انها لم تكن تحتمل ان تعود الى البيت المخرب ، وهكذا قصدت الى فندق صغير ، على بعد من الحى الذى يقع فيه البيت .. ولم يكن معها متاع ، ولهذا قال لها موظف الفندق المتشكك : لابد ان تدفعى مقدما ... والمطلوب هو ٤٠ دولارا عن الليلة ..

ومن غرفتها بالفندق اتصلت تليفونيا بديزموند فى البنك واخبرته انها لن تستطيع العودة للعمل بضعة أيام ، فبادرها قائلا :

ـ لا تشغلى بالك .. سادبر من يحل محلك الى حين عودتك

وكان يرجو فى سره أن تخبر تشارلز ستانهوب الى أى حد هو متفهم ومتجاوب ...

وكانت مكالمة تريسي التالية مع تشارلز : تشارلز .. حبيبى ..

ـ اين انت بحق الشيطان ياتريسي ؟.. ان والدتى ظلت تحاول الاتصال بك طيلة الصباح ، وكانت تريد ان تتناول الغداء معك اليوم .. انتما الاثنان أمامكما ترتيبات كثيرة لاتمامها !..

ـ انا آسفة ياحبيبى .. انا فى نيواورليانز ..

ـ انت اين ؟! .. ماذا تفعلين فى نيواورليانز ؟ .

ـ امي .. ماتت !.

وسرعان ماتغيرت نبرات صوته قائلا : آه .. انا آسف ياتريسي .. لابد ان هذا كان مفاجأة .. كانت صغيرة السن ، كما اظن ..

فردت تريسي في تعاسة ولوعة : جدا .. جدا !..

فقال وقد آنس حالتها : مابك ؟ .. هل انت على مايرام ؟..

لم تقو تريسي على أن تقول له انها حالة انتحار ... كانت تود من أعماق قلبها أن تنفض اليه القصة كاملة عما فعلوه بأمهـــا ، بيد انها أسكت وهي تناجي نفسها : « انها مشكلتى ، ولا اريد أن احمل تشارلز عبئها » ... وقالت بصوت مسموع :

ـ لا تشغل بالك ... انا بخير ياحبيبي ..

ـ هل تودين ان احضر عندك ياتريسي ؟..

ـ كلا .. اشكرك ... بامكاني أن اتصرف .. سأشرف على دفن امي غدا . وساعود الى فيلادلفيا يوم الاثنين ..

وعندما ردت السماعة الى مكانها تمددت في الفراش تحـدق في السقف مشتتة الفكر مذهوبة الذهن لا يعرض لها سوى اسـم واحد انطلق لسانها يجري به مرارا : رومانو .. رومانو .. رومانو لابد أن يدفع الثمن .. ولم تكن لديها خطة ما .. لكنها عرفت فقط أنها لن تدع جورومانو يفلت مما فعل ، وانها ستجد طريقة للانتقام لامها ...

وفي اصيل هذا اليوم انصرفت تريسي من الفندق وسارت في الشارع حتى وصلت الى محل رهون .. ولما دخلت تلقاها رجل له سحنة هيكل عظمي كان جالسا في شبه قفص وقال لها : هل من مساعدة ؟..

ـ اريد .. اريد شراء مسدس ..

ـ هل تريدينه عيار ٣٢ او ٤٥ ؟..

لم تحمل تريسي مسدسا في حياتها ، وردت قائلة : يكفي ... تكفي عيار ٣٢ .

ـ عندي نوع بمائتين وثلاثين دولارا .. ونوع آخـــر بمـائة وستين ..

لم تكن تريسي تحمل معها نقودا كافية ، ولما طلبت منه نوعـــا ارخص هز كتفيه قائلا : اسمعي ياسيدة .. سابيعك عيار ٣٢ بمائة وخمسين دولارا ، مع علبة رصاص هدية ...

قبلت تريسي .. وعندما جاء بالمسدس ووضعه امامها فـوق

المنصة قال لها : هل تعرفين كيفية الاستعمال ؟..

ـ يمكن .. يمكن جذب الزناد ...

فمغم الرجل ، قائلا : هل تريدين أن أريك كيف تحشينه ؟..

همت أن ترد بالنفي ، وأن تقول أنها لا تنوي استخدام المسدس، وكل ماتريد هو أن تخرف به شخصا ما ، غير انها أدركت عقم هذا الكلام ، وردت بالايجاب ...

ووقفت تراقبه وهو يدخل الرصاص في خزانة المسدس ، ثم مدت يدها في كيس نقودها وقدمت له المبلغ ، فقال لها :

ـ اريد اسمك وعنوانك لاستيفاء سجلات البوليس ..

لم يخطر هذا ببالها ... أن تهديد جو رومانو بمسدس هو عمل جنائي ، وان كان هو المجرم ، لاهي !..

قال الرجل مرة أخرى وهو يتفرس في وجهها : اسمك ؟

ـ سميث ... جوان سميث ..

فدون الاسم في بطاقة ، وقال : والعنوان ؟..

ـ داونمان رود ... رقم ٣٠ ـ ٤٠

فقال دون ان يرفع اليها نظره : لا يوجد رقم ٣٠ ـ ٤٠ في طريق دونمان رود .. موقع هذا الرقم لابد أن يكون في وسط النهر ؟.. لنقل أن الرقم هو ٥٠ ـ ٢٠ ..

ودفع اليها ببطاقة الاستلام ، فوقعت باسم جوان سميث .. فدفع اليها بالمسدس من خلال القفص محاذرا .. فلبثت برهة تحدق اليه ، ثم تناولته ووضعته في حقيبة يدها ، وانثنت أخيرا واسرعت خارجة والرجل يصيح في أثرها :

ـ اسمعي ياسيدة .. لا تنسي أن المسدس محشو !..

***

وقفت تريسي في ظلال الاشجار الباسقة المحيطة بمنزل جو رومانو في ذلك الحي الراقي من المدينة منتظرة تكاثف الظلام وهي تستعيد خطتها ، شاعرة طيلة الوقت بثقل المسدس في حقيبة يدها ...

كانت الخطة بسيطة ... ستجادل جو رومانو بالحسنى والعقل ستطلب منه أن يبرىء اسم أمها ... فان رفض ، تعين عليها أن تهدده بالمسدس وتجبره على الاعتراف كتابة بما فعل .. ولسوف تذهب بهذا الاعتراف الى الضابط ميلر الذى سيلقي القبض على

رومانو ، وبهذا تبرأ ساحة أمها ويرفع عنها الاتهام .. ولكم ودت من أعماقها لو كان تشارلز معها ، لكن كان الافضل ان تؤدى هذه المهمة وحدها .. ومن الممكن أن تخبره بكل شيء بعد أن تنتهي المهمة ويزج برومانو خلف القضبان ، حيث السجن مكانه ، جزاء وفاقا ..

وعندما تأكدت تريسي من خلو الشارع من المارة تقدمت من الباب الخارجي وضغطت على الجرس ، فلم يكن ثمة مجيب ، حتى فكرت انه خارج البيت ، استعدادا لاحدى سهراته .. وفجأة اضيء نور المدخل ، وفتح الباب الامامي ، ولاح رجل أدهشتها هيأته .. فقد كانت تتخيله مخلوقا مشئوم السحنة بادي الغلظة والشر .. وبدلا من ذلك ألفت نفسها في مواجهة رجل جذاب الصورة بشوش الوجه أقرب في هيأته الى سمت استاذ جامعي .. وكان صوته خفيضا ودودا وهو يقول لها :

ـ اهلا .. هل من مساعدة ؟..

فقالت بصوت بدا مهتزا : هل انت جو رومانو ؟..

فأجاب بلهجة عذبة : نعم .. ما الذى يمكن ان اؤديه لك ؟..

ـ أود .. أود ان اتكلم معك ، يامستر رومانو ..

فراح يتفحص قوامها مليا ، ثم قال : بالتأكيد .. تفضلي بالدخول ...

دلفت تريسي الى غرفة جلوس مليئة بأثاث انيق ... وقال لها :

ـ كنت على وشك ان أمزج لنفسي شرابا .. ماذا تفضلين ؟..

ـ لا شيء ...

فتفرس فيها بفضول قائلا : لاى شيء أردت مقابلتي يا آنسة ..؟

ـ تريسي هويتني ... انا ابنة دوريس هويتني ...

حدق اليها برهة عازب الذهن ، ومالبث أن اكتسى وجهه بوميض المعرفة ، وقال :

ـ آه ، نعم .. سمعت عن والدتك .. مسألة سيئة ..

ـ يامستر رومانو .. ان المدعى العام يعتقد ان امي كانت مذنبة بتهمة النصب والاحتيال ... وانت تعرف ان هذا غير حقيقي .. واريد منك أن تساعدني في تبرئة اسمها ...

فهز رومانو كتفيه قائلا : أنا لا اتكلم في شئون العمل في أيام عيد الفصح هذه .. فهذا مخالف لعقيدتي الدينية ..

وتقدم الى « البار » واخذ يمزج الشراب قائلا : اظن انك ستكونين افضل حالا بعد تناول كأس ..

لم يدع لها مجالا للاختيار .. وهكذا فتحت حقيبة يدها واخرجت المسدس وصوبته نحوه قائلة : ساقول لك ما الذي يجعلني افضل يامستر رومانو ... وهو ان اجعلك تعترف بما فعلته بالضبط مع امي ..

استدار رومانو ورأى المسدس ، فقال لها : خير لك يامس هويتني ان تبعدي هذا .. فقد ينطلق ...

ـ انه سينطلق اذا لم تفعل تماما ما اقوله لك .. عليك ان تكتب اعترافا كيف جردت المصنع من مشتملاته وكيف اديت به الى الافلاس ودفعت والدتي الى الانتحار ...

كان الآن يراقبها بحذر ، ومالبث أن قال لها : فهمت ـ وماذا اذا رفضت ؟ ..

ـ اذن فساقتلك ..

قالت هذا وهي تحس بالمسدس يهتز في يدها .. اما هو فأخذ يتقدم نحوها والكأس في يده قائلا : لا يبدو عليك انك من صنف القتلة يامس هويتني ...

وبصوت رقيق صادق اضاف يقول : لم يكن لي أي ضلع في وفاة أمك ، وصدقيني اذا قلت ...

وقذف بالشراب في وجهها ..

شعرت تريسي بلذع الكحول حاميا في عينيها ، وفي اللحظة التالية كان المسدس يلقى به من يدها ...

وقال رومانو : ان امك الخبيثة خدعتني ... لم تقل لي أن لها ابنة بهذه الحلاوة !..

واطبق عليها وشل ذراعيها وهي لاتبصر وقد تملكها الفزع .. وحاولت أن تبتعد عنه ، بيد انه دفع بها الى الحائط وهو يشدد الضغط عليها ...

وسمعته يقول بصوت غليظ اجش : رأيت فيك شجاعة ياطفلة ، وانا احب هذا ... انك جئت الى هنا طلبا للاثارة ، أليس كذلك ؟.. حسنا ..

سيعطيك جو كفايتك من الاثارة ! ..

حاولت تريسي أن تصرخ ، لكن صوتها لم يزد عن شهقة : دعني اذهب !...

وازداد ضغطا عليها الى حد الأذى ، وشعرت بنفسها وهي تلقى ـ

على الارض ... فاندفعت لتتملص منه على غير هدى ... ولامست اصابعها المسدس .. فاختطفته ، واذا صوت مقذوف ناري ينبعث عاليا ..

هتف رومانو : أواه !. باللعنة !..

وارتخت قبضته فجأة .. ومن خلال غمامة حمراء لمحته تريسي مرتاعة وهو يتزاح عنها ويتدحرج على الارض متشبثا بجنبه : رميتني بالمسدس يافاجرة !.. رميتني بالمسدس !..

تجمدت تريسي في مكانها عاجزة عن الحركة .. وشعرت بغثيان في معدتها وألم حاد في عينيها يكاد يعميها .. ومالبثت ان استجمعت قواها ووقفت على قدميها واستدارت ، ثم اتجهت الى باب في اقصى الغرفة ودفعته ... كان الحمام .. فخطت متطاوحة الى حوض الوجه وغسلت وجهها وعينيها بالماء البارد الى ان بدأ الالم يخف وأخذ الابصار يعود اليها .. وتطلعت الى المرآة ... فرأت عينيها محتقنتين زائغتين : رباه ! ... انى قتلت رجلا !..

واسرعت عائدة الى غرفة الجلوس ..

كان رومانو ممددا على الارض ودماؤه تنزف على السجادة البيضاء ... ووقفت تريسي فوقه ممتقعة الوجه ، وقالت في لوعة :

ـ انا آسفة .. لم أكن أقصد أن ..

فرد بانفاس متقطعة : الاسعاف !..

هرعت تريسي الى التليفون فوق المنضدة وأدارت رقما ، وعندما جاءها الرد عالجت الكلام قائلة : ارسلوا سيارة اسعاف حالا !.. العنوان هو ٤ ـ ٢١ ميدان جاكسون ! ... هنالك رجل اصيب بعيار ناري ! ..

واعادت سماعة التليفون والقت نظرة على رومانو المسجى على الارض ، واذا هي تبتهل في سرها : ادعوك ياربي الا يموت !.. انت تعلم انني لم اكن اقصد قتله !..

وجثت بجانب الجثة لكي تعرف أن كان لايزال على قيد الحياة ، فرأته مطبق العينين ، ولكنه كان يتنفس .. فقالت :

ـ سيارة الاسعاف قادمة في الطريق ..

واسرعت هاربة ...

وقد حاولت ألا تجري خوفا من لفت الانظار .. وجذبت سترتها

حول صدرها لاخفاء ملابسها الممزقة .. وبعد مسافة قصيرة حاولت ايقاف سيارة اجرة .. فمرت بها بضع سيارات مسرعة تحمل اناسا سعداء ضاحكين في جو عيد الفصح .. ثم سمعت على البعد صوت « سرينة » تقترب ، وبعدها بثوان مرقت سيارة اسعاف بجانبها في اتجاه منزل رومانو ... فقالت لنفسها انها لابد ان تسرع بالابتعاد ... وعند منعطف قريب توقفت سيارة اجرة وانزلت ركابها ... فركضت تريسي اليها وقالت للسائق : هل انت مشغول ؟ ..

– الى اين تقصدين ؟..

– الى المطار ...

– اركبي ...

وفي الطريق الى المطار فكرت تريسي في سيارة الاسعاف .. ماذا لو جاء وصولها بعد فوات الاوان ولقي رومانو حتفه ؟ .. ستكون عندئذ قاتلة .. فقد تركت المسدس في المنزل ، وعليه بصمات اصابعها ... بامكانها أن تقول للبوليس أن رومانو حاول الاعتداء عليها وان المسدس انطلق عفوا .. لكنهم لم يصدقوها .. فهي التي اشترت المسدس الذي بقي ملقى على الارض بجانب رومانو .. ترى كم مضى من الوقت ؟ .. نصف ساعة ؟ .. ساعة ؟.. لا مفر لها من مبارحة نيواورليانز باسرع مايمكن ..

وما ان وصلت الى مطار نيو اورليانز الدولي حتى اسرعت الى شباك حجز التذاكر المختص وطلبت تذكرة مفردة الى فيلادلفيا .. فانشغلت الموظفة الى الكمبيوتر وقالت لها :

– سيكون هذا في الرحلة رقم ٣٠٤ .. انت محظوظة .. يوجد مكان واحد ..

– متى تقوم الطائرة ؟..

– بعد ثلث ساعة .. امامك فرصة للركوب ..

وفيما كانت تريسي تفتح حقيبة يدها شعرت اكثر مما رأت اثنين من رجال البوليس يتقدمان الى جانبيها ، وقال احدهما : انت تريسي هويتني ؟ ..

توقف قلبها عن الخفق برهة ... كان من الغباء أن تنكر ... فردت ايجابا .

– جئنا للقبض عليك ..

وشعرت تريسي بالقيود الحديدية الباردة تطبق على معصميها ..

***

لاشك أن كل هذا الذى يحدث هو صور تتعاقب بالحركة البطيئة لشخص غيرها ... فقد راحت تريسي تراقب نفسها وهى تؤخذ من المطار مشدودة بالقيد الحديدى الى أحد رجلى البوليس بينما كان المارة يتلفتون محدقين اليها ... وقد دفعوا بها الى داخل سيارة البوليس التى مرقت مسرعة وانوارها الحمراء تومض وصفيرها يشق الجو ...

وفى مركز البوليس القت نفسها بين خليط من المقبوض عليهم بكل انواع التهم ، واقتادها أحد الشرطيين الى مكتب الرقيب المنوب قائلا : هذه هى المرأة المدعوة هويتني ... قبضنا عليها فى المطار وهى تحاول الهروب .

ولما فك قيدها عالجت الكلام قائلة : كان ماحدث شيئا عارضا .. انني لم اقصد قتله .. اراد ان يعتدى على و ...

فقاطعها الرقيب بايجاز : ضعوها في الحجز ..

فقالت مستعطفة : لا .. مهلا دقيقة واحدة .. لابد لى من الاتصال تليفونيا بشخص معين ... هذا من حقى ..

فقال الرقيب متبرما : انت تعرفين الاجراءات اذن — كم مرة وضعوك فى الحجز ياحلوة ؟

— ولا مرة .. هذه ..

— لك مكالمة واحدة .. ثلاث دقائق .. ماهو رقم التليفون ؟

تذكرت رقم تليفون تشارلز بعد جهد .. فادارة الرقيب وناولها السماعة .. فسمعت الرنين متكررا .. ولكن لم تجد من يجيب ..

وعندئذ تذكرت فجأة أن تشارلز اعتاد ان يرفع سماعة التليفون ليلا لكيلا يقلقه أحد ، وهكذا تخلت عن السماعة مقلوبة على أمرها .

وجاء شرطى باكمام على ذراعيه وصحبها الى حجرة دونت فيها بياناتها الشخصية وأخذت بصمات أصابعها ، ثم اقتيدت فى ممشى وادخلت في زنزانة منفردة واغلق الباب عليها .. وقال لها الشرطى قبل ان يبتعد :

— ستكونين محل التحقيق فى الصباح ..

***

مضت ساعات الليل بطيئة متثاقلة .. وفى الصباح جىء لها بقهوة باردة وخبز يابس عافتهما نفسها ولم تذق منهما شيئا ..

وفي الساعة التاسعة صباحا ذهبوا بها الى حجرة التحقيق حيث مثلت أمام قاض مسن وقف عن كثب منه وكيل النيابة القصير النحيل ... الآن تستطيع تريسي أن تشرح لشخص مسئول ذي عقلية حقيقية ماحدث ، فراحت تقول وهي تضغط على يديها منعا لارتعاشهما :

ـ ياصاحب الفخامة .. لم تكن جريمة قتل .. انا اطلقت عليه النار ، لكن حدث ذلك عفوا .. انني فقط قصدت تخويفه .. انه اراد ان يعتدي علي و .

وهنا قاطعها وكيل النيابة قائلا للقاضي : ياصاحب الفخامة .. لا ارى معنى لاضاعة وقت المحكمة .. ان هذه المراة اقتحمت منزل مستر رومانو وهي مسلحة بمسدس عيار ٣٢ ، وسرقت لوحة فنية لرينوار تساوي نصف مليون دولار ، وعندما داهمها مستر رومانو اثناء ذلك ، اطلقت عليه النار عمدا ، وتركته معتقدة بموته ..

شعرت تريسي بالدم يفيض من وجهها ، وقالت : ما هذا ماهذا الذي تقوله ؟ ..

ولكن وكيل النيابة مضى في عرض التهمة قائلا : عندنا المسدس الذي جرحت به مستر رومانو .. وبصماتها موجودة عليه ..

اذن فان رومانو جرح ومازال على قيد الحياة !.. فهي اذن لم تقتل احدا ! ..

ـ ... وبعد ذلك هربت باللوحة .. وربما كانت اللوحة الآن يا صاحب الفخامة بين يدي احد تجار المسروقات .. ومن اجل هذا تطالب النيابة باعتقال تريسي هويتني بتهمة محاولة القتل والسطو المسلح مع كفالة قدرها نصف مليون دولار للافراج عنها .

التفت القاضي الى تريسي التي وقفت مكانها مصعوقة ، وقال لها :

ـ هل يمثلك احد المحامين ؟ ..

هزت تريسي راسها قائلة : كلا .. انا .. ان ماقاله هذا الرجل غير صحيح .. انني ابدا لم ..

ـ هل عندك نقود لتوكيل محام عنك ؟..

كانت تملك ادخارها في البنك .. وهناك تشارلز .. فردت قائلة :

ـ انا .. لا ياصاحب الفخامة .. لكنني لا افهم ..

ـ ان المحكمة ستعين محاميا للدفاع عنك .. وقد تقرر ايداعك

السجن ، بكفالة قدرها نصف مليون دولار .. القضية التالية ..
ـ مهلا ! .. هذا كله خطأ في خطأ .. انا لم ..
ولم تكد تعي وهم يقودونها الى خارج حجرة المحكمة ..

***

كان المحامي الذي عينته المحكمة يدعى بيري بوب .. كان يناهز الاربعين من عمره ، بادي الذكاء ، ازرق العينين ، متعاطف النظرات حتى لقد مالت اليه تريسي من فورها ...
وقد دخل عليها الزنزانة وجلس على حافة السرير الضيق وقال بلا مقدمات :
ـ جميل .. الحقيقة انك خلقت جوا من الاثارة كسيدة لم يمض على وجودها في المدينة أكثر من أربع وعشرين ساعة ... لكنك محظوظة .. لانك لا تحسنين الرماية .. وماحدث ليس أكثر من جرح في اللحم .. وسيبقى رومانو على قيد الحياة ..
واخرج فليونا حشاه تبغا واشعله ، لم تفرس فيها قائلا :
ـ لا يبدو عليك بامس هويتني انك جانية من النوع الخطر ..
ـ لست كذلك .. اقسم لك انني لست كذلك ..
ـ اقنعيني .. احكي لي ماحدث .. منذ البداية ..
حكت له تريسي كل شيء .. وجلس بيري بوب يسمع الى القصة بهدوء .. ومالبث أن استند بظهره الى حائط الزنزانة وقد شابت ملامحه مسحة الخطورة ، وقال : ابن اللئام هذا !.
فقالت تريسي في ارتباك شديد : انني لا افهم شيئا مما قالوه . لا افهم حكاية اللوحة الفنية ..
ـ المسألة غاية في البساطة .. أن جو رومانو استخدمك كبش فداء ، كما استخـــدم والدتك من قبل .. انك سرت الى الفخ باختيارك ..
ـ مازلت لا افهم ..
ـ الآن ساشرح لك .. أن رومانو سيطالب شركة التامين بمبلغ نصف مليون دولار عن اللوحة الفنية من رسم رينوار التي أخفاها في مكان ما ، ولسوف يحصل على المبلغ ... ولكن شركة التامين ستطاردك انت ، لا هو .. وبعد ان تهدأ الامور سوف يبيع اللوحة الى طرف ثان ويحصل على نصف مليون آخر ، بفضل اقدامك على المحاولة التي قمت بها .. الم تدركي أن اعترافا تحصلين عليه تحت تهديد مسدس لا قيمة له ؟ ..

ـ اظن .. اظن هذا .. لقد خطر لى آننى لو استطعت انتزاع الحقيقة منه ، لامكن أن ينهض احد بالتحقيق .

ـ كيف دخلت منزله ؟ ...

ـ ضغطت على جرس الباب الامامى .. وادخلنى مستر رومانو نفسه ...

ـ ليس هذا ماحكاه .. هناك نافذة محطمة فى الجانب الخلفى للمنزل ، حيث يقول انك اقتحمت البيت عن طريقها .. وقد اخبر الشرطة أنه قبض عليك وانت تتسللين خارجة ومعك لوحة رينوار ، وعندما حاول ايقافك ، اطلقت النار عليه وهربت ..

ـ هذه كذبة ! .. اننى ..

ـ لكنها كذبته ، والبيت بيته ، والسلاح سلاحك .. هل عندك فكرة عمن تتعاملين معه ؟..

هزت تريسي راسها منعقدة اللسان ، فانشأ يقول :

ـ اذن دعيني أشرح لك حقائق الحياة يامس هويتنى ... ان هذه المدينة فى قبضة أسرة أورسالى .. وما من شيء يتم فيها دون موافقة أنطونى اورسالى .. اذا اراد احد الحصول على ترخيص باقامة مبنى ، أو تمهيد طريق ، أو ادارة نوادى للقمار ومنتديات للملاهى أو حتى الاتجار فى المخدرات ، فلابد له من مقابلة اورسالى ان جو رومانو بدأ العمل معه كحارس شخصى ... وهو الآن الراس الاكبر فى منظمة أورسالى .. والغريب مع كل هذا أنك اقتحمت بيت رومانو واطلقت مسدسا عليه !!..

جلست تريسى مكانها مشلولة مرهقة .. وفى النهاية قالت له : هل تصدق قصتى ؟..

فابتسم قائلا : كلامك هو الصدق بعينه ..

ـ ايمكنك ان تساعدنى ؟..

فاجاب بتؤدة : ساحاول .. اننى على استعداد لبذل كل جهد لوضعهم جميعا وراء القضبان .. انهم يسيطرون على هذه المدينة بما فيها معظم القضاة ... واذا قدموك الى المحاكمة فسوف يدفنونك فى أعماق لن تبصري منها ضوء النهار ابدا ...

تطلعت اليه تريسى مبهوتة ، وقالت : اذا قدمونى الى المحاكمة ؟ ! ...

فنهض بوب قائما واخذ يذرع الزنزانة الضيقة جيئة وذهابا ،

ثم قال : انني لا اريد ان اوقفك امام هيئة محلفين ، لانهم سيكونون محلفيه ... هناك قاض واحد فقط لم يستطع أورسالي قط شراءه – واسمه هنري لورانس ... واذا أمكنني ترتيب احالة القضية اليه ، فانا واثق انه سيكون في استطاعتي اجراء تسوية لصالحك ان هذا غير اخلاقي بالمعنى الدقيق ، لكنني سأتكلم معه بصفة شخصية ... انه يكره اورسالي وورومانو بقدر كراهيتي الشديدة لهما ... والآن فان كل ما علينا ان نفعله هو الاتصال بالقاضي لورانس ...

***

عمل المحامي بيري بوب على تسهيل اتصال تريسي تليفونيا بتشارلز .. وما أن سمعت صوت سكرتيرته حتى قالت لها :

– هاربيت ! .. انا تريسي هويتني .. هل ..

– آه .. انه ظل يحاول التوصل اليك يامس هويتني ، لكننا لم نعرف اي رقم تليفون لك . . ومسز ستانهوب متلهفة جدا لمناقشة ترتيبات الزفاف معك ... فاذا امكنك الاتصال بها بأقرب وقت ممكن ...

– هاربيت ! .. هل يمكن أن اكلم مستر ستانهوب من فضلك ؟.

– انا آسفة يامس هويتني .. انه سافر الى مدينة هوستون لحضور اجتماع عمل .. واذا اعطيتني رقم تليفونك فانا متأكدة انه سيتصل بك باسرع مايمكن ...

لم يكن هناك من سبيل لكي يستطيع مكالمتها تليفونيا في السجن ولن يتيسر هذا الى ان تجد فرصة لكي تشرح له كل شيء أولا ...

– سوف .. سوف اتصل بمستر ستانهوب فيما بعد ..

ووضعت سماعة التليفون متباطئة . وقالت لنفسها في اعياء : غدا .. سأشرح كل شيء لتشارلز ، غدا ..

وفي آخر النهار نقلت تريسي الى زنزانة أوسع .. وجيء لها بعشاء شهي من مطعم معروف ، وبعد فترة قصيرة تلقت أزهارا ناضرة مرفقة ببطاقة فضت غلافها وقرأت : « تفاءلي ... سننتصر على أولاد الحرام – بيري بوب » .

وجاء المحامي لزيارتها في صباح اليوم التالي .. وما أن لمحت الابتسامة على وجهه حتى عرفت أن وراءها انباء طيبة .. وقال لها :

ـ ان الحظ معنا ... اننى جئت الآن من عند القاضى لورانس ووكيل النيابة توبر ... ان توبر كان يصرخ مهتاجا ، لكننا اتفقنا على تسوية ..

ـ تسوية ؟ ..

ـ انني اخبرت القاضي لورانس بقصتك كلها ... وقد وافق على قبول اقرار منك بأنك مذنبة ..

راحت تريسي تحدق اليه مروعة ، قائلة : اقرار بانني مذنبة ؟ لكنني لست ...

فرفع يده قائلا : اسمعيني الى النهاية .. اذا اقررت انك مذنبة فانك توفرين على الحكومة مصاريف المحاكمة .. انني اقنعت القاضي بانك لم تسرقي اللوحة الفنية ... انه يعرف من هو جو رومانو ، وقد صدقني ...

فقالت تريسي بتؤدة : لكن ــ اذا اقررت بانني مذنبة ، فماذا سيفعلون معي ؟ ...

ـ فى هذه الحالة سيحكم عليك القاضى لورانس بالحبس ثلاثة شهور من ...

ـ الحبس ؟!

ـ مهلا .. سيكون الحكم مع وقف التنفيذ ..

ـ لكن فى هذه الحالة ، ستكون لى سابقة ...

تنهد بيرى بوب وراح يقول : انهم اذا قدموك الى المحاكمة بتهمة السطو المسلح ومحاولة القتل اثناء ارتكاب هذه الجريمة ، فيمكن ان يصدر الحكم عليك بالسجن لمدة عشر سنوات ...

ـ عشر سنوات فى السجن ؟!..

جعل بيرى بوب يراقبها مصابرا ، ثم قال : القرار لك .. وليس فى وسعى الا ان أزودك بافضل نصيحة عندى .. انها لمعجزة اذ امكننى أن افوز لك بهذا .. وهم يريدون الآن ردك .. لست مجبرة على قبول هذه التسوية ... ويمكنك ان تطلبى محاميا غيرى و ..

ـ كلا ...

لقد عرفت أن هذا رجل شريف ... وفى هذه الظروف الماثلة ، وبالنظر الى تصرفها المتهور ، فقد فعل كل ماهو ممكن من اجلها .. ليتها كانت فقط تستطيع مكالمة تشارلز .. لكنهم يريدون ردها

الآن ... واغلب الظن انها محظوظة للافلات من هذه الملمة بالحبس ثلاثة شهور مع وقف التنفيذ ...

قالت تريسى وهى تنتزع الكلمات انتزاعا : ساقبل ... ساقبل التسوية ...

فاوما قائلا : فتاة عاقلة ...

***

لم يسمح لها باجراء اى اتصال تليفونى قبل اعادتها الى قاعة المحكمة ... وفى هذه القاعة وقف ايد توبر وكيل النيابة عن جانب منها ووقف المحامى بيرى بوب عن الجانب الاخر ... وجلس الى المنصة رجل مهيب فى الخمسينات من عمره ناعم الوجه غزير الشعر مصففه ... وقال هذا القاضى لورانس مخاطبا تريسى :

ـ لقد ابلغت المحكمة بأن المتهمة ترغب فى تغيير أقوالها من عدم الاعتراف بانها مذنبة الى الاقرار بانها مذنبة .. هل هذا صحيح ؟

ـ نعم ياصاحب الفخامة ...

ـ وهل توافق جميع الاطراف ؟.

فاوما بيرى بوب قائلا : نعم ياصاحب الفخامة ...

وقال وكيل النيابة : والحكومة موافقة ياصاحب الفخامة ..

جلس القاضى لورانس مكانه صامتا برهة طويلة .. وما لبث ان مال الى الامام ونظر فى عينى تريسى قائلا :

ـ ان احد الاسباب لوجود بلادنا العظمة هذه فى حالة تدعو الى الاسف هو أن الشوارع تعيش فيها حشرات آدمية ممن يظنون انهم يستطيعون الافلات بأى شىء ، والضحك على القانون ... كما أن بعض الانظمة القضائية فى هذه البلاد تدلل المجرمين .. حسنا .. لكننا هنا فى لويزيانا لا نؤمن بهذا .. واذا حاول شخص اثناء محاولة السرقة ارتكاب جريمة القتل عامدا ، فيقيننا هو أن هذا الشخص يجب عقابه العقاب الحق ...

بدأت تريسى تحس ببوادر الفزع ... فتلفتت تنظر الى بيرى بوب ، فكانت عيناه مركزتين على القاضى الذى استطرد يقول :

ـ لقد اقرت المتهمة بانها حاولت قتل واحد من المواطنين البارزين فى هذه المدينة ـ وهو رجل اشتهر بحبه للخير والاعمال الطيبة ـ لقد اطلقت المتهمة النار عليه بينما كانت تسرق قطعة فنية تساوى نصف مليون دولار ...

ثم تزايد صوته صرامة وهو يمضي قائلا : حسنا ... ان هـذه المحكمة ستعمل على الا تملك من التنعم بهذا المال ، ليس خـلال السنوات الخمس عشرة القادمة ـ لانه فى خلال السنوات الخمس عشرة القادمة سوف تكونين سجينة فى سـجن النسـاء بولاية لويزيانا ...

شعرت تريسي بقاعة المحكمة تدور من حولها ... لاشك أن هذه مزحة فظيعة تمثل امامها ، وان القاضي هو ممثل يقوم بدوره فيها ولكنه ينطق بكلمات دخيلة على الدور .. فتلفتت لكي تقول هـذا للمحامي بيري بوب ، بيد انه كان مشيحا بنظرة ، منهمكا فى دس اوراق فى حقيبته ... واما القاضي لورانس فقد نهض واخذ يجمع مذكراته .. وهكذا وقفت تريسي مكانها مشلولة ، عاجزة عن فهم مايحدث لها ...

ثم تقدم حارس الى تريسي واخذ ذراعها قائلا : تعالى بنا ..

وعندئذ هتفت تريسي : لا .. لا ! .. هناك خطأ فظيع يا صاحب الفخامة .. انني ..

وعندما شعرت بقبضة الحارس تشتد على ذراعها ، ادركت انه لا خطأ هناك ... فقد خـدعوها .. وهم الآن بسـبيلهم الى تدميرها ...

تماما كما دمروا امها من قبل ...

الفصل الرابع

نشرت جريمة تريسي هويتني والحكم الصادر عليها فى الصفحة الاولى فى جريدة نيواورليانز كوريير ، مصحوبة بصورتها ... والتقطت وكالات الانباء القصة وأبرقت بها الى الصحف فى أرجاء البلاد ... وعندما نقلت تريسي من قاعة المحكمة انتظارا لترحيلها الى سجن النساء ، حاصرتها كاميرات التليفزيون من كل جانب حتى حجبت وجهها مذلة ، لكن لم يكن لها مهرب من الكاميرات .. ان جو رومانو كان محطا ضخما للاخبار ، وكانت محاولة قتله على يد فتاة جميلة مناطا للاخبار اضخم ... وبدا لتريسي كانها احيطت بالاعداء من كل جانب ، فراحت تبتهل الى الله أن يعمل تشارلز على

تحدثها ، حتى لا يكتب عليها ان تضع الجنين الذى حملت به منـــه في غياهب السجن ...

ولم يسمح لها باستعمال التليفون الا فى عصر اليوم التالى ، ولما تم الاتصال بمكتب ستانهوب هتفت تريسى قائلة للسكرتيرة :

ـ هاريت ... انا تريسى هويتنى ... اود مكالمة مســـتر ستانهوب ! ..

وبعد انتظار طويل ثقيل سمعت فى النهاية صوت تشارلز :

ـ تريسى !.. هذا انت ؟..

ـ نعم يا حبيبى ... اواه ياتشارلز .. حاولت مرارا الاتصال !

ـ اننى كدت اجن ياتريسى !.. ان الجرائد هنا مملوءة بقصص منيفة عنك ! .. لا يمكن أن اصدق مايقولونه !..

ـ لا شىء منه حقيقى ياحبيبى !.. لا شىء ! .. اننى .

ـ واين انت الآن ؟ ..

ـ انا .. انا تحت الحجز فى نيواورليانز .. تشارلز ! .. انهم سيرسلوننى الى السجن عن شىء لم افعله ...

قالت هذا ودموعها تجرى برغمها .. فسمعته يقول :

ـ اسمعينى .. الجرائد تقول انك اطلقت النار على رجل .. هل هذا حقيقى ؟ ..

ـ اننى اطلقت النار عليه فعلا ، لكن ...

ـ اذن فهو حقيقى ..

ـ ليس كما يبدو ياحبيبى ... ليس كهذا بالمرة .. بامكانى ان اشرح لك كل شىء .. انا ..

ـ تريسى .. هل اقررت بمحاولة القتل وسرقة لوحة فنية ؟.

ـ نعم ياتشارلز ... لكن فقط لان ..

ـ يا الهى !.. لو كنت فى حاجة الى مال الى هذه الدرجة ، لكان عليك مناقشة هذه المسالة معى !... ثم محاولة قتل انسان !؟..

لا يمكن ان اصدق هذا !.. ولا يمكن أن يصدقه والدى ووالدتى !. ان قصتك هى العنوان الرئيسى فى جريدة فيلادلفيا دايلى نيوز !.. هذه اول مرة تهب رائحة فضيحة على اسرة ستانهوب !..

كان التجلد المرير البادى فى صوت تشارلز هو الذى اشـــعر

تريسي بعمق مشاعره ... انها كانت تعول عليه في استماتة لعه : فاذا هو يقف على الجانب الآخر ، جانب اعدائها ! .. لقد غالبت نفسها لكيلا تصرخ وهي تقول : حبيبي ... انا محتاجة اليك ... اتوسل اليك ان تحضر الى هنا ! ... بامكانك ان تعمل اي تسوية كل هذا !..

ساد صمت طويل ، راح بعده يقول : لايبدو انه يمكن تسوية اى شيء ... ليس بعد اعترافك بانك فعلت كل هذه الاشياء ... ان الاسرة لا يمكنها ان تسمح بتورطها في شيء كهذا ... مؤكد انك ستفهمين هذا .. انه كان صدمة مريعة لنا !.. الظاهر انني لم اعرفك تماما !...

كانت كل كلمة كضربة مطرقة .. ان الدنيا تتهاوى فوق راسها لقد شعرت بوحدة لم تشعر بمثلها في حياتها .. وليس امامها الآن من احد يمكن ان تلجأ اليه ...

ـ وماذا .. ماذا عن طفلنا ؟..

فرد تشارلز قائلا : عليك ان تفعلي بطفلك ماترينه افضل ... انا اسف ياتريسي ..

وانقطع الاتصال التليفوني ...

جمدت تريسي ممسكة بسماعة التليفون الخامدة ... وعندما اعيدت الى زنزانتها جاءت مشرفة تقول لها : استعدي للرحلة في الخامسة صباحا ..

***

جاءها زائر ... لقد بدا لها أوتوشميدت وكيل مصنع امها السابق وقد شاخ في خلال الساعات القلائل الماضية منذ أن رأته في المرة الاخيرة ، ولاحت عليه علائم المرض ...

قال لها : جئت لكي اقول لك كم انا وزوجتي حزينان .. نحن نعرف انه مهما يكن ماحدث ، فليس الذنب فيه ذنبك ...

الا ليت تشارلز قال مثل هذا !..

ـ انني وزوجتي سنشهد جنازة مسز دوريس غدا ..

ـ شكرا لك يا أوتو ..

« لسوف يدفنوننا نحن الاثنين غدا ، أمي وأنا » ... بهذا جرت

خواطر تريسى وهى فى اشد حالات التعاسة ...

ولقد امضت ليلتها يقظى لم يغمض لها جفن ، ممددة فى فراش الحجز تحدق فى السقف ، مستعيدة فى خيالها حديثها مع تشارلز مرارا وتكرارا ... انه لم يمنحها قط فرصة للشرح والبيان ..

كان عليها أن تفكر فى الجنين الذي حملته فى أحشائها .. لقد سمعت عن نساء وضعن اطفالهن فى السجن ... لكن تلك القصص كانت بعيدة كل البعد عن حياتها هى الى حد انها كانت تبدو لها وكأنها من أناس فى كوكب آخر ... أما الآن فذلك حادث لها ، ماثل فى شخصها ... لقد قال لها تشارلز : « عليك ان تتخلى بطفلك ماترينه افضل » ... انها لتريد أن تنجب طفلها هذا ... ومع ذلك ناجت نفسها : انهم لن يدعونى احتفظ به .. انهم سياخذونه منى لاننى سابقى فى السجن مدى الخمس عشرة سنة القادمة ... ومن الخير الا يعرف قط شيئا عن امه ...

وعند هذا الحد بكت مدرارا ...

وفى الساعة الخامسة صباحا نقلت فى سيارة السجن ذات النوافذ المشبكة بالقضبان مع لفيف من النساء تحت حراسة جنديين مسلحين .. لقد راحت تتصفح وجوههن غير شاعرة بجو السيارة الفاسد الهواء ... منهن من كانت تبدو عليها علائم التحدى والحرد ، ومنهن من كانت حليفة السآمة والملل ، واخريات كانت سمات اليأس والقنوط مرتسمة فى قسمات وجوههن ... ان الحياة التى عشتها توشك أن تبلغ نهايتها ... كن منبوذات . مسوقات الى اقفاص سوف توصد عليهن مثل حيوانات ... لم تتمالك تريسى أن تساءلت فى نفسها : اية جرائم اقترفتها ، وهل بينهن من كانت بريئة مثلها ؟... وياترى ماذا يرين فى وجهها هى ؟..

ولم تفق تريسى من تاملاتها المريرة الا حين توقفت السيارة عند مدخل السجن الكالح المرهوب ... تسع سياجات تعلوها الاسلاك الشائكة تحيط بخمسمائة فدان من الارض الزراعية والغابات كانت هى حدود سجن النساء فى ولاية لويزيانا ..

كانت هذه هى الطوالع ... أما السجن ذاته فهو الجحيم لاراد عنه ولا دافع من دونه ...

الفصل الخامس

وقفت مشرفة بدينة متحجرة السحنة في مواجهة السجينات الجدد قائلة : ان بعضا منكن سوف يبقين هنا مدة طويلة ، طويلة .. ولا توجد غير طريقة واحدة لقضاء المدة ، وهي نسيان كل ما يتصل بالعالم الخارجي ... ولكن أن تمضين المدة بالطريقة السهلة او بالطريقة الصعبة ... عندنا هنا نظم ولوائح ، ولسوف تتبعنها .. سنقول لكم متى تستيقظن ، ومتى تشتغلن ، ومتى تأكلن ، ومتى تذهبن الى دورة المياه .. ومن تتجرأ منكن على مخالفة نظمنا ولوائحنا ، سوف تتمنى لو كانت في عداد الاموات ... اننا نحب ان يسود السلام هنا ، ونحن نعرف كيف نتصرف مع أهل الشغب والمتاعب ...

ثم انتقلت بعينيها الى تريسي واستمرت قائلة : سوف تتوجهن الآن الى الكشف البدني ... وبعده تذهبن الى صالة « الدش » ثم توجه كل منكن الى الزنزانة المحددة لها مع زميلاتها ... وفي الصباح تتلقين اوامر الشغل لكل منكن ... هذا كل ما هناك ...

واشارت المشرفة الى امرأتين من الحارسات وقفتا في الخلف واردفت : اذهبا بهؤلاء الساقطات من هنا ! ...

لقد روعت تريسي بما سمعت ورأت ، ولكنها ألفت نفسها تقاد مع الاخريات الى خارج الحجرة في ممشى طويل افضى الى قاعة فسيحة وقف بها طبيب بدين في منتصف العمر الى مائدة الكشف ، حيث أوقفت السجينات صفا واجرى الكشف عليهن عاريات للتأكد من خلوهن من الامراض الخبيثة ، حتى شعرت تريسي بأن الموت أهون عندها من هذا الامتهان لكرامة الانسان ، وكان أقسى ماسمعته هو التحذير من اخفاء مواد مخدرة في اجسامهن ...

وبعد هذه المحنة كان حمام « الدش » المكشوف ، ثم الانتقال الى عنبر ملابس السجن حيث زودت كل واحدة منهن بكسوتين وحذاءين وجلبابين للنوم وفرشاة للشعر وكيس للملابس ... وكان الختام في قاعة اخرى اخذت فيها صورة للوجه وبصمات للاصابع

وعندها قالت تريسي لنفسها بحرارة : انا انتهيت فعلا ... اصبحت مجرد رقم ، بلا اسم ، ولا كنية !..

على انها سمعت حارسا يشير اليها قائلا : هويتني ؟ ... مدير السجن يريد ان يراك .. اتبعيني ..

شعرت تريسي فجاة بقلبها يحلق في السماء ... هاهو ذا تشارلز قد فعل شيئا آخر الامر !.. بالطبع هو لم يتخل عنها ، مثلما هي لم تفكر قط في التخلي عنه ! .. وما تصرف بذلك الاسلوب الا بسبب الصدمة المفاجئة ! .. ثم اتسع له الوقت لكي يتدبر الموقف ولكي يدرك أنه مازال يحبها !.. ولاشك انه قد اتصل بمدير السجن وشرح له الخطأ الفظيع الذي حدث ! ... ولسوف يطلقون سراحها ! ...

ويسير بها في ممشى مختلف ، بين ابواب كثيفة القضبان يقوم عليها حراس من رجال ونساء ... وما ان وصلت تريسي الى مكتب مدير السجن حتى كانت على وشك الاغماء من فرط التشوف والترقب ... هل سيكون تشارلز موجودا ؟ .. أم لعله أرسل محاميه ؟ ...

وقد اومأ سكرتير مدير السجن الى الحارس قائلا : انه ينتظرها انتظر انت هنا ..

كان جورج برانيجان مدير السجن جالسا الى مكتب مخدوش يتفحص بعض أوراق أمامه ... وكان رجلا نحيلا في حوالي الاربعين من عمره بادي التوتر والحساسية ، غائر العينين ألزرقاوين لقد تقلد زمام العمل في سجن النساء هذا منذ خمس سنوات وكان عند وصوله مشبعا بالمبادىء المثالية ، معتزما تطبيق نظم اصلاحية جذرية في السجن ... ولكن سرعان ماهزم أمام الواقع ، كما هزم كثيرون قبله ...

كان السجن مقاما اصلا لايواء نزيلتين في الزنزانة الواحدة ، اما الآن فان كل زنزانة اصبحت تضم من اربع الى ست سجينات . وكان يعلم أن هذا الوضع ينطبق في كل السجون الامريكية التي اصبحت مكتظة بنزلائها من الوف المجرمين الذين لم يكن لهم عمل ولا شاغل سوى اجترار أحقادهم وتدبير خطط الانتقام ...

ومهما يكن فقد فتح الباب ودخلت تريسي ... فرفع برانيجان راسه وتطلع الى المرآة التي امامه .. وعلى الرغم من زي السجن الذي لبسته تريسي وعلائم الضنى على وجهها ، فمازالت تبدو

جميلة ... رأى المدير امامه محيا فاتنا تطبعه البراءة والاخلاص ، حتى لقد تساءل في نفسه الى متى يمكن ان تدوم بهذه الصورة .. ثم أنه اهتم بهذه السجينة بصفة خاصة لانه قرأ قضيتها في الصحف ودرس ملفها .. كانت مذنبة لاول مرة ، ولم تقتل احدا ، وكان الحكم بسجنها خمس عشرة سنة قاسيا بصورة غير عادية .. كما ان حقيقة كون جو رومانو هو صاحب دعوى الاتهام ، قد جعلت هذا الحكم اكثر مدعاة للتشكك ... لكن مدير السجن كان ببساطة موكلا بحراسة الابدان ، وتطبيق القوانين !...

قال لها : تفضلي بالجلوس ..

سرت تريسي بالجلوس ، فقد كانت متخاذلة الركبتين ... ولسوف يحدثها عن تشارلز ، ومن موعد الافراج عنها بأسرع وقت ...

بدأ المدير كلامه بقوله : انني اطلعت على ملفك ... ورأيت انك ستبقين معنا مدة طويلة .. خمس عشرة سنة مدة الحكم ..

لبثت تريسي برهة قبل أن تستقر كلماته في وعيها ... هناك خطأ مخيف ولا شك ... وقالت متلعثمة : الم ... الم تتكلم مع . مع تشارلز ؟ ..

فنظر اليها عازب الذهن قائلا : تشارلز ؟..

عندئذ عرفت الواقع ... فذابت احشاؤها وهي تقول : بالله !... بالله الا ما انصت الي ؟ ... انا بريئة ! . انا لا انتمي الى هذا المكان !..

كم من مرة سمع المدير هذا الكلام ! .. مائة مرة ؟ ... الف مرة ؟ .. دائما « انا بريئة » ! ...

قال لها : ان المحاكم قررت انك مذنبة ... وافضل نصيحة اقولها لك هي ان تحاولي مواجهة الموقف بيسر وسهولة .. ومتى تقبلت شروط وواجبات سجنك ، فسيكون كل شيء سهلا هينا .. ليس في السجن ساعات ، بل تقاويم سنوية فقط ..

راحت تريسي تناجي نفسها في يأس وقنوط : لا يمكنني ان ابقى حبيسة هنا خمس عشرة سنة ! ... اريد ان اموت ! ... امتني يارب ! ... لكن لا يمكن ان اموت ، والا قتلت طفلي ! .. انه طفلك انت ايضا يا تشارلز ! ... لماذا لم تجيء الى هنا لمساعدتي ؟ ...

وفي هذه الآونة فقط ، بدأت كراهيتها لتشارلز ...

ثم عاد مدير السجن يقول : اذا كانت عندك مشاكل خاصة ، أقصد اذا كان بوسعى مساعدتك بأى طريقة ، فاريد منك أن تطلبى مقابلتى ...

وكان فى قرارة نفسه يشعر وهو يقول هـذا الكلام انه كلام اجوف ... فهى غضة الشباب ، موفورة الحسن .. ولسوف تكون فريسة لذئبات السجن من السجينات المسترجلات .. وليس فى السجن زنزانة واحدة مأمونة يمكن ان يودعها بها ، فكل زنزانة تسيطر عليها واحدة من الذئبات ... لقد سمع المدير عن اعتداءات كثيرة تجرى فى أرجاء السجن ، ولكنها لم تجاوز حد الشائعات ، لان الضحايا كن يلزمن الصمت دائما ... أو يلقين حتفهن !.

واخيرا قال برانيجان برقة : اذا كنت حسنة السير والسلوك ، فقد يفرج عنك بعد اثنتى عشرة أو ...

ــ كلا ! ..

لقد اطلقتها تريسى صيحة يأس مطبق ... لقد شعرت بجدران المكتب تطبق عليها .. وانتفضت على قدميها صارخة ... فخف الحارس اليها وأمسك بذراعيها ... فأمره برانيجان قائلا : على مهلك ! ..

وجلس مدير السجن مكانه مغلوبا على أمره ، يراقب تريسى وهم يأخذونها من المكتب ..

وسير بها فى سلسلة من الاروقة مارة بزنزانات مليئة بنزيلات من جميع الاوصاف ... منهن السوداء والبيضاء ، والسمراوات والصفراوات ... وكن يحدقن اليها وهى تمر وينادين عليهـا بعشرات اللهجات نداءات كلها تلميحات وغمزات لا تخلو من السفه والفحش ...

الفصل السادس

كان استدعاء تريسى الى مكتب مدير السجن هو أملهـا الواهى الوحيد ... اما الآن فلم يبق شىء ... لاشىء سوى التوقـع الرهيب للبقاء أسيرة هذا « المطهـر » على مدار خمس عشرة سنة ...

وعنـد باب الزنزانة فى عنبر رقم ٣ الذى يضـم سـتين

امراة لكل زنزانة اربع سجينات ـ فتحت المشرفة الباب وقالت لها : ادخلي ! ...

ادارت تريسي عينيها فيما حولها ، فاذا الزنزانة تضم ثلاث نساء ، جعلن مراقبتها في صمت ، بينما اغلق الباب من خلفها ...

كانت الزنزانة الضيقة لا تكاد تتسع لاربع أسرة ، وطاولة صغيرة فوقها مرآة مشققة ، واربعة صناديق صغيرة ، ومرحاض بلا مقعد في الركن القصي ...

كانت نزيلات الزنزانة امراة من بورتوريكو ، واخرى مكسيكية ، والثالثة زنجية طويلة كالمارد ، نفاذة العينين ، حليقة الراس ، وهي التي قالت لها وهي تتفرس فيها بنظرات غريبة : سريرك هناك في الركن ...

تقدمت تريسي الى السرير ، فافزعتها « المرتبة » التي كانت عليه لفرط قذارتها وبشاعتها ، حتى لم تتمالك ان هتفت :

ـ من ... من يمكن ان اكلمه للحصول على « مرتبة » نظيفة ؟..

فردت عليها الزنجية الماردة قائلة : ارضي بحظك ياطفلتي ... اعرفك بنفسي ... اسمي ارنستين ... وهذه لولا ... وهذه براينا . عرفينا بنفسك ..

ـ اسمي .. اسمي تريسي هويتني ..

ـ ومن اين جئت ياحلوة ؟..

ـ انا آسفة .. انا .. انا لا اشعر برغبة في الكلام ..

والواقع انها شعرت فجاة بضعف بالغ لا تقوى معه على الوقوف ، فارتمت على حافة الفراش القذر وراحت تمسح العرق البارد على وجهها بطرف ردائها وهي تناجي نفسها : طفلي ... كان يجب أن اخبر مدير السجن انني ساضع طفلا ... وعندئذ ينقلني الى زنزانة انظف ... بل ربما سمحوا لي بأن اكون في زنزانة وحدي ...

ولما زاد بها الاعياء تمددت فوق الفراش في شبه غيبوبة ، فلم تفق الا على رنين جرس مدو متصل ، وصوت ارنستين يقول : موعد العشاء ...

فتحت تريسي عينيها ... فسمعت اصوات ابواب الزنزانات تفتح في ارجاء العنبر ... وسيقت مع زميلاتها الثلاث ومع سائر النزيلات الى المطعم في صف مزدوج .. كان المطعم اقرب الى ساحة

متراميه الاطراف قامت فيه موائد ومقاعد خشبية ، وفى جانب منه منضدة مستطيلة تعلوها الاواني الباخرة لتلقى منها السجينات حصتهن من الطعام واحدة وراء الاخرى فى صحاف من معدن رخيص ...

ولما جلست تريسي الى مائدة حفت بها عشرون سجينة ووقع نظرها على الطعام عافته وازورت عنه ، وعندئذ قالت لها المدعوة لولا : اذا ضبطوك وانت لا تاكلين ، فسينقلونك الى « البدروم » ، وما ادراك ما البدروم ؟! هو حفرة تحت الارض ، تكونين فيها بمفردك ! ...

ثم اردفت بلهجة لم تفهم تريسي مدلولها الا فيما بعد : هذه اول مرة لك هنا ؟ .. حسنا .. ساتحفك بنصيحة تفيدك .. ان زميلتنا ارنستين لها نفوذ كبير هنا .. فكونى لطيفة معها ، لكي تضمك تحت حمايتها ... وستنضم الينا فى الزنزانة ...

انتهى طعام العشاء بعد نصف ساعة حيث كانت الساعة الرابعة وبقيت خمس ساعات طوال قبل ان تطفأ الانوار ...

وعندما عادت تريسي الى الزنزانة كانت ارنستين موجودة بها فعلا ، وقد بادرتها قائلة : فهمت انك لم تأكلي طعامك ... هذه غباوة ..

كيف عرفت هذا ؟ .. وماذا يهمها منه ؟

ثم اقتربت من تريسي واردفت قائلة : توجد هنا اشياء كثيرة يمكن ان تعرضك للمتاعب ، وهم هنا قساة لا يعرفون الرحمة ... أنت فى حاجة الى « صاحبة » يمكنها ابعادك عن المتاعب ..

وابتسمت الزنجية الماردة ابتسامة كشفت عن سن ذهبية ، وعادت تقول بصوت ناعم .. صاحبة تعرف كل اسرار حديقة الحيوانات هذه ! ...

وفى التاسعة الا الربع دوى جرس التنبيه فى أرجاء السجن .. فبدأت زميلات تريسي فى نزع ملابسهن ... اما هى فلم تتحرك .. فقالت لها المدعوة لولا : امامك ربع ساعة لكي تستعدى للنوم ...

لقد تجردت السجينات الثلاث ولبسن جلابيب النوم ، الا تريسي التى بقيت ممددة فى فراشها .. وعندما رأتها المشرفة فى طوافها أمرتها فى شراسة أن تحذو حذو زميلاتها والا لقيت ماتكره ، ومضت

(طوالها .. وازاء تحذير المدعوة بوليتا لها من شر هذه المشرفةنهضت تريسي متباطئة واخذت تخلع ملابسها مديرة ظهرها لزميلاتها ، ثم ادخلت رأسها في جلباب النوم وهي تحس بنظرات السجينات الثلاث لاتفارقها ، حتى قالت المدعوة بوليتا : لك جسم بديع !..

ورددت المدعوة لولا ، مثل هذا القول حتى لقد شعرت تريسي برعدة تسري في كيانها ... ولم تلبث أرنستين أن دنت منها قائلة بصوت اجش منفعل : نحن أصحابك ... اننا سنعني بك الى آخر درجة ! ...

فلم تتمالك تريسي أن انثنت بعنف قائلة : دعوني وحدي ! ... دعوني كلكم .. انا لست ماتظنون !..

فضحكت الزنجية قائلة : صبرا ياطفلتي ... عما قريب ستغيرين رأيك ، وتصبحين اطوع لنا من البنان !..

وتحت جنح الظلام كانت المأساة الكبرى ...

لقد ظلت تريسي ممددة في فراشها يقظى تغالب الاعياء والنوم ساعات وهي تشعر بزميلاتها متحفزات للانقضاض عليها .. فاعتزمت أن تظل ليلتها ساهرة ... وفي هذا قالت لنفسها : سيطلع النهار وشيكا ... وفي الصباح سأطلب مقابلة مدير السجن واخبره عن الطفل ... وعندئذ سوف ينقلني الى زنزانة اخرى !..

وما ان كانت الساعة الثالثة صباحا حتى عجزت عن ابقاء عينيها مفتوحتين ... وهكذا نامت ..

ثم استيقظت ويد تطبق على فمها ، وايد اخرى تمزق ملابسها فذومت ، واستماتت في المقاومة ، وركلت بقدميها ، وعضت بالنواجذ ، دون جدوى ...

وفي استماتة بالغة أفلتت لحظة من ايدي السجينات الثلاث ، لكن احداهن جذبتها وضربت رأسها بقضبان الباب حتى شعرت تريسي بالدم يتفجر من انفها ...

والقينها على الارض ... وسمرن يديها وقدميها ... فراحت تقاوم بجنون وتحاول الصراخ مستيئسة رغم ما كان يكال على وجهها من لطمات ... وفي النهاية لم تعد تعي شيئا ...

وكان رنين الجرس هو الذي ايقظها ... الفت نفسها ممددة على ارض الزنزانة الاسمنتية مجردة ، وزميلاتها الثلاث في أسرتهن ...

وعندما مرت المشرفة في الممشى وهي تنادي : « قمن وانشطن » وقع نظرها على تريسي ممددة على الارض في بركة من الدماء ووجهها مهشم واحدي عينيها مورمة مطبقة ... ففتحت الباب ودخلت قائلة :

ماذا يجري هنا بحق الشيطان ؟! ..

فتولت ارنستين الزنجية الجواب قائلة : لابد انها وقعت على الارض من سريرها ...

فاقتربت المشرفة من تريسي ورفستها بقدمها قائلة : قومي ، يا انت ! ...

لقد سمعت تريسي الصوت كانه صادر من مكان سحيق .. بيد انها كانت عاجزة عن الحركة ، وجسدها يتمزق الما ...

فجذبتها المشرفة من ابطيها في وضع جلوس ، حتى كاد ان يغمي على تريسي من شدة الوجع ... وقالت : ماذا جرى ؟..

ومن خلال عين واحدة لمحت تريسي أشكال زميلاتها المشوشة ، ينتظرن صامتات ردها .. فهمت أن تتكلم ، ولكن الكلمات لم تخرج من حلقها ... ولما كررت المحاولة تغلبت عليها غريزة خفيه جعلتها تقول : سقطت من السرير ..

فردت المشرفة بغلظة : انني أكره الميوعة !.. لننقلك الى « الحفرة » حتى تتعلمي الادب !..

ولما أفاقت تريسي الفت نفسها وحيدة في ظلام حالك .. ولم تكن حولها اي اثاث في « البدروم » الضيق سوى « مرتبة » بالية على أرض الاسمنت الباردة ، وعن كثب حفرة ضيقة هي المرحاض ...

لم تدر على وجه اليقين اين هي ... ما كان هذا ليهمها ، وانما أهمها ذلك الالم المبرح الوحشي في جسدها .. « لابد انني وقعت من السرير وآذيت نفسي » ... دارت هذه الكلمات في خاطرها قبل ان يغلبها النوم مرة أخرى ...

نامت تريسي ثمانيا واربعين ساعة ، فاذا حدة الالم المبرح قد بدات تخف ... ولما فتحت عينيها الفت نفسها في عدم وخواء ... كان الظلام كثيفا الى حد انها لم تستطع أن تتبين شكل الزنزانة التحت أرضية ... ومالبثت الذكريات أن بدات تغمرها ... انهم

حملوها الى الطبيب ، وتذكرت صوته وهو يقول : ... ضلع مكسور ورسغ مرضوض ... سنقوم بجبرهما ... ان الجروح والرضوض سهلة ، لكنها ستشفى .. انها فقدت طفلها ..

همست تريسي لنفسها : آواه ! .. طفلي ! ... لقد قتلوا طفلي ! .

لم بكت .. بكت فقد طفلها .. وبكت نفسها ... بكت الدنيا المحطمة باسرها ..

لقد رقدت تريسي على المرتبة النحيلة في الظلام البارد ، وفاضت نفسها بكراهية عارمة هزت جسدها هزا .. وقد اضطرمت افكارها اضطراما الى حد أن عقلها خلا من كل عاطفة الا شيئا واحدا : الانتقام ! ..

لم يكن هذا الانتقام موجها الى زميلاتها في الزنزانة اللاتي اعتدين عليها هذا الاعتداء الوحشي ... فهن ضحايا مثلها .. كلا .. انما كانت ضالتها هم الرجال الذين أوصلوها الى هذا .. الذين دمروا حياتها .

جو روماتو الذى قال : « ان امك الخبيثة خدعتني .. لم تقل لي ان لها ابنة بهذه الحلاوة » ...

وانطوني أورساتي الذى قال عنه المحامي : « ان جو روماتو يعمل لحساب رجل يدعى انطوني اورساتي ... ان أورساتي يسيطر على مدينة نيو أورليانز » .

والمحامي بيري بوب الذى قال لها : « اذا اقررت انك مذنبة ، فانك ستوفرين على الحكومة مصاريف القضية » ...

والقاضي هنري لورانس الذى قال وهو ينطق بالحكم : « .. في خلال السنوات الخمس عشرة القادمة ستكونين سجينة في سجن النساء بولاية لويزيانا » ...

هؤلاء هم اعداؤها ... ثم هناك أيضا تشارلز ستانهوب ، ذلك الذى لم يتريث حتى للاستماع اليها ، وراح يقول : « .. لو كنت بحاجة الى المال الى هذه الدرجة ، لكان عليك مناقشة هذه المسألة معي ... الظاهر انني لم اعرفك تماما ... عليك أن تفعلي بطفلك ما تراه افضل » ...

الا انها ستجعلهم يدفعون الثمن ... كل واحد منهم ! .. لكن لم تكن لديها اية فكرة عن كيفية تحقيق هذا العزم .. لكن لابد من الانتقام .. وقالت لنفسها : غدا ... اذا جاء الغد ...

الفصل السابع

فقد الزمن معناه ، فلم يكن ثمة بصيص من النور في « الحفرة » التحت ارضية ، ولم يعد هناك فرق بين الليل والنهار ، وهكذا لم تدر تريسي كم لبثت في هذا الحبس الانفرادي .. وبين حين وحين كان يدفع اليها بطعام بارد من خلال ثقب اسفل الباب .. لم تكن لها شهية ، بيد انها تحاملت على نفسها لتناول كل لقمة ، فقد ادركت انها تحتاج الآن الى كل ذرة من القوة لكي تعينها على تحقيق ما اعتزمته ...

كانت في موقف يعده كل انسان آخر ميئوسا منه ، فقد قضي عليها بالسجن خمسة عشر عاما ، وهي بلا مال ، ولا اصدقاء ، ولا موارد من اي نوع ... غير انها كانت تملك معينا فياضا من القوة والعزم ، جياشا في أعماقها ، حتى قالت لنفسها : « سأتعلق بالحياة ... سأواجه اعدائي مجردة ، لكن شجاعتي هي درعي »..

لسوف تبقى على قيد الحياة كما بقي اجدادها الاولون ... لقد اختلطت في شرايينها دماء انجليزية وايرلندية واسكتلندية ، وقد ورثت عنهم انقى صفاتهم واصفى سجاياهم : الذكاء ، والشجاعة ، والارادة ... ناجت نفسها مرة اخرى : « ان اجدادي وأسلافي قاوموا ونجوا من المجاعات والطواعين والطوفانات ، ولسوف أنجو واعيش مثلهم رغم هذا الكرب الذي حاق بي » ... لقد أحست انهم معها الآن في هذا القبر : الرعاة وقناصو الوحوش ، المزارعون وأرباب التجارة ، الاطباء والمدرسون ! ... ان اشباح الماضي وكل واحد من هؤلاء قد حلوا جميعا في كيانها ، فأقسمت الا تخيب ظنونهم فيها ... ومن ثم بدأت تفكر في اعداد خطط الهرب ... والانتقام من اعدائها ...

***

بعد سبعة ايام اعيدت تريسي الى زنزانتها المشتركة ...

كانت هذه العودة اقسى شيء عندها ... فما ان وطئت أرضها حتى تملكها الفزع من ذكرى ما استهدفت له في تلك الليلة المشئومة ... وكانت زميلاتها غائبات عن الزنزانة في العمل .. فمددت

فوق السرير تحدق فى السقف وهى تفكر فى خطط الهرب والانتقام مثنى وثلاث ورباع حتى لا تترك ثغرة للفشل ... وفى النهاية مدت يدها الى قاع السرير وانتزعت منه قطعة معدنية وضعتها تحت المرتبة ... ولما حانت الساعة الحادية عشرة دق جرس الغداء ، فكانت تريسى اول الصف فى الممشى ...

وفى المطعم الكبير ابصرت المراتين بوليتا ولولا جالستين الى مائدة قرب الباب ، ولكنها لم تجد اثرا للزنجية ارنستين .. فاختارت مائدة حولها سجينات غريبات عنها ، والتهمت طعامها عن آخره ، لم التفات عائدة الى الزنزانة المشتركة وظلت وحدها حتى الساعة الثالثة الا الربع ، عندما عادت زميلاتها ...

وعندما رأتها بوليتا تولتها الدهشة وابتسمت قائلة : اذن فقد عدت الينا ، ياقطة ، ياحلوة ! .. هل انبسطت مما فعلناه معك ؟

وقالت لولا : جميل ... عندنا لك الكثير ! ..

لم تبد تريسى دلالة على انها سمعت غمزاتهما الجارحة ... فقد كان مايعنيها هو المراة الزنجية ارنستين ... انها لم تكن تثق بها مثقال ذرة ، لكنها كانت بحاجة اليها ... او لم تقل لها احداهما أن ارنستين لها نفوذ كبير هنا ؟ ..

وفى هذه الليلة تمددت تريسى فى الفراش بعد الاظلام ولبثت تنصت الى انفاس زميلاتها ... وعبر الزنزانة سمعت بوليتا تهمس قائلة : سنريك ياحلوة كيف يكون الحب هذه الليلة ..

فاستضحكت لولا ورددت نفس المعنى ... ذلك ولم تصدر من ارنستين الزنجية كلمة واحدة ..

ولم تلبث تريسى ان شعرت بلفحة هواء عندما اقتربت منها لولا وبوليتا ... بيد أنها كانت على اهبة الاستعداد ... فرفعت القطعة المعدنية التى كانت ممسكة بها وضربت بكل قواها واصابت احدى المراتين فى وجهها ... فانبعثت صرخة الم ، بينما رفست تريسى شبح المراة الثانية ورأتها تقع ارضا ... وشفعت هذا بقولها : تعاليا مرة ثانية فاقتلكما ! ..

واحست بهما تهمان بالهجوم مرة ثانية وهما تسبان سبا قبيحا ، فلمعت قطعة المعدن .. غير ان صوت ارنستين انبعث فجأة فى الظلام وهى تقول : كفاية ! .. اتركاها وشأنها ! ..

ساد صمت طويل ... وسمعت تريسي المرأتين تعودان أدراجهما وهما تتنفسان بمشقة ... فتمددت في سريرها متحفزة ، مستعدة لخطوتهما التالية ... بينما قالت أرنستين : أعصابك حديد يا طفلتي ! ...

لزمت تريسي الصمت ، بينما ضحكت أرنستين ضحكة خافتة في الظلام وعادت تقول : انك لم تستنجدي بمدير السجن .. ولو فعلت لكنت الآن لحما ميتا ! ..

صدقتها تريسي ... ومرة أخرى سمعتها تقول : لماذا لم تطلبي نقلك من هذه الزنزانة ؟..

فردت تريسي بعزم : لانك سوف تساعدينني على الهرب ...

الفصل الثامن

جاءت مشرفة الى تريسي وقالت لها : حضر زائر لمقابلتك ياهويتني ...

تطلعت اليها تريسي في دهشة قائلة : زائر ؟..

من يمكن أن يكون ؟.. وفجأة عرفت .. هو تشارلز ... لقد جاء أخيرا .. لكن سبق السيف العذل ، وفات الاوان . انه لم يحضر حينما كانت في أمس الحاجة اليه ... « لا بأس .. لن أحتاج اليه ابدا مرة أخرى ... ولا لاى أحد آخر ! .. » .. هكذا جرت خواطرها ...

مهما يكن فقد تبعت تريسي المشرفة الى غرفة الزائرين ... ودخلت ...

كان شخص غريب تماما جالسا الى منضدة خشبية صغيرة .. وكان من أشد الناس بعدا عن الجاذبية .. كان قصيرا ، قميئا ، عالي الجبين بارزة ، ممدود الفم ، بدت عيناه العسليتان مكثفتين خلف نظارته السميكة ...

لم ينهض عند دخولها ، وقال لها : اسمي دانييل كوبر .. وقد سمح لي مدير السجن بأن اتكلم معك ...

فقالت تريسي مرتابة : عن أي شيء ؟..

ــ انا محقق من طرف اتحاد شركات التأمين الدولي ... ان

واحدا من عملائنا أمن على لوحة رينوار التى سرقت منه : وهو مستر جو رومانو ..

اخذت تريسي نفسا عميقا ، وقالت : لا يمكنني مساعدتك ... انا لم اسرقها ...

واتجهت الى الباب ، ولكن كلمات كوبر استوقفتها ، اذ قال : انا اعرف ذلك ...

فانثنت تريسي ونظرت اليه في حذر وقد توترت كل حواسها ، فقال :

ـ ان احـــــدا لم يسرق اللوحـــة ... انهم خدعوك يا مس هويتني ...

وفي بطء شديد تهالكت تريسي في مقعد ...

***

لقد بدات صلة دانييل كوبر بالقضية قبل ثلاثة أسابيع عندما استدعى الى مكتب رئيسه ج . رينولدز في مقر الاتحاد في مانهاتن، اذ قال له :

ـ عندى تكليف لك يادانييل ... وساوجز لك القصة ...

والواقع ان رينولدز كان محقا في رغبته في الايجاز ... فهو لا يحب دانييل كوبر لما اتصف به من غرابة الطبع والجفوة واعتزال الناس ، ولكنه كان يحتمله على مضض لانه كان يعرف فيه العبقرية والتفوق في عمله ، وبعبارة ادق كان في نظره كلب صيد ، وعقل كمبيوتر ... وكثيرا ما استطاع كوبر بجهوده وحده استرداد كثير من المسروقات ، وفضح مختلف حوادث الاحتيال على شركات التامين ...

واستانف رينولدز حديثه عن التكليف قائلا : ان احدى شركاتنا قامت بالتامين على لوحة نظير نصف مليون دولار و ...

ـ هى لوحة رينوار ... نيو اورليانز .. وهو جو رومــــانو . ولقد حوكمت امراة تدعى تريسي هويتني وصدر عليها الحــكم بالسجن خمس عشرة سنة .. ولم يتم العثور على اللوحة بعد ..

فقال رينولدز على مضض : تماما ... وقد اخفت المدعـــوة هويتني اللوحة في مكان ما ، ونحن نريد استردادها ... قم بهذه المهمة ...

فلم يفه كوبر بكلمة ، وغادر المكتب على الاثر ، تاركا رينولدز

يتميز من الغيظ ، وان كان موقنا انه سيبادر بالتنفيذ .

كان دانييل كوبر شخصية معقدة حقا ... كان في حياته سر رهيب حرص دائما على اخفائه ، وكان يؤمن في قرارة نفسه بأن التكفير عن الذنوب والخطايا يقتضيه ان يتعقب المذنبين والخاطئين لانزال العقاب بهم ، وبهذا وحده يتهيأ له التكفير عن اخطاء الماضي ، واعداد نفسه للآخرة ..

وكانت خطوته الاولى في هذه المهمة في مدينة نيو اورليانز ... فامضى خمسة أيام فيها ، عرف خلالها كل ماكان بحاجة اليه عن جوروماتو ، وانطوني أورساتي ، وبيري بوب ، وهنري لورانس .. وقد اطلع على أوراق محاكمة تريسي هويتني والحكم عليها ، وقابل الضابط ميلر وعرف حادث انتحار والدة تريسي هويتني ، وتحدث الى أوتو شميدت وعرف كيف تم تجريد مصنع هويتني من مشتملاته وافلاسه ... ومن كل هذا تأكد تماما أن تريسي هويتني كانت ضحية بريئة ... وبعد ذلك طار الى مدينة فيلادلفيا وتحدث الى ديزموند نائب مدير البنك الذي كانت تريسي تعمل فيه ... وواحد فقط رفض مقابلته ، هو تشارلز ستانهوب ...

***

والآن ، وهو جالس ينظر الى تريسي هويتني في غرفة الزائرين بالسجن ، زاد اقتناعا بأنه لم يكن لها أي ضلع في سرقة اللوحة الغنية الثمينة ، واصبح على استعداد لوضع تقريره عن القضية التي كلف بتحقيقها من قبل رئيسه ...

قال لها اخيرا : ان روماتو خدعك يامس هويتني ... كان لابد له عاجلا او آجلا أن يعلن عن سرقة اللوحة ... وكل ما حدث هو انك جئت مصادفة الى طريقه في اللحظة المناسبة لكي تحققي هدفه وتجعلي مبتغاه سهلا ميسرا ...

شعرت تريسي بقلبها تتزايد دقاته ... لقد عرف هذا الرجل انها بريئة ... واغلب الظن أن لديه ادلة كافية ضد جو روماتو أتبرئة ساحتها ... ومن الممكن ان يتكلم مع مدير السجن او حاكم الولاية بما يؤدي الى اخراجها وانتشالها من هذا الكابوس .. لقد شعرت فجاة بصعوبة في التنفس وهي تقول : اذن فسوف تساعدني ؟.

فقال دانييل كوبر بدهشة : اساعدك ؟!..

ـ نعم ... تحصل على عفو عني او ..

ـ كلا ...

كانت الكلمة مثل لطمة ، فقالت : كلا !.. لكن لماذا ؟.. اذا كنت اعرف انني بريئة ..

ـ ان مهمتي قد انتهت ...

قالها دمغها بهذه الكلمات وهو يعجب في نفسه كيف يكون بعض الناس بمثل هذا الغباء !..

وما ان عاد كوبر الى غرفته بالفندق حتى اعد التقرير التالي الى رئيسه رينولدز : « في اعتقادي ان تريسي هويتني لا ضلع لها اطلاقا في قضية سرقة لوحة رينوار . والمؤكد ان جورومانو عقد وثيقة التامين على اللوحة وفي نيته تلفيق حكاية السرقة والحصول على قيمة التامين ثم اعادة بيع اللوحة الى طرف آخر ، والاغلب ان اللوحة قد تسربت الآن الى خارج البلاد . ولما كانت هذه اللوحة معروفة ومشهورة عالميا ، فانني اتوقع ان تظهر في سويسرا ، حيث يسمح القانون لمن يشتري احد الاعمال الفنية ولو كانت مسروقة أن يحتفظ بها مادام يقرر انه اشتراها بحسن نية .

« التوصية ـ بما انه ليس هناك دليل مادى على جريمة رومانو ، فان على الشركة المؤمنة أن تدفع له قيمة التامين . ومن ناحية اخرى فانه من العبث الرجوع على تريسي هويتني اما لاسترداد اللوحة او التعويض ، مادامت ليس لها معرفة باللوحة ، هذا فضلا عن انها ستبقى في سجن النساء في لويزيانا مدى الخمس عشرة سنة القادمة » ...

ولقد توقف كوبر برهة للتفكير في أمر تريسي هويتني ... كان لابد ان غيره من الرجال يمكن أن يعدها جميلة .. وراح يتساءل في نفسه ، وبغير اهتمام حقيقي ، ماذا يمكن أن تفعله بها خمس عشرة سنة في السجن ؟ ...

لكن هذا لا يعنيه في قليل ولا كثير ..

الفصل التاسع

ذاقت تريسي اهوال العمل في مغسل السجن لغسل وكي ملابس السجينات حتى كادت تنهار اعياء وضنى ...

وفي اليوم الثامن من عملها جاء حارس وأبلغها انه تقرر نقلها

للعمل فى مطبخ السجن ، وهو احب واشهى مكان للعمل عند السجينات ... فقد كان فيه مستويان للطعام : طعام السجينات الذى تعافه النفوس ، وطعام ضباط وحراس السجن. وهو يشمل السمك الطازج والبفتيك ، والدجاج والخضر والفاكهة واطباق الحلوى المتنوعة ، وكان يجرى اعداده تحت اشراف طهاة مدربين من خارج السجن ، وكانت السجينات العاملات فى هذا القسم ينتهزن الفرصة ويتناولن منه مالذ وطاب .

وعند نقل تريسى للعمل فى المطبخ لم تدهش حين رأت ارنستين الزنجية هناك ، فلم يكن لديها شك فى ان هذا النقل تم بمسعاها بعد أن أصبحت تريسى موضع حمايتها ... وقد اقتربت منها وقالت لها بصوت تكلفت فيه المودة : اشكرك .. كيف امكنك ان تنتزعينى من مخالب المشرفة الشرسة ؟ ..

ـ انها لم تعد تعمل فى عنبرنا ...

ـ وماذا جرى لها ؟ ..

ـ عندنا نظام خاص بين السجينات هنا .. فاذا استبدت بنا مشرفة وجعلت حياتنا جحيما ، تخلصنا منها بالشكاوى الكيدية الى ان تضطر ادارة السجن الى نقلها .. لابد يابنيتى ان تعرفى الحقيقة ... فان الحراس ليسوا هم الذين يتولون تسيير الامور هنا ، وانما نحن السجينات ! ...

لم يكن يعنى تريسى شىء من هذا ، اذ كان المهم عندها أن تتوثق الصداقة بينها وبين هذه المرأة ، وهكذا سألتها : ما الذى جاء بك الى هذا السجن ؟ ..

ـ صدقينى اذا قلت لك ان هذا لم يكن بسبب غلطة منى ... اما الحقيقة فهى اننى كنت ارأس مجموعة من البنات كن يشتغلن لحسابى ...

قالت ارنستين انها كانت تدير مكتبا للتخديم وتنشر اعلانات فى كبريات الصحف عن استعدادها لتلبية طلبات الاغنياء من الخادمات المدربات ، وعند التحاق احداهن بالعمل كن ينتهزن الفرصة ويهربن بما تصل اليه أيديهن من المجوهرات والنفائس .. ولكن احداهن ضبطت وهى تعمل لدى عمدة المدينة بعد أن تعرفت عليها احدى الضيوف وقررت أنها هى اللصة التى سرقت مجوهراتها واختفت من منزلها ... وفى التحقيق اعترفت الفتاة بكل شىء ،

وهكذا قبض على ارنستين وحكم عليها واودعت هذا السجن ..

كانت الاثنتان وحدهما قرب احد المواقد ، فقالت تريسي همسا :

ـ لا يمكنني ان ابقى في هذا السجن .. لابد لي من تنفيذ شيء معين في الخارج ... فهل تساعدينني على الهرب ؟..

ومرة اخرى تحاشت ارنستين أن ترد عليها بما يشفي غليلها ، وظلت تتحين الفرص ...

***

في فترة العصر كل يوم كان يسمح للسجينات بتمضية ساعة في قاعة الاستراحة ، حيث يسمح لهن بالفرجة على التليفـزيون او التحدث او قراءة الصحف والمجلات ... وبينما كانت تريسي تتصفح احدى المجلات استوقفت نظرها صورة فوتوغرافية ..

كانت صورة تشارلز ستانهوب وعروسه الجديدة في حفـل زفافهما وهما خارجان من الكنيسة متابطين ضاحكين ...

لقد صدمتها الصورة كضربة صاعقة ... والواقع ان رؤيتهـا الصورة الآن وما تجلى فيها من بسمة السعادة على وجهه قـد امضت نفسها ألما ما لبث ان استحال الى غضب جانح مكبوح .. انها خططت يوما لكي تشاطر هذا الرجل الحياة الزوجية ، فاذا به يدير لها ظهره ، ويدعهم يدمرون حياتها ، ويترك طفلها يموت ...

لكن ذلك كان في زمن آخر ، في مكان آخر ، في دنيا أخرى !.. كان ذلك خيالا واسطورة !.. اما هنا فهي الحقيقة الواقعة ..

وهكذا القت تريسي المجلة بعنف ...

الفصل العاشر

قال برانيجان مدير السجن لزوجته : ستفقدين مربية طفلتنـا هذا ...

تطلعت اليه ايلين بدهشة قائلة : لماذا ؟.. ان جودي على علاقة حميمة جدا مع ابنتنا ايمي ...

ـ اعرف هذا ، لكنها استوفت مدة سجنها ، وسيفرج عنها هذا ...

كان الزوجان يتناولان طعام الافطار في الفيلا الجميلة ذات الحديقة الكبيرة الواقعتين في دائرة السجن ... وكـانت المزايا

الاخرى المخولة للمدير واسرته تشمل طاهية وخادمة وسائق سيارة ومربية لابنتها ايمى البالغة من العمر خمسة أعوام ... وكان جميع الخدم من الموثوق بهم ... وحينما جاءت الين برانيجان الى هنا منذ خمس سنوات كانت تشعر بالقلق والتوتر للاقامة في نطاق السجن ، وكان قلقها وخوفها اشد لامتلاء الفيلا بخدم كلهم من المجرمين المحكوم عليهم .. وفى هذا قالت له ذات مرة :

ـ كيف تعرف انهم لن يعمدوا الى السطو علينا وذبحنا فىمنتصف الليل ؟ ...

فرد برانيجان ضاحكا : اذا فعلوا هذا فسأبلغ عنهم بتقرير رسمى !...

ثم تبين لها فيما بعد ان مخاوفها لم تقم على اساس ، فان الخدم الموثوق بهم كانوا متلهفين لترك تأثير طيب عنهم واختصار مدة العقوبة بحسن السير والسلوك ، ومن ثم كانوا موضع الرضى ...

وعندما فاجأ برانيجان زوجته الآن بهذا النبأ قالت له شاكية :

ـ انني كنت مرتاحة لترك ايمى فى رعاية جودى .. هل فكرت باجورج فى واحدة معينة تخلفها ؟..

كان مدير السجن قد فكر فى هذا الامر طويلا ، وكان فى ذهنه اسماء زمرة من السجينات الموثوق بهن لاختيار المربية منهن .. بيد انه لم يستطع ان يبعد تريسى هويتنى من تفكيره لما آنسه من غرابة قضيتها .. فهو خبير جنائى محترف منذ اربعة عشر عاما ، وقد بدا له من تفاصيل قضيتها انها ليست من طراز المجرمين معتادى الاجرام ... واشد مارابه هو الاشخاص الذين تآمروا للزج بتريسى هويتنى فى السجن ... لقد عين فى هذا المنصب من قبل لجنة مدنية يراسها حاكم الولاية ، وعلى الرغم من انه كان يلتزم باصرار الابتعاد من الزج بنفسه فى السياسة ، الا انه كان على دراية بكافة اللاعبين على المسرح .. كان يعرف ان جو رومانو من « المافيا » ، وانه صنيعة انطونى اورساتى ويده اليمنى .. وكان بيرى بوب المحامى الذى تولى الدفاع عن تريسى ماجورا لهما ، كما كان القاضى هنرى لورانس كذلك ... ومما لاشك فيه ان ادانة تريسى هويتنى كانت مؤامرة مدبرة ..

والآن فان مدير السجن لم يلبث ان حزم أمره وقال لزوجته على

.. قالها : نعم .. انني فكرت في واحدة معينة ..
وعندما دعيت تريسي لمقابلة مدير السجن بادرها قائلا : نريد شخصا يتولى رعاية ابنتنا الصغيرة ...
ما كادت تريسي تسمع هذا الكلام حتى فكرت بسرعة البرق : ان هذا قد يجعل مهمة الهرب من السجن ايسر .. فان العمل في بيت المدير كفيل بان يهيىء لها معلومات كثيرة تعين على تنفيذ خطة الهرب ... ولهذا قالت :
- نعم ... انني اقبل هذا العمل ..
لقد سر جورج برانيجان حقا ، اذ كان يشعر انه مدين لهــذه الفتاة بشيء ، وقال لها : حسنا .. وستنالين ستين سنتا في الساعة على ان يودع المبلغ في حسابك في نهاية كل شهر ..
لم يكن مسموحا للسجينات بتداول النقود ، وكانت المبالغ المدخرة لهن تصرف عند الافراج عليهن ...
ثم اضاف مدير السجن قائلا : يمكنك ان تبدئي العمل في الصباح وستتولى رئيسة المشرفات ابلاغك بالتعليمات ...
- شكرا لك ياسيدي ..
- هذا كل شيء ...
كان اليوم الذي نقلت فيه تريسي للعمل في بيت مدير السـجن يوافق الشهر الخامس لوجودها سجينة ... وقد انتابها التوتر للتفكير في مقابلة زوجة المدير وابنته ، اذ كانت تريد هذا العمـل باستماتة ، لانه سيكون مفتاحها الى الحرية ...
لقد دخلت الى المطبخ الواسع النظيف وجلست وهي تشـعر بالعرق يتصبب تحت ابطيها .. ثم لاحت لها امرأة مرتدية معطفـا منزليا وردي اللون تدخل قائلة : صباح الخير ... فردت بالمثل ..
همت المرأة ان تجلس ، ولكنها غيرت رايها وظلت واقفة .. كانت سو برانيجان شقراء مليحة الوجه في منتصف العقد الرابع مـن العمر نحيفة القوام ... وكان مسلكها مشوبا بالتردد ، اذ لم تكن على بينة من اسلوب معاملة السجينات الموثوق بهن : هل تأخـذ بالامر ، او التلطف ، اذ انها لم تألف بعد معايشة مدمني المخـدرات واللصوص والقتلة ...
قالت اخيرا : انا مسز برانيجان ... وابنتي ايمي في الخامسة،

وانت تعرفين وفرة النشاط لدى الاطفال فى هذه السن ... وفى رايى انه يجدر على السهر عليها ومراقبتها باستمرار .. هل لك اطفال ؟ ...

فكرت تريسى فى طفلها الذى لم ير النور ، واجابت : كلا .. والواقع ان الين احست الارتباك امام هذه الشـــابة ... فقد الفتها مغايرة لكل ما كانت تتوقع ، وتوسمت فيها طابعا متميزا .. على انها قالت وهى تهرول خارجة : ساحضر ايمى ...

وعادت الين بعد قليل ممسكة بيد ابنتها الصغيرة وقالت لها :

ــ ايمى .. هذه تريسى هويتنى ...

كانت الطفلة نحيفة مثل امها ، زرقاء العينين ، بادية النباهة . وقد ردت قائلة : أهلا .. هل ستكونين « دادتى » الجديدة ؟..

ــ اننى سأساعد والدتك فى الاشراف عليك ..

وتولت الام شرح واجبات تريسى قائلة : سوف تتناولين وجباتك مع ايمى ... ويمكنك أعداد افطارها وملاعبتها فى الصباح ... وستقوم الطاهية باعداد الغداء هنا .. وبعد الغداء تنام ايمى بعض الوقت ، وفى العصر تحب أن تتجول فى الحديقة والمزرعة ..

كانت المزرعة عند الطرف الآخر للسجن ، على مساحة عشرين فدانا تزرع خضرا وفاكهة ، وتتعهدها السجينات ... وكانت بها بحيرة صناعية واسعة تستخدم للرى ، يحوطها سور حجرى ..

كانت الايام الخمسة التالية اشبه بحياة جديدة لتريسى .. ولو كانت الظروف غير هذه الظروف لنعمت بالبعد عن أسوار السجن الكالحة ، وبحرية التنقل فى أرجاء المزرعة واستنشاق هواء الريف النقى .. لكن كل ما كانت تفكر فيه هو الهرب ...

وعندما لا تكون مرتبطة بواجباتها نحو ايمى ، كان عليها أن تعود الى السجن وفقا للنظام المقرر .. وهكذا كانت كل ليلة تبيت حبيسة فى زنزانتها ، اما فى النهار ، فكانت لها حرية صورية .. وكانت بعد ان تفطر فى مطبخ السجن تنتقل الى بيت المدير حيث تعد طعام افطار ايمى ، ثم تلعب معها أو تقرأ لها .. وبعد قيلولة ايمى عقب الظهيرة كانت الاثنتان تقومان بجولات طويلة حرصت تريسى على أن تشمل مساحات من اراضى السجن لم تعرفها من قبل ...

كانت تستوعب بدقة كل المخارج والمداخل ، ومواضع الحرس وأقفال ابراج السجن وتسليمهم ، ومواعيد تغيير نوباتهم .. وقد بدا لها بجلاء ان خطط الهرب التى فكرت فيها مستحيلة التنفيذ ..

***

كان للخبر وقع الصاعقة على تريسي ...

اذ قالت لها ارنستين ذات يوم :

- انهم سيفرجون عنى بعد أسبوع من يوم السبت ، لوفاء المدة ...

لم تجد تريسي الا ان تطرح على الزنجية فى يأس واستماتة فكرة الهرب قبل رحيل ارنستين عن السجن - ذلك الرحيل الذي سيفقدها كل حماية ، مهما يكن من عيوب ارنستين ومساوئها ...

قالت لها الزنجية : ليست عندك سيارة تساعدك على الهرب ، ولا احد فى الخارج يمد اليك يد المساعدة ... ثقى انهم سوف يعثرون عليك حتما ، حية او ميتة ، وسيكون موقفك اسوأ ... والافضل ان تلزمى الهدوء والصبر ..

دار هذا الحديث بينهما فى مطبخ السجن ، فى فترة كانت فيها زوجة المدير قد صحبت ابنتها ايمى الى المدينة فى عطلة نهاية الاسبوع .. وفجأة لمحت تريسي عربة كبيرة تكدست فيها فوقها اكوام الكسى الرسمية والملاءات ، يدفعها العامل المختص «بالغسيل» الى الباب الخارجى ...

قطعت تريسى حديثها قائلة :

- لماذا يحملون هذا « الغسيل » الى الخارج .. ان السجن به مغسله الخاص !..

فردت ارنستين ضاحكة : هذه مهمات رجال الحرس .. كانوا عادة يرسلونها الى مغسل السجن للغسل والكى .. ولكن وجد بعد ذلك أن المهمات كانت تعاد ممزقة والازرار مفقودة ومشبك بها رقاع تحمل كلاما بذيئا - دون ان تتمكن ادارة السجن من معرفة الفاعلين ... ولهذا اصبحوا يرسلون مهمات الحراس الى مغسل خارجى ...

لكن تريسى لم تكن مصغية اليها ... لقد عرفت الآن كيف تنفذ خطة الهروب من السجن ...

الفصل الحادى عشر

عادت تريسى تقول للزنجية بالحاح بعد أن نفضت اليهـا خطة الهرب :

ـ ولماذا لا تكون هذه الخطة عملية ؟..

ـ قلت لك يافتاتى ان الحراس يقومون بتفتيش كل عربة تمـر من بوابة السـجن الى الخارج ؟ ..

ـ لكن اذا كانت العربة تحمل سلة كبيرة بها « الغسيل » ، فلا اظن انهم سيفرغونها للفحص والتفتيش ..

ـ انهم لا يضطرون الى هذا ... فان السلة الكبيرة تنقل الى غرفة الملابس المتسخة ، حيث يتولى احد الحراس مراقبة ملئها ..

قالت تريسى وقد نهضت قائمة : ارنستين ! .. الا يمكن لاحـد ان يشاغل الحارس فترة خمس دقائق ؟ ...

ـ وما الفائدة من ...

وكفت ارنستين عن معارضتها فجاة ، ثم أردفت ضاحكة ... وفى فترة المشاغلة ، أو المغازلة ، تتسللين انت الى قاع السلة الكبيرة وتختفين تحت أكوام المهمات ؟ .. آه ! .. اظن أن هذا ممكن ..

ـ اذن فسوف تساعديننى ؟..

جعلت ارنستين تفكر مليا ، ثم اجابت : نعم .. سأساعدك ... وهذه هى فرصتك الاخيرة فعلا ، قبل خروجى من السجن ..

والواقع أن موضوع : هروب تريسى هويتنى الوشـيك مـن السجن كان له صداه القوى بين السجينات ، اذ كن مترابطـات ولا يخفى عليهن شىء مما يدور « تحت الارض » وما يدبر فى الخفاء ومعظمهن كن يعايشن مثل هذه المحاولات ويتابعنها باشفاق وترقب متمنيات لو كانت لديهن الشجاعة للاقدام على مثلها ... لكن كان هناك الحراس المدججون بالسلاح ونقطة الحراسـة القوية وطائرات الهيليكوبتر الرابضة للكشف والمتابعة ، فضـلا عن الكلاب الشرسة المدربة ، واخيرا جثث السجينات التى يحملونها الى حيث بدات المحاولة ...

وعلى الرغم من هذا كله ، بدأ تنفيذ المحاولة على قدم وسـاق

..مساعدة ارنستين القوية النفوذ الطويلة الباع .. فقد اخذت مقاسات تريسي ، واستطاعت لولا سرقة قماش لفستان من مشغل الخياطة في السجن ، وعهدت به بوليتا الى خياطة في عنبر آخر لاعداده وسرق حذاء من قسم الملبوسات وتم صبغه لكي يلائم الفستان ... كما ظهر من العدم قفاز وقبعة وحقيبة يد وكأنما عمل ساحر .. وقالت ارنستين : والآن علينا ان نزودك ببطاقة شخصية ، ورخصة قيادة ...

فردت تريسي مذهولة : كيف يمكنني ان :

فضحكت ارنستين قائلة : دعي هذا لي ولا تشغلي بالك ..

وبعد منتصف الليل سمعت تريسي باب زنزانتها يفتح ، فجلست في فراشها متحفزة ، واذا صوت يقول هامسا : هويتني هيا بنا ! ...

عرفت تريسي صوت ليليان ، السجينة المؤتمنة من ادارة السجن ولما سألتها عما تريد انبعث صوت ارنستين في الظلام يقول بحدة : ماهذه الطفلة المغفلة التي ولدتها امك ؟ .. اقفلي فمك ولا تسألي عن شيء ! ...

وقالت ليليان بصوت خافت : لابد ان نتم هذه العملية بسرعة ، واذا ضبطونا فانهم سيمزقونني .. هيا بنا ..

وقادتها ليليان في الممشى المظلم الى سلالم صعدتا فيها الى الطابق التالي ، وبعد التأكد من عدم وجود حراس اسرعتا في الرواق حتى وصلت الى الغرفة التي اخذت فيها بصمات أصابع تريسي وصورتها الفوتوغرافية ، فدفعت ليليان الباب وادخلتها .. واذا نزيلة اخرى تنتظرهما .. وقالت لتريسي في شيء من التوتر . قفي امام الحائط ...

امتثلت تريسي وهي تشعر بالتواء في امعائها رهبة وفرقا ، بينما اردفت النزيلة : انظري في عدسة الكاميرا ...

وبعد ان تم التصوير قالت النزيلة : ان الصورة ستسلم في الصباح ، وهي من اجل بطاقتك الشخصية ورخصة قيادتك ... والان الى الخارج ، بسرعة !...

وعادت تريسي وليليان ادراجهما ، فكانت ارنستين ولولا بوليتا في انتظارها ، وقالت الاخيرة : ان الفستان سيكون مجهزا يوم السبت ...

وهمست ارنستين : كل شيء تمام ... ان عـربة الغسيل ، ستخرج في الساعة الثانية ... وعليك ان تكوني في غرفة الملابس المتسخة بحلول الساعة الواحدة والنصف ... ولا لزوم لـكي تشغلي بالك من ناحية الحارس .. فان لولا سوف تشاغله بطريقتها عند الباب المجاور ... وستكون بوليتا في غرفة « الغسـيل » تنتظرك ، ومعها ملابسك الجديدة ، وستكون في الحقيبة اليدوية البطاقة الشخصية ورخصة القيادة باسم جين سميث ... وسيكون خروج العربة من بوابة السجن في الثانية والربع ...

لقد شعرت تريسي بصعوبة في التنفس ... والواقع ان مجرد الحديث عن موضوع الهروب جعلها ترتعد ... وفي خلال أيـام معدودة ستكون في طريقها الى الحرية .. لكنها لم تكن واهمة ، فقد تعود من هذه المحاولة جثة هامدة كما حذروها ... ومع ذلك لابد مما ليس منه بد ، بعد أن نذرت نفسها للانتقام من ظالميها ...

***

في الليلة السابقة ليوم الهرب لم تذق تريسي طعم النوم .. كان توتر أعصابها بالغا ، الى حد شعورها بالغثيان .. وما ان سمعت رنين جرس الصباح حتى كان له وقع القنبلة في سمعها .. وقالت لها ارنستين وكانت تراقبها عن كثب : كيف حالك يابنيتي ؟..

فردت تريسي كذبا وقد شعرت بتيبس في حلقها واضـطراب خفقات قلبها : لا باس ... انا وانت سنخرج اليوم من هنا ..

ــ هل انت متاكدة انه سيمكنك الخروج من بيت المدير بحـلول الساعة الواحدة والنصف ؟..

ــ لا مشكلة في هذا ... ان ايمي تنام دائما بعد الغداء .

وعندئذ مدت ارنستين يدها تحت « المرتبة » واخرجت لفـافة من البنكنوت ، وقالت : سوف تحتاجين الى نقود في طريقك ... هذا مبلغ مائتي دولار فقط .. لكنه سيساعدك ...

ــ ارنستين ! .. لا اعرف كيف ...

ــ آه ... اقفلي فمك يابنت ، وخذي المبلغ ! ..

لقد تحاملت تريسي على نفسها لازدراد بعض الافطار .. كـان راسها يدق .. وكل عضلة في جسمها كانت موجوعة .. وفي المطبخ كان السكون غير عادي ، والنظرات والهمسات العارفة تحفها من كل مكان ... فسوف تحدث حالة هروب من السجن اليوم ،

وهي بطلة الدراما ، وفي غضون ساعات قلائل ستكون حرة طليقة السراح ... أو جثة هامدة !.

بعد أنها نهضت عن طعامها واتجهت الى بيت مدير السجن ..

أخذت ساعات الصباح تمر وانية ثقيلة حتى شعرت تريسى بأنها تكاد تفقد عقلها ... وظلت تلاعب ايمي حينا وتقرأ لها حينا آخر وهي شاردة الذهن كانسان مسحور ...

كانتا اذ ذاك في الفناء الامامي للفيلا ... وعلى البعد كانت تريسى تبصر المبنى الذى فيه غرفة المهمات المتسخة ... ولابد لها ان تكون هناك في تمام الواحدة والنصف ، لكي تخلع رداء السجن وتلبس ملابس الشارع التى زودوها بها ، وفي الثانية الا الربع تكون مختبئة في قاع سلة الغسيل الكبيرة ، تغطيها الكسى والملاءات ... فاذا كانت الساعة الثانية جاء السائق ونقل السلة الى سيارته ... وبحلول الساعة الثانية والربع تخرج السيارة من البوابة في طريقها الى البلدة القريبة التى بها المغسل الخارجي ان السائق لن يمكنه ان يرى الجانب الخلفي من مكانه في المقعد الامامي ، وعند وصول السيارة البلدة وتوقفها عند اشارة المرور الحمراء ، فما عليها الا ان تفتح الباب وتنزل منها بكل هدوء وتركب الاتوبيس في طريقها الى اى مكان تريده ...

لقد ظلت تريسى تلاعب ايمي حتى كانت الساعة الثانية عشرة والنصف موعد غداء ايمي والحمد لله ، وموعد تحرك تريسى لبدء مغامرتها ... فاخذت الطفلة الى الفيلا وقالت لامها : انا ذاهبة الآن يامسز برانيجان ...

ـ ماذا ؟ ... آه !. الم يقولوا لك ياتريسى ؟ ستحضر عندنا اليوم لجنة رسمية لتفقد السجن ، وسيتناول أعضاؤها طعام الغداء في البيت طبعا ، ولهذا فان ايمي لن تنام بعد الغداء كعادتها كل يوم .. ويمكن أن تأخذيها معك ...

وقفت تريسى مكانها تكتم صرخة كادت تفلت منها وقالت :

ـ لا يمكنني ... لا يمكنني أن أفعل هذا يامسز برانيجان !..

فتصلبت الين قائلة : ماذا تقصدين بهذا الكلام ؟!..

شاهدت تريسى أمارات الغضب في عينيها ، فاستدركت قائلة لئلا تزيدها غضبا : اقصد ... ان ايمي لم تتناول غداءها .. ولابد ان تكون جائعة ...

ـ سأكلف الطاهية باعداد غذاء رحلات لكما معا .. ويمكنكما ان تخرجا الى المزرعة وتأكلا فى الهواء الطلق .. ان ايمى تحب الرحلات .. أليس كذلك ياحبيبتى ؟

ردت الطفلة متحمسة مشجعة تريسى على قبول الفكرة ، فقالت تريسى للأم :

ـ فى أى وقت تحبين أن أعود بايمى الى البيت ؟..

ـ حوالى الساعة الثالثة ... بعد انصراف الضيوف .. ماذا بك ؟ .. أراك مصفرة !..

ـ لا شيء يامسز برانيجان ... انا على مايرام ..

كانت الطفلة فى اتم الفرح ، وقالت لتريسى وهما تخرجان : ساعطيك اكبر « سندويتشات » ياتريسى !.. وسنقضي وقتا جميلا ! ..

***

كانت زيارة اللجنة الرسمية مفاجئة ... وكان حاكم الولاية وليام هابر نفسه يرافق اللجنة فى طوافها متفقد الاحوال فى سجن النساء هذا ، وكان على المدير برانيجان أن يواجه هذه الزيارة مرة كل عام .. وفى حديث سابق بين الاثنين قال له حاكم الولاية : لا مفر من هذا ياجورج .. ما عليك الا أن تعمل على تنظيف السجن وتطلب من « سيداته » أن يقابلن اللجنة بالابتسام اللطيف ، ومرة اخرى سيضاعفون لنا الميزانية ..

وفى هذا الصباح صدرت الاوامر من رئيس الحرس الى رجاله: تخلصوا من كل المخدرات ، والمطاوى ، وما اليها !..

وكان المقدر وصول الحاكم هابر واللجنة فى العاشرة صباحا ، على ان يبدأوا بتفقد داخلية السجن ، ثم يزورون المزرعة . واخيرا يتناولون الغداء على مائدة مدير السجن ...

وكان اليوم صحوا بديعا صفت سماؤه ورقت نسائمه ممتزجة بشذى النباتات عبر المزرعة الخضراء .. وقد اختارت تريسى بقعة معشوشبة قرب البحيرة بسطت فيها مفرش مائدة حيث راحت ايمى تقضم الشطائر وهى سعيدة هانئة ... ولما نظرت تريسى الى ساعتها الفتها الواحدة ، حتى لم تكد تصدق عينيها

مرور الوقت بهذه السرعة ... لابد لها من التفكير حالا ، والا سرق الوقت فرصتها الاخيرة للحرية ! ...

الساعة الواحدة والربع ... كان يجب أن تمضى فى طريقها .. سوف تستغرق ربع ساعة على الاقل للوصول الى غرفة المهمات المتسخة ... وبامكانها أن تحقق هذا لو اسرعت ... غير انهـا لا تستطيع ترك ايمى وحدها ... راحت تنظر حواليها ، وعلى البعد ابصرت مجموعة من السجينات يحصدن المزروعات .. وهنا قررت ما تفعله ... فقالت لايمى : هيا بنا نلعب الكرة .. لننظر من منا يمكنه رمى الكرة ابعد ... سأرمى الكرة انا أولا ، ثم يأتى دورك ..

وتناولت تريسى كرة المطاط الصلبة وقذفتها الى أبعـد مدى استطاعته فى اتجاه السجينات العاملات .. فقالت ايمى معجبة : رمية جميلة ! ...

وهى بعيدة فعلا ! ...

فقالت لها تريسى : ساذهب لاحضار الكرة .. انتظرى انت هنا ...

وراحت تركض ... تركض كمن يهرب بحياته ، وقدماها تطيران فوق الارض المزروعة ... ومن خلفها سمعت ايمى تناديها ، بيد انها لم تعرها اى اهتمام ... وفى هذه الاونة رات عاملات المزرعة قد بدان يدخلن الى منطقة السجن ... فصاحت بهن ، فتوقفن وحين وصلت اليهن كانت تلهث لهثا ... فسألتها واحدة منهن : ا[ية] حاجة فلط ؟...

فردت وهى تجاهد لالتقاط انفاسها : لا .. لا شىء ... فقط واحدة منكن تراقب الطفلة هناك .. امامى مسألة هامة .. انا .

وفجاة سمعت من ينادى باسمها على البعد ، فتلفتت .. لمحت ايمى واقفة اعلى السور الحجرى المحيط بالبحيرة ، ولوحت اليها بيدها قائلة : انظرى الى ياتريسى !

وفيما نظرت تريسى بارتياع بالغ ، فقدت ايمى توازنها وهوت فى البحيرة ..

[ف]ـاض الدم من وجه تريسى وهى تهتف : رحماك ياربى !..

[ك]ان عليها أن تختار .. لم يكن ثمة مجال للاختيار .. وقـالت

لنفسها : لا يمكنني مساعدتها الآن ! .. سينقذها احد غيري .. لابد لي من انقاذ نفسي ... لابد لي من الخروج من هذا المكان والا كان هلاكي !..

كانت الساعة هي الواحدة والثلث .. فانثنت تريسي وراحت تركض كما لم تركض في حياتها من قبل ... وجعلت العاملات يناديها غير أنها لم تسمعهن ... كانت تطير طيرانا ، غير مكترثة بسقوط حذائها من قدميها ، ولا بالارض المشققة التي شعرت انها تمزقهما ... كان قلبها يدق عنيفا ، ورئتاها توشكان أن تنفجرا ، بيد انها دفعت نفسها دفعا الى مزيد من الركض ، حتى وصلت الى السور المحيط بالبحيرة ، واعتلته ...

ومن فوق السور اطلت على ايمي وهي في المياه العميقة المرعبة تتخبط وتجاهد للبقاء طافية ... وبلا أدنى تردد قفزت تريسي في المياه خلف الطفلة المشرفة على الغرق ...

وما ان اصطدمت بالمياه حتى غمغمت فزعا : رباه !.. أنا لاأعرف العوم ! ...

الفصل الثاني عشر

نيو اورليانز
الجمعة ٢٥ اغسطس - الساعة ١٠ صباحا

كان ليستر تورانس الصراف في بنك « فيرست مرشانتس » يعتز بصفتين في شخصه : جاذبيته لدى الجنس اللطيف ، ومقدرته في تقييم عملاء البنك ، ومن ثم كانت معاملاته مع النساء خاصة تتسم بالرقة المتناهية ، والتصرف بأسلوب « خذ وهات » ، ولاسيما مع من تكون منهن في ورطة أو ضيق ...

وفي يوم الجمعة هذا عرف ليستر لدى النظرة الاولى انه وجد ضالته في القادمة الفاتنة ذات القوام الصاعق ، والتي رآها تدير نظراتها بين الصرافين الاربعة ، وما ان أوما برأسه اليها مشجعا وشفع الايماءة بابتسامة رقيقة حتى وقع اختيارها عليه ، وتقدمت من شباكه قائلة بأرق لهجة :

- صباح الخير ... آسفة اذا قلت انني أمام مشكلة ...

فقال بحرارة : وانا هنا لحل المشاكل ... وان كنت لا أعتقد أن فاتنة مثلك يمكن أن تتسبب في أي مشكلة ...

فقالت وقد اتسعت عيناها العسليتان فزعا : لكن هذا ماحصل . انا سكرتيرة جو رومانو ، وقد طلب مني منذ أسبوع أن اطلب له دفتر شيكات لحسابه الجاري في البنك ، فنسيت تماما ، ولما نفدت الشيكات البيضاء ، أصبحت في ورطة ولا اعرف ماذا سيفعل معي اذا عرف الموقف ...

كان ليستر يعرف اسم جو رومانو كعميل مميز للبنك ، حتى برغم أن رصيده لم يكن كبيرا نسبيا ، اذ كان معروفا أن أمواله الحقيقية مودعة في مكان آخر ...

بادرها ليستر قائلا وهو يبتسم مظفرا : ليست هذه بالمشكلة الخطيرة يامسز ... ؟

- ... مس نورين هارتفورد ..

يا للحظ السعيد !.. هكذا ناجى نفسه .. ثم اضاف على الاثر : سأطلب اعداد الشيكات الجديدة حالا ... وستكون جاهزة في خلال اسبوعين او ثلاثة ..

فاشتد انزعاجها حتى قالت : هذه مدة متأخرة ، وقد تضايق مستر رومانو مني ، ولا اعرف ماذا سيفعل معي بعد ذلك .. الا يمكنك أن تستعجل اعداد الشيكات ، حتى لا اتعرض للفصل من عملي ؟ ... انا مستعدة لأي شيء ..

كان لكلماتها وقع الموسيقى في سمعه ، فقال من فوره : سأقول لك ماذا سأفعل ... سأجعل الطلب مستعجلا ، وستكون الشيكات جاهزة يوم الاثنين .. مارأيك ؟..

فقالت بامتنان بالغ : انت رائع ! ..

- سأرسل الشيكات الى المكتب ، و ...

- الافضل ان احضر لاخذها شخصيا .. لا اريد ان يعرف مستر رومانو انني مقصرة في عملي ... لن انسى جميلك ... الى يوم الاثنين ..

واختصته بابتسامة ساحرة ، وانصرفت من البنك في مشية متئدة جعلت ليستر يحدق خلفها مبهورا ، ثم أسرع الى الادراج يستخرج رقم حساب جو رومانو ووجه طلبا مستعجلا بالتليفون .

كان الفندق القائم في شارع كارمن متواضعا لا يختلف عن مئات من مثله من الفنادق في نيواورليانز ، وهذا ماجعل تريسى تختاره وقد مضي عليها في الغرفة الصغيرة الرخيصة الاثاث اسبوع ، ولكنها كانت بالمقارنة الى زنزانة السجن قصرا ..

وعندما رجعت تريسى من مغامرتها مع صراف البنك ليستر تورانس خلعت باروكتها السوداء وارسلت شعرها الغزير ، ثم ازالت العدسات اللاصقة الرخوة من عينيها ومسحت « الماكياج » الذي كسب وجهها السمرة ، واخيرا جلست في الكرسي الوحيد في الغرفة وتنفست الصعداء .. لقد سار كل شيء على مايرام .. فقد استطاعت ان تعرف بسهولة في اي بنك يضع جو رومانو حسابه ، بعد أن نظرت في الشيك الملغى الذى عثرت عليه في اوراق تركة امها ... نعم ان أرنستين زميلة الزنزانة قالت لها أن جو رومانو شخص لا يمكن أن تطوله يدها ... لكن ارنستين كانت مخطئة ، فهاهو ذا رومانو الاول في خطة الانتقام ، ولسوف يتبعه الآخرون من ظالميها ، واحدا واحدا ...

ولم تتمالك تريسى أن اغمضت عينيها وراحت تستعيد المعجزة التي جاءت بها الى هنا ..

لقد شعرت بالمياه الباردة القاتمة تطبق على راسها عندما ألقت بنفسها في البحيرة ... الفت نفسها تغرق ، وامتلأت نفسها رعبا ... وغاصت حتى لامست يداها الطفلة ، فتشبثت بها ودفعتها الى سطح البحيرة ... ولكن ايمى جعلت تتخبط في رعبها الاعمى وتجاهد للتملص منها حتى جذبت كليهما الى ماتحت سطح المياه من جديد .. ولقد شعرت تريسى برئتيها توشكان على الانفجار ، فجعلت تشق طريقها الى خارج هذا القبر المائى متشبثة بالطفلة الصغيرة لانتزاعها من قبضة الموت ، الى ان شعرت بقواها تخور ثم تعالت أصوات تنادى وتصرخ ، وشعرت بجسد ايمى ينتزع من ذراعيها ، وبأيد قوية تشد على معصميها ، وقائل يقول : « كل شيء بخير الآن ... اطمئني ! .. »

وبعد لحظات انتشلت كلتاهما من المياه العميقة القاسية ..

وكان من الممكن الا يثير هذا الحادث اكثر من نبذة صغيرة في احدى الصفحات الداخلية في جرائد الصباح ، لولا انه دار حول سجينة لا تعرف السباحة قد جازفت بحياتها لانقاذ طفلة مدير

السجن ... وبين عشية وضحاها جعلت الصحف ومعلقو التليفزيون من تريسي بطلة ، وقام هابر حاكم الولاية نفسه بزيارة مستشفى السجن بصحبة مديره لرؤية تريسي ...

قال لها مدير السجن بتأثر بالغ : ان ما فعلته لهو عمل باسل .. واننى وزوجتى لنعبر لك عن عميق امتناننا ...

فردت تريسى وهى لاتزال ضعيفة ومنهكة بتاثير التجربة القاسية: كيف حال ايمى ؟ ...

- هى فى طريق التحسن ...

اطبقت تريسي عينيها وهى تقول لنفسها : « ماكنت لاحتمل لو اصابها شيء » ... وعندما تذكرت انها كانت تعامل الطفلة ببرود وهى تتطلع الى حنانها ، لم تتمالك ان ساورها خجل مرير .. ان الحادث قد كلفها ضياع فرصتها للهرب من السجن .. لكنها أيقنت انه لو قدر لها أن تعاود الكرة ، لفعلت نفس الشيء ..

واعقب ذلك تحقيق قصير فى الحادث ، فقالت ايمى لابيها : كانت غلطتى ... كنا نلعب الكرة ، فجرت تريسى خلفها وطلبت منى ان انتظر ، لكننى تسلقت السور لكى أراها افضل ، فوقعت فى المياه ... لكن تريسى انقذتنى يابابا ...

- وفى تلك الليلة ابقوا تريسى فى المستشفى تحت الملاحظة ، وفى الصباح ذهبوا بها الى مكتب برانيجان مدير السجن ... فاذا وسائل اعلام فى انتظارها هناك ، يتقدمهما مندوبو وكالتى « يونايتدبرس » و « أسوشياتدبرس » ومحطة التليفزيون المحلية . لقد اشتموا فى الحادث قصة انسانية ، فجاءوا فى أثرها ...

وما ان حل المساء حتى انتقلت قصة بطولة تريسي الى شاشات التليفزيون القومية .وزادت انتشارا ، الى حد ان الصحف الكبرى مثل « تايم » و « نيوزويك » و « بيبول » ومئات من الصحف فى طول البلاد وعرضها احتضنت القصة فى صدر صفحاتها .. ومع استمرار هذه التغطية الصحفية ، تدفقت الرسائل والبرقيات على السجن تطالب باصدار العفو عن تريسى هويتنى ...

وفى اجتماع بين هابر حاكم الولاية وبرانيجان مدير سجن النساء فى هذا الصدد قال برانيجان : ان تريسى هويتنى موجودة هنا بسبب جناية خطيرة ...

ففكر الحاكم مليا ثم قال : لكن ليست لها سابق ياجورج ، أليس كذلك ؟..
- تماما ياسيدي ...
- لن اخفي منك انني تحت ضغط شديد لعمل شيء من اجلها ..
- وأنا مثلك ياسيدي الحاكم ..
- وبالطبع لا يمكننا أن ندع الجمهور يبين لنا كيف نسير الامور في سجوننا ، أليس كذلك ؟
- مؤكد هذا لا يمكن ...
- لكن من الناحية الاخرى ، لقد اظهرت الفتاة هويتني قدرا عظيما من الشجاعة ... انها اصبحت بطلة قومية ... ما رأيك ياجورج ؟ ...
فأجاب جورج برانيجان وهو يختار كلماته بعناية : انت تدرك بالطبع ياسيدي الحاكم ان لي جانبا شخصيا في هذا ، فان التي انقذت هي طفلتي .. لكن اذا وضعنا هذه النقطة جانبا ، فلست أظن أن تريسي هويتني من طراز المجرمين ، ولا يمكنني أن اعتقد انها ستكون خطرا على المجتمع اذا خرجت الى الدنيا .. وانني أوصي مشددا باصدار العفو عنها ...
كان الحاكم وهو على وشك أن يعلن ترشيحه للمنصب للمرة التالية خير من يقدر مثل هذه المشورة القيمة ، ومن ثم قال : لنترك هذه المسألة بيني وبينك فترة أخرى ...
ولا غرو ، ففي عالم السياسة ليس كمثل التوقيت المضبوط !..
وفي أعقاب هذا قالت الين زوجة مدير السجن بعد التشاور معه ، مخاطبة تريسي : انني والمدير نود جدا ان تنتقلي للاقامة معنا في الفيلا ... عندنا غرفة نوم اضافية ... وبامكانك أن تشرفي على ايمي طول الوقت ...
فشكرتها تريسي وأعربت عن قبولها بامتنان
وبعد ثلاثة أسابيع من حادث انقاذ الطفلة وبينما كانت تريسي تلاعبها في الفناء ، اذ خرجت اليهما الين مسرعة وابلغت تريسي أن مدير السجن كلمها تليفونيا لكي تذهب اليه في مكتبه على الفور .
والواقع ان تريسي انتابها خوف مفاجيء وتملكتها الهواجس ..
وعندما ادخلت اليه في مكتبه بادرها قائلا : الافضل أن تجلسي ..
لقد حاولت تريسي أن تقرأ البت في مصيرها من نبرات صوته ، واذا هو يقول لها بانفعال لم تفهم سببه :

ـ عندى خبر لك ... لقد تلقيت توا أمرا من حاكم ولاية لويزيانا بالعفو الشامل عنك ، مع النفاذ الفورى ...

« وحماك ياربى ! ... هل قال حقا ما اظنني سمعته ؟.. »

لقد خافت أن تتكلم ، بينما استطرد قائلا : اريدك ان تعرف ان هذا لم يتقرر لان التى انقذتها هى ابنتى .. انك تصرفت بالغريزة بالاسلوب الذى يمكن ان يصدر من اى مواطن صالح ... ولا اعتقد باى حال انك سوف تشكلين اى تهديد للمجتمع ...

ثم اضاف باسما : ان ايمى سوف تفتقدك ... وكذلك نحن ..

لم تجد تريسى كلاما تقوله ... آه لو عرف حاكم السجن الحقيقة : لو ان حادث الانقاذ لم يحصل ، لانطلق حراس السجن يتعقبونها كهاربة ! ...

وسمعته يقول : سوف يتم الافراج عنك بعد غد ..

واخيرا عالجت الكلام قائلة : انا .. انا لا أعرف ماذا اقول ..

ـ لست بحاجة الى أن تقولى اى شىء ... ان كل انسان هنا فخور بك .. واننى وزوجتى نتوقع أن تقومى بأعمال كبيرة فى الخارج ...

هى الحقيقة الآن ! ... وقد اصبحت حرة ! .. لقد شعرت بضعف شديد حتى تشبثت بذراع المقعد لتمس السند .. وعندما تكلمت فى النهاية كان صوتها ثابتا وهى تقول : هناك اعمال كثيرة اريد ان أقوم بها فعلا ياسيدى المدير !..

وفى الليلة الاخيرة لها فى السجن ، تقدمت منها نزيلة تدعى بيتى فرانشيسكوس وهنأتها بالافراج عنها قائلة : اذا احتجت الى اى مساعدة فى الخارج ، هناك رجل تذهبين اليه فى نيويورك ، اسمه كونراد مورجان ...

ودست فى يد تريسى قصاصة واردفت : انه من العاملين فى رعاية السجناء السابقين ، ويود اسداء المساعدة لمن كانوا فى السجون ..

ـ اشكرك .. لكن لا اظن اننى ساحتاج ...

ـ انت لا تعرفين الظروف .. احتفظى بهذا العنوان ..

وبعد ساعتين كانت تريسى تخطو خارجة من بوابة السجن ، مارة بين كاميرات التليفزيون .. ولم يكن بوسعها ان تتحدث مع المندوبين ولكن عندما أفلتت ايمى من يد امها وارتمت بين ذراعى تريسى ،

سارعت الكاميرات بالعمل ، وتصدرت هذه الصور صفحات الجرائد المسائية ...

هكذا نالت تريسي حريتها بمعجزة ، واصبحت مطلقة اليد لتنفيذ خططها ...

وفي مدينة فيلادلفيا شاهد تشارلز ستانهوب صور تريسي وهي تغادر السجن ، فقال لنفسه : « انها لا تزال جميلة » .. وبدا له وهو يتأمل الصور أن من المستحيل ان تكون ارتكبت جريمة من الجرائم التي أدينت بها ... وعندما تطلع الى زوجته المثالية التي جلست تطرز وادعة في مواجهته ، لم يتمالك أن ناجى نفسه مرة أخرى : « ترى هل اخطأت في حقها ؟! » ...

وشاهد الصور أيضا دانييل كوبر محقق اتحاد شركات التامين وهو في مسكنه في نيويورك ... فلم يحفل مثقال ذرة باطلاق سراحها من السجن ، واقفل جهاز التليفزيون واستأنف فحص الملف الذي امامه ...

أما جو رومانو فقد ضحك عاليا لرؤية نشرة الاخبار التليفزيونية وقال لنفسه : هذه البنت اللعوب محظوظة ... واراهن ان السجن كان مصلحا لها ! ... ولابد أنها الآن أطوع والين ! ... وربما نلتقي مرة أخرى ذات يوم ! ...

كان رومانو راضيا مغتبطا بنفسه .. فقد باع لوحة رينوار الفنية الى تاجر المسروقات ، واشتراها أحد هواة الفن في مدينة زيورخ السويسرية ، وحصل هو على نصف مليون دولار من شركة التأمين ، ونصف هذا المبلغ من التاجر ... وكان من الطبيعي أن تقتسم الحصيلة كلها مع انطوني أورساتي ... اذ كان رومانو بالغ الدقة في معاملاته معه ، خصوصا وقد راى أمثلة لما أصاب أولئك الذين لم يكونوا مدققين في معاملاتهم مع أورساتي !..

***

ظهر يوم الاثنين عادت تريسي ، في شخصية لورين هارتفورد ، الى بنك « فيرست مير شانتس » ... في تلك الساعة كان البنك مزدحما بالمتعاملين ، وما أن لمحها ليستر تورانس الصراف المتحبب حتى هش في وجهها قائلا : المسألة لم تكن سهلة ، لكنني انجزتها من اجلك يالورين ...

وفتح درجا واخرج منه علبة شيكات قدمها اليها قائلا : اليك الشيكات : أربعمائة شيك على بياض ...

فشكرته بحرارة اذابت قلبه ، حتى قال لها : هل هناك مانع من ان نتناول الغداء معا في مطعم هادىء ؟..

ـ هذه أمنية بالنسبة لي ياليستر ...

ـ واين اكلمك بالتليفون يالورين ...

ـ آه ... ساطلبك انا ياليستر ..

وتحولت عنه مبتعدة ، وسرعان ماحل محلها عميل آخر ، مما جعل ليستر يشعر بالاحباط ...

وكان في وسط البنك اربع مناضد بها خانات تحتوي على استمارات بيضاء للايداع والسحب ، ازدحم أمامها عملاء يدونون استماراتهم ... وما أن خلت منضدة حتى احتلتها تريسي .. وكانت العلبة التي قدمها اليها ليستر تحتوي على ثماني لفافات من الشيكات البيضاء ، غير ان هذه لم تكن هي مطلب تريسي ، وانما استمارات الايداع الموجودة خلف اللفافات ...

وبعناية تامة فصلت استمارات الايداع عن الشيكات ، وفي اقل من ثلاث دقائق كان بيدها ثمانون استمارة ايداع .. وبعد أن تأكدت تريسي ان احدا لا يراقبها ، وضعت عشرين استمارة في خانة المنضدة ...

وانتقلت بعد هذا الى المنضدة المجاورة ، حيث وضعت عشرين استمارة ايداع اخرى ... وفي غضون دقائق معدودة كانت بقية استمارات الايداع قد احتوتها المناضد الاخرى ... كانت استمارات الايداع بيضاء ، ولكن كل واحدة منها كانت تشتمل على رقم شفرى ممغطس في أسفلها ، يستخدمه الكمبيوتر في ايداع مختلف الارصدة ... ولم يكن مهما من يودع الرصيد ، لان الكمبيوتر ، بفضل الشفرة الممغنطة ، يقوم أوتوماتيكيا بتسجيل رصيد جورومانو مع كل عملية ايداع ... ومن خلال خبرة تريسي في اعمال البنوك ، كانت تعرف انه في خلال يومين ستؤدي ايصالات الايداع الممغنطة عملها ، وانه ستمضي خمسة أيام على الاقل قبل ان يكتشف هذا التلاعب .. وهذه الفترة كافية وأكثر لاتمام مادبرت القيام به ..

وفي طريق عودتها الى الفندق القت تريسي بالشيكات البيضاء في سلة للنفايات ، اذ أن جو رومانو لن يحتاج اليها ..

وكانت خطوتها التالية هي دخول احدى الوكالات السياحية

حيث قررت للعاملة المختصة انها سكرتيرة مستر جو رومانو ، وانها تريد حجز تذكرة سفر مفردة له بالطائرة الى ريودى جانيرو في البرازيل ... وبعد ان رجعت العاملة الى الكمبيوتر قالت لهـا : التذاكر كلها محجوزة ، الا تذكرة واحدة بالدرجة الاولى على طائرة « بان اميريكان » المسافرة يوم الجمعة فى السادسة والنصـف مساء ...

فقالت تريسى : سيكون مسرورا بهذا الموعد ...

ـ الاجرة ١٩٢١ دولارا . هل تدفع نقدا او بالتحصيل ؟

ـ ان مستر رومانو يدفع دائما بنظام التحصيل .. هل يمكن ارسال التذكرة الى مكتبه يوم الخميس الساعة ١١ صباحا ؟..

ـ نعم ... والعنوان ؟ ..

فذكرت لها تريسى العنوان ، وشكرتها ، وانصرفت ..

وبعد مسيرة خطوات فى نفس الشارع عرجت تريسي على محل كبير للملابس الجاهزة وقالت للبائع الذى خف للترحيب بهـا :

ـ اريد شراء بدلات لزوجى من النوع الفاخر ، لاننا سنسافر فى رحلة ...

فقادها الى صف من البدلات الانيقة قائلا : انا متاكد ان واحدة من هذه ستعجبه ... عندنا منها ثلاثة مقاسات .. اى مقـاس يمكن ان ...

ـ سآخذ بذلة من كل مقاس ..

ـ جميل .. هل سيكون الدفع نقدا او بالتحصيل ؟..

ـ بالتحصيل ، باسم جو رومانو ... هل يمكن ارسالها الى مكتب زوجى يوم الخميس الساعة ١١ صباحا ؟ ... مع وضـع « انيشيال » مذهب بالحرفين ج ، ر ؟

ـ بالتأكيد يامسز رومانو ... سأشرف على هذا بنفسى ...

فشكرته تريسى ، وذكرت له العنوان ..

وفي مكتب شركة « وسترن يونيون » أرسلت برقية خارجية خالصة الرد الى فنـدق « ريو بالاس » فى مدينـة ريو دى جانيرو بالنص التالى : « الرجاء حجز افخر جناح اعتبارا من يوم الجمعة القادم لمدة شهرين . نرجو تأكيد الموافقة برقيا . جوزيف رومانو ــ ٢١٧ شارع بويدراس ، نيوأورليانز ، لويزيانا » ...

وبعد ثلاثة أيام اتصلت تريسى تليفونيا ببنك « فيرستميرشانتس»

طالبة ليستر تورانس ، وبادرته قائلة باتم رقة : ربما كنت لا تتذكرني باليستر ... أنا لورين هارتفورد ، سكرتيرة مستر رومانو ..
فرد باشتياق قائلا : طبعا اتذكرك يالورين ...' لعلك لم تنسى موعدنا للغداء ؟.
ـ انت لا تعرف كم اترقب هذا .. هل يناسبك الخميس القادم ياليستر ؟ .
ـ رائع ! . .
ـ اتفقنا اذن ... آه ، يا لغباوتي .. انك انسيتني بعذب حديثك سبب مكالمتي لك ... ان مستر رومانو كلفني بمراجعة رصيده في البنك .. هل يمكن ان تعطيني الرقم ؟..
ـ لا مشكلة في هذا .. حالا . ابقي على الخط يالورين ..
وفي الاحوال العادية كان ليستر يسأل عن تاريخ الميلاد أو اى دلاله اخرى لشخصية الطالب ، بيد أنه تجاوز عن ذلك في هذه المناسبة ... وتقدم من فوره الى السجل الخاص وسحب بطاقة حساب جو رومانو وراح يفحصها بدهشة ... فقد وجد عددا غير عادى من الايداعات اضيفت الى رصيد رومانو في خلال الايام القليلة الماضية ... وكان سبب دهشته هو أن رومانو لم يحتفظ بمثل هذه المبالغ الكبيرة من قبل ... ومع تعجبه من هذا فقد فكر ان رومانو ربما كان يعد لصفقة كبيرة ، ومع ذلك لا باس ان يطرق هذه المسألة عند تناوله الغداء مع لورين ... وهكذا رد عليها بالتليفون قائلا : ان رئيسك شغلنا في الفترة الاخيرة ، فقد بلغ رصيده في البنك اكثر من ثلاثة آلاف دولار ..
ـ آه ! ... بديع ! .. هذا هو الرقم الذى عندى .. الحقيقة ان شكري لك عظيم ياليستر .. انت مدهش !.
ـ انتظرى لحظة .. هل اتصل بك تليفونيا في المكتب بخصوص موعدنا يوم الخميس ؟ ..
ـ انا الذى سأتصل بك يا عزيزى ....
وقطعت المكالمة التليفونية ...

***

كانت شركة باسيفيك للاستيراد والتصدير تحتل الطابق الرابع باكمله في المبنى العصري الفخم المملوك لانطونى اورساتي ، وكانت مكاتب أورساتي تحتل القسم الاكبر من الجناح ، وفي مواجهتها

القسم المخصص لجورومانو ... وكان الحيز الفاصل بين القسمين مخصصا لاربع سكرتيرات حسناوات كانت مهمتهن استقبال أصدقاء انطوني اورساتي وارباب الاعمال ... وامام جناح أورساتي كان يجلس رجلان عملاقان حياتهما مكرسة لحراسة « الزعيم » ، كما كانا يعملان سائقين لسياراته ، ورسولين لمهامه ...

وفي صباح يوم الخميس هذا كان اورساتي جالسا في مكتبه يراجع حصيلة اليوم السابق من ايرادات عشرات الانشطة السرية التي تشرف عليها شركة الاستيراد والتصدير ...

كان انطوني اورساتي في اخريات العقد السادس من عمره ضخم الجسم ، قصير الساقين بما لايتناسب مع ضخامته ، حتى أنه لو وقف لبدا مثل ضفدعة جالسة ... وكان وجهه الذي تقاطعت فوقه آثار الجروح يضم فما كبيرا وعينين سوداوين جاحظتين ، تحت راس أصلع تكسوه « باروكة » .. وكانت عيناه بصفة خاصة مثل عيني مقامر لا تنمان عن شيء من الانفعالات ، الا حين يكون مع بناته الخمس اللائي يعبدهن عبادة .. وكان صوته محشرجا رنانا نتيجة سلك لف حول عنقه في عيد ميلاده الخامس والعشرين حين تركه المهاجمون ميتا أو كالميت ... أما الرجلان اللذان وقعا في هذه الغلطة فقد كان مصيرهما في المشرحة في الاسبوع التالي ... وعندما كان اورساتي يستشار ، كان صوته يخفت الى حد الهمس المختنق الذي لا يكاد يبلغ المسامع ...

لقد كان انطوني اورساتي ملكا يدير مملكته بالرشاوى والمسدسات والابتزاز ... كان يسيطر على مدينة نيو اورليانز ، وكانت تدين له بالخضوع في شكل ثراء لا حصر له ... وكان « زعماء العائلات » الاخرى في طول البلاد وعرضها يحترمونه ويلتمسون على الدوام مشورته ...

وفي هذه المناسبة كان انطوني اورساتي في حالة نفسية راضية : فقد افطر مع عشيقته ، تلك التي أفرد لها مسكنا باذخا في عمارة يمتلكها في « ليك فيزتا » ، حيث كان يزورها ثلاث مرات كل اسبوع ، وكانت زيارة هذا الصباح نعيما يملأ النفس انشراحا ، حتى كان اورساتي يعتقد اعتقادا جازما بأنها متيمة بحبه ... والى هذا كانت « منظمته » تسير بدقة واحكام ، خلوا من أية مشاكل ، ايمانا من اورساتي بأن المبادرة الى حل المشاكل في بدايتها هو

خير سبيل لتفادي تضخمها واستحالتها الى مشاكل فعلية .. وهذا المبدأ هو مالقنه لمساعده جو رومانو ...

كان أورساتي يحب رومانو حبا جما .. كان بمثابة ابن له .. لقد التقطه أورساتي منذ كان صبيا يسرح بالمشروبات في الازقة ، واشرف بنفسه على تدريبه وتلقينه أسرار المهنة حتى تفوق واصبح ساعده الايمن ، وغدا يشرف على كافة عمليات « العائلة » ، ولا يدين بالطاعة والولاء الا لاورساتي ، رب نعمته ...

كانت الساعة في هذا الصباح قد أشرفت على الحادية عشرة ؛ وعندما دخلت عليه سكرتيرته الحسناء لوسى تلقاها بالامتعاض ، اذ كان قد امر بعدم مقاطعته قبل الظهر .... ولكنها قالت له : انا آسفة لمضايقتك يا مستر أورساتي .. معى على التليفون مس جيجي دوبريه التي تبدو في حالة هستيرية ، لكنها لاتريد ان تقول لي ماعندها ... انها تصر على التحدث معك شخصيا ، وفكرت ان المسالة ربما كانت هامة ...

راح أورساتي يدير هذا الاسم في ذاكرته التي يعدها قسوية لا تنسى ، فلم يجد صدى للاسم لديه ... على أنه من قبيل حب الاستطلاع رفع سماعة التليفون مشيرا للسكرتيرة بالخروج ، وقال :

ـ نعم ؟ .. من المتكلم ؟..

فجاءه صوت تشوبه لهجة فرنسية تقول صاحبته : آه ! ... الحمد لله انني توصلت اليك يا « ميستر » اورساتي !.. لابد ان تمنحه بربك ! ..

ـ ياسيدة .. انا لا اعرف عمن تتكلمين ، وانا مشغول ...

ـ هوجو رومانو ، حبيبي ... لقد وعد ان ياخذني معه .. انه كذب علي .. اكتشفت اخيرا انه سيسافر الى البرازيل بدوني ... ان نصف مبلغ الثلاثة آلاف دولار الذي سياخذه معه هو من حقي ! ..

بدأ أورساتي يهتم بعد أن كان يستمع متأففا ، وقال : اى مبلغ هذا الذي تقولين عنه ؟ ..

ـ المبلغ الذي كان جو يخفيه في حسابه الجاري في البنك ... المبلغ المسروق !..

تزايد اهتمام أورساتي بتاثير هذه البيانات التي لم يكن يعرفها ،

بينما مضت المتكلمة تقول بلهجتها الهستيرية : ارجوك ان تقــول لجو انه لابد ان ياخذني معه الى البرازيل ...

فقال أورساتي في النهاية بلهجة مستطيرة : نعم ... ســـاهتم بهذه المسألة ...

***

كان مكتب جو رومانو الفخم مؤسســا على احدث طراز ، تزدان جدرانه بتلك اللوحات الفنية للمشاهير ... نعم انه نشأ في ازقة نيو اورليانز ، ولكنه استطاع ان يرتقي بتعليمه وذوقه الفني حتى اصبح يفاخر بانه من عشاق الفن والموسيقى ، وفي حين ان اضرابه ونظراءه كانوا يعتمدون في بقائهم على القوة البدنية والبطش ، فقد نجح هو في استخدام مواهبه العقلية ... واذا كان أورســـاتي يسيطر على نيواورليانز حقا ، فمن الحق ايضا ان جورومانو هو الذي يديرها لحسابه ...

ونراه الآن وقد دخلت عليه سكرتيرته قائلة : حضر مندوب ومعه تذكرة سفر بالطائرة الى ريودى جانيرو ، ويطلب الثمن .. هــل اكتب له شيكا ؟..

هز رومانو راسه وقال : ريودى جانيرو ؟ .. قولى له ان المسألة فيها غلط ...

وكان المندوب لدى الباب ، فقال : اخبروني ان اسلم التذكرة الى جو رومانو في هذا العنوان ...

ـ لا باس .. اخبروك غلط .. هل هى مداعبة من شــركة الطيران ؟ ...

ـ لا ياسيدى .. انا . .

ـ دعنى ارى التذكرة ... يوم الجمعة ؟.. ولماذا اسافر الى ريو يوم الجمعة ؟.

فقال انطونى أورساتي الذى وقف لدى الباب خلف المندوب :

ـ سؤال وجيه .. ما الذي يدعوك الى السفر ياجو ؟..

فقال رومانو وهو يرد التذكرة الى المندوب : لابد انها غلطـــة سخيفة .. ردها من حيث جاءت و ...

بيد ان أورساتي تناول التذكرة وفحصها قائلا : التذكرة تبين انها في الدرجة الاولى ، الى ريودى جانيرو ، يوم الجمعة ، ذهابا فقط ...

فضحك رومانو قائلا : هناك غلطة ولاشك ... اتصلي يا مادج بشركة الطيران وابلغيها انهم غلطوا غلطة سخيفة ، وان مسافرا مسكينة سيفقد مقعده في الرحلة ...
وفي هذه اللحظة دخلت مساعدة السكرتيرة قائلة : معذرة يا مستر رومانو ... البدلات وصلت ... هل تريد أن أمضي بالاستلام ؟ ...
حملق فيها رومانو قائلا : ايه بدلات ؟! ... انا لم اطلب اى بدلة ! ...
ولكن انطوني أورساتي استبقه قائلا : هاتي البدلات ...
بينما هتف رومانو : يا السماء ! .. هل جن كل انسان ؟..
ولما دخل المندوب بالبدلات هتف رومانو مرة ثانية : ما هذا كله ؟! ... انا لم اطلب اى بذلات !.. خذها الى جهنم !..
فقال أورساتي وكان يفحص الملابس : انها تحمل حرفى اسمك مذهبا ياجو ! ..
ـ ماذا ؟.. آه !.. مهلا .. وربما كانت هدية !..
ـ اهو عيد ميلادك ؟..
ـ لا .. ولكنك تعرف طبيعة الصديقات ياتوني ... يتحفنك دائما بالهدايا ! ..
فقال انطوني اورساتي : عندك مايهمك في البرازيل ؟.
فرد رومانو ضاحكا : البرازيل ؟!.. لابد ان هذه دعابة ياتوني ! ..
ابتسم انطوني اورساتي ابتسامة رقيقة ، وبعد ان اشار الى السكرتيرتين بالخروج سأله ا: ماهو رصيدك في البنك ياجو ؟..
تطلع اليه رومانو متحيرا ، ثم أجاب : لا اعرف بالضبط ... الف وخمسمائة دولار كما اظن ، وربما الفان ... لماذا ؟..
ـ للمزاح فقط .. لماذا لا تتصل بالبنك وتعرف بالضبط ؟...
ـ ليكن .. مادام هذا يرضيك ...
وبعد ان اوصلته السكرتيرة بالبنك قال لرئيسة الحسابات : انا جو رومانو .. ارجو افادتي عن رقم رصيدي في البنك .. تاريخ ميلادي هو ١٤ أكتوبر ...
وفي نفس الوقت التقط انطوني اورساتي وصلة التليفون ليستمع ، وبعد قليل جاءه الرد : رصيد حسابك حتى هذا اليوم

يامستر رومانو هو ثلاثة آلاف وتسعمائة وخمسة دولارا واثنان وثلاثون سنتا ...

شعر رومانو بالدم ينحسر من وجهه وهو يصيح قائلا : يامغفلة ! لست املك مثل هذا المبلغ في حسابي ! ... هناك غلطة شنيعة !. دعيني اكلم ...

غير انه الفى سماعة التليفون تسحب من يده وترد الى مكانها ، وصوت انطوني اورساتي يقول له : من اين جاء هذا المال ياجو ؟

اجاب رومانو وقد اصفر وجهه : اقسم بالله ياتوني انني لااعرف شيئا من هذا المبلغ ! ...

ــ صحيح ؟ ...

ــ لابد أن تصدقني !.. مؤكد انها مكيدة من احدهم !..

ــ لابد انه شخص يحبك كثيرا ... فاهداك هدية وداع بمبلغ ثلاثة آلاف دولار !..

وتهالك اورساتي في المقعد الحريري وراح يتامل رومانو طويلا ، ثم استطرد قائلا باتم هدوء : كل شيء تم تدبيره باحكام ، أليس كذلك ؟ .. تذكرة سفر ذهابا الى ريو ، وبذلات جديدة .. كما لو كنت تخطط لحياة جديدة متواصلة !.

نقال جو رومانو في فزع شديد : كلا ! .. ياالهي !.. انت تعرفني احسن من هذا ياتوني !.. انني كنت على الدوام قويما معك ! .. انت مثل اب لي !..

واخذ يتصبب عرقا .. وفي هذه اللحظة طرق الباب ، واطلت مادج براسها ممسكة بمظروف ... وبغريزة وحش حوصر قال لهاجو رومانو : ليس الان !.. انا مشغول ! ..

ــ ساخذ انا المظروف ...

قال اورساتي هذا وهو ينهض قائما قبل ان تغلق السكرتيرة الباب ، وتمهل في قراءة البرقية الواردة ، ومالبث أن ركز عينيه في رومانو قائلا : بصوت شديد الخفوت حتى لم يكد رومانو يسمعه ساقراها لك ياجو .. انها تقول : « يسرنا تأكيد حجزكم لجناح الاميرة بفندقنا لمدة شهرين اعتبارا من يوم الجمعة القادم أول سبتمبر » ... والبرقية بامضاء مدير فندق « ريو بالاس » في ريو دي جانيرو ... اليس هذا طلبك ؟ .. لكنك لن تحتاج الى الجناح المحجوز ! ..

الفصل الثالث عشر

فوجىء اندريه جيلان الطاهي الفرنسى فى منزل المحامي بيرى بوب وهو منهمك في اعداد الوليمة الوشيكة بصوت قاصف اعقبه توقف جهاز التكييف عن العمل ...

يا للمفاجأة !.. سوف يغضب مخدومه ولا ريب ، اذ كان اندريه يعرف انه يعتز كثيرا بهذه السهرة الاسبوعية ، كل يوم جمعة ليلا ، حيث تدار لعبة البوكر الحافلة ، مقترنة بالعشاء الفاخر ... كانت تقليدا مستمرا يتواصل منذ اعوام ، بحضور هؤلاء الصفوة من القاصرين المعروفين .. وبدون هواء مكيف يغدو المنزل خانقا لا يطاق لشدة الحر والرطوبة فى طقس سبتمبر هذا فى نيو أورليانز ...

كانت الساعة الرابعة ، ولسوف يصل الضيوف فى الساعة الثامنة ... فكر أندريه في مكالمة مستر بوب تليفونيا ، لكنه كان قد اخبره انه سيظل مشغولا فى المحكمة طول اليوم ، وسيكون بعدها فى حاجة الى الراحة ...

هكذا أسرع أندريه الى التليفون واتصل بشركة اسكيمو للتكييف، فرد عليه صوت الانسان الآلي يقول أن جميع الفنيين مشغولون ، وأن له أن يذكر الاسم والعنوان ونوع الخلل ، لكي يبادروا بالحضور لاصلاحه بأقرب وقت ممكن ... فامتثل أندريه على مضض وهو يحسب الف حساب لغضب المحامى اذا لم يتم الاصلاح قبل موعد الاجتماع .. فان مخدومه الشاب شخصية مرموقة لافى دوائر المحاماة والقضاء فقط ، ولكن كذلك فى الاوساط الاجتماعية الكبيرة ... وهكذا مضى أندريه فى اعداد اصنافه الممتازة وهو يتفصد عرقا ...

وشد ماتنفس الصعداء عندما رن جرس الباب بعد نصف ساعة ، فأسرع لفتح الباب الخلفي ، حيث وجد امامه رجلين فى ملابس العمال احدهما زنجى طويل القامة ، والثانى ابيض وادنى منه طولا ...

وعن كثب وقفت فى المشى سيارة الخدمة ... وقال الزنجى :

هل عندكم مشكلة بخصوص جهاز التكييف ؟..

ـ نعم ... شكرا للسماء أنكم حضرتم !.. ارجو أن تعملوا على اصلاحه حالا ، فعندنا ضيوف سيحضرون عاجلا ...

تقدم الزنجي الى الفرن وتشمم رائحة « التورتة » قائلا :

ـ يالها من رائحة لذيذة ! ..

ـ أرجوك أن تسرع ، فلا وقت أمامنا !..

وقادهما اندريه الى غرفة التكييف المركزى ... فركع الرجل الابيض المدعو رالف أمام الجهاز وفتح بابا صغيرا عند أسفله وأخرج بطارية ثم انبطح على بطنه وجعل يمعن النظر فى الداخل .. وبعد برهة نهض قائما وقال : ليس الخلل هنا ..

فقال اندريه : وأين هو اذن ؟ ...

ـ لابد انه احتراق في احد المنافذ ، أدى الى عطل فى الجهاز كله ... كم وحدة تكييف عندكم ؟..

ـ توجد وحدة في كل غرفة ... مجموعها ٩ وحدات على الاقل ..

ـ ربما كان العطل في واحدة منها .. لابد من القاء نظرة للفحص ...

وعاد الثلاثة الى الصالة ، وفى مرورهم بغرفة الجلوس قال آل الزنجى : هذا مكان جميل فعلا !..

كانت غرفة الجلوس فاخرة الاثاث حقا ، امتلات بالوان من التحف الثمينة تساوي وحدها ثروة ... والى مسارها قامت غرفة طعام رحبة الجنبات ، وعن يمينها مخدع توسطته مائدة قمار كبيرة مكسوة بالجوخ الاخضر ... وفى ركن من المخدع نصبت مائدة مستديرة أعدت لطعام العشاء ... وفى هذا المكان توقف العاملان للفحص ، ثم اخرج الزنجى آل بطاريته وسلطها على منفذ التكييف فى أعلى الحائط ... ومالبث أن تطلع الى السقف فى المكان الذى يعلو مائدة القمار وغمغم : ما الذى يوجد فوق هذه الغرفة ؟.

ـ غرفة السطح ...

ـ لنصعد اليها لالقاء نظرة ..

وتبع العاملان اندريه الى الغرفة العلوية ذات السقف الواطىء التى كانت متربة تتناثر فى زواياها أعشاش العناكب ... وتقدم

آل صندوق كهرباء في الحائط ، ففحص أسلاكه المتشابكة ثم غمغم : آم ...

فسأله اندريه بلهفة : هل وجدت شيئا ؟..

ـ المكثف تالف ... بسبب الرطوبة .. ولابد من استبداله ..

ـ هل يأخذ هذا وقتا طويلا ؟ .

ـ لا .. معنا مكثف جديد في السيارة ..

ـ ارجوك بالله ان تسرع ! ان مستر بوب سيعود قريبا !

ـ دع كل شيء لنا .. عد انت الى مطبخك مطمئنا ، وسنقوم نحن بكل شيء ...

ـ اشكركم ! .. اشكركم !..

وعاد اندريه الى المطبخ مطمئنا ... وخرج العاملان الى السيارة ورجعا بكيسين كبيرين صعدا بهما الى غرفة السطح ، ففتحـــا الكيسين واخرجا كرسيا منطويا ومثقابا من الصلب ومنظارا مكبرا لرؤية الاشياء الدقيقة وأدوات لحام ، الى جانب طبق شـــطائر وعلبتي بيرة .. ثم انهمكا في العمل ... وضحك آل قائلا وهمـا يستفتحان : ان أرنستين ستكون فخورة بي ! ...

وفي بداية المهمة رفض آل الفكرة بعناد ، قائلة لحبيبته ارنستين : لابد انك فقدت عقلك يا امرأة !.. لن يكون لي شأن ضد شخصية خطيرة مثل المحامي بيري بوب ، والا حطمني في ضوء النهار !..

كان هذا الحديث يدور بينهما في مسكن أرنستين بعد الافراج عنها ، ولما رأى اصرارها سألها : لحســاب من تريدين أن أقــوم بهذه العملية ؟ ..

ـ انها من أجل صديقتي تريسي ...

كان آل يميل الى تريسي بعد أن تناول ثلاثتهم طعام العشاء معا يوم خروجها من السجن .. ولمزيد من الاقناع قالت له ارنستين : اذا لم تساعدها في هذه المهمة فسوف تضطر الى الاستعانة بشخص آخر لا تكون له مثل مهارتك ، واذا قبضوا عليها فلن تنجـو من السجن مرة أخرى ... انني وضعتها تحت حمايتي أيام السجن ، ولن اتخلى عنها بحال ...

وفي النهاية اذعن آل لارنستين ، واتفقا على الاستعانة بصاحبه رالف الذي أفرج عنه مؤخرا ...

وكانت الساعة السادسة والنصف عندما رجع العاملان الى أندريه في المطبخ يكسوهما العرق والاتربة ... ولما سألهما بلهفة ان كان الاصلاح تم ، أجاب آل : نعم ... وبعد خمس دقائق سيدور التكييف كما لو كان جديدا ..

ـ مدهش ... اذا تركتما الفاتورة على المائدة فان ...

فهز رالف راسه قائلا : لا تشغل بالك ... ستقوم الشركة بالمطالبة .

ـ بارك الله فيكما ! ...

وراقبهما أندريه وهما ينصرفان من الباب الخلفي حاملين كيس الادوات ... ولما غابا عن نظره دارا في الفضاء الى موضع صندوق المكثف الخارجي لوحدة التكييف حيث رفع رالف بطاريته بينما تولى آل اعادة توصيل الاسلاك التي كان قد فصلها منذ نحو ساعتين ، وسرعان مادبت الحياة في جهاز التكييف كله ..

وقبيل انصرافهما كتب آل رقم التليفون المدون على الجهاز ، وفي الطريق اتصل تليفونيا بشركة الاسكيمو للتكييف وابلغ الانسان الآلي الذي رد عليه قائلا : هنا مسكن بيري بوب بشارع تشارلز رقم ٤٢ ... ان جهاز التكييف عندنا عاد الى العمل بصورة مرضية .. لا تكلفوا خاطركم بارسال مندوب للاصلاح ... ليلتكم سعيدة !..

***

كانت سهرة « شلة » الجمعة للعب القمار في منزل بيري بوب مناسبة حافلة يتطلع اليها اللاعبون باشتياق ... كانوا دائما نفس المجموعة « المختارة بعناية : انطوني أورساتي ، وجو رومانو ، والقاضي هنري لورانس ، وعمدة المدينة ، والسيناتور عضو البرلمان ومضيفهم بالطبع ... وكانت مبالغ اللعب ضخمة ، والطعام ممتازا والجمع كله يمثل أوج القوة والسلطان ...

ووقف بيري بوب في غرفة نومه يغير ملابسه ويترنم هانئا قرير العين ، مفكرا في الامسية المرتقبة الموعودة ، خصوصا في حظه الذي لازمه التوفيق في العهد الاخير ، حتى لم يتمالك أن قال لنفسه : ان حياتي كلها في الواقع كانت دائما مناط التوفيق والربح ...

فلو أن أحدا في نيو أورليانز احتاج الى خدمة قضائية ، لم

يكن امامه سوى بيرى بوب المحامي ليقضيها له .. وكانت قوته نابعة من اتصالاته بمائلة اورساتي ... كان معروفا باسم « مدبر الامور » ، الذى يستطيع تسوية اى شيء ابتداء من مخالفة مرور ، الى تهمة الاتجار بالمخدرات ، الى جريمة هتك عرض او قتل ... هكذا كانت الحياة امامه رغدة ناعمة ...

وعندما حضر انطونى اورساتي اخيرا ، كان بصحبته ضيف ، وكان اول ما قاله : ان جو رومانو لن يشاركنا اللعب بعد الآن .. كلكم تعرفون مفتش البوليس نيوهاوس ...

وتصافح الضيوف جميعا ... وقال بيرى بوب : المشروبات على المائدة ايها السادة ... وسنتناول العشاء فيما بعد ... لماذا لا نبدأ جولة صغيرة فى اللعب ؟..

واتخذ الرجال مقاعدهم المعتادة حول المائدة الخضراء .. ولم يلبث اورساتي ان اشار الى مقعد جو رومانو الخالى وقال للمفتش نيوهاوس : ان هذا سيكون مجلسك يا ميل من الآن فصاعدا ..

وبينما قام احد الرجال بفتح مجموعات جديدة من اوراق اللعب، بدأ بيرى بوب بتوزيع « فيشات البوكر » ... وشرح للمفتش نيوهاوس قائلا :

ـ الفيشات السوداء بخمسة دولارات ، والحمراء بعشرة دولارات ، والزرقاء بخمسين دولارا ، والبيضاء بمائة دولار ... وكل واحد يبدأ اللعب بشراء ما قيمته خمسمائة دولار من الفيشات ...

فقال له المفتش : هذا كلام طيب فى نظرى ...

واما انطونى اورساتي فقد بدا متعكر المزاج ، اذ قال : لنبدأ دون تأخير ...

كان صوته اقرب الى الهمس المختنق ، وهذه علامة سيئة ... وكان بيرى بوب يتوق بكل مشاعره الى معرفة ماذا حل بجو رومانو ، بيد ان المحامي كان اعقل من ان يطرق هذه المسالة .. ان اورساتي يمكن ان يناقشها معه عندما يتهيأ لذلك ...

وفي الحق ان افكار اورساتي كانت سوداء وهى تدور هذا المدار : اننى كنت بمثابة الاب لجو رومانو ... لقد منحته لقمتى ، وجعلته ساعدى الايمن وكبير اعوانى !.. فاذا ابن اللئام يطعننى فى

الظهر ... ولو ان تلك المرأة الفرنسية اللعوب لم تتصل بي تليفونيا لاستطاع الافلات من قبضتي بغنيمته !... لا باس .. لن يستطيع الآن الافلات باي شيء وهو سابح مع الاسماك في الاعماق !..

ــ توني ! .. هل انت معنا ، او خارج اللعب ؟..

وبهذا النداء عاد انطوني اورساتي باهتمامه الى اللعب .. كانت مبالغ ضخمة تدور فوق هذه المائدة بين المكسب والخسارة ... وكان يزعج انطوني اورساتي دائما ان يخسر ، وان لم يكن ذلك بسبب المال .. فهو لا يطيق ان يكون في الجانب الخاسر لاي شيء .. وماكان يرى في نفسه الا الرابح الذي هيأته الطبيعة للربح ... فالرابحون هم فقط الذين يرتقون الى مكانته في الحياة ... وقد حدث خلال الاسابيع الستة الاخيرة ان بيري بوب ظل على الدوام هو الرابح على نحو جنوني ، فاعتزم انطوني اورساتي ان يكسر هذه الظاهرة الشاذة في ليلته تلك ...

ولكن يالعجب العجاب ... لقد تنوعت اساليب اللعب هذه الليلة ، ولكن على الرغم من تنوعها فقد ظل انطوني اورساتي في الجانب الخاسر ... ومن ثم اخذ يضاعف المبالغ التي يلعب بها ، مستميتا غاية الاستماتة ، محاولا تعويض خسائره ... وما ان انتصف الليل عندما توقف اللاعبون لتناول العشاء الفاخر الذي اعده اندريه الفرنسي ، حتى بلغت خسائر اورساتي خمسين الف دولار ، وبيري بوب هو الرابح الاكبر ! ...

كان الطعام سائغا حقا ، وكان اورساتي عادة يستمتع بعشاء منتصف الليل هذا ، غير انه بدا هذه الليلة نافد الصبر متعجلا للعودة الى المائدة الخضراء ...

قال له بيري بوب : انت لا تاكل ياتوني ...

ــ لست جائعا ...

ومد اورساتي يده الى اناء القهوة الفضي بجانبه وصب القهوة في فنجان الخزف الثمين وانتقل وحده الى المائدة الخضراء وجعل يراقب رفاقه وهم ياكلون ، متمنيا ان يسرعوا ... كان يتعجل استرداد المبالغ التي خسرها ... وفيما هو يبدأ في تقليب القهوة اذ سقطت قطعة صغيرة من الملاط في الفنجان .. فعمد في استيائه الى رفعها بملعقة ، وفحصها ... بدا انها قطعة ملاط فعلا ...

فرفع نظره الى السقف ، واذا شيء يصيبه في جبينه .. وفجأة احس بجلبة شيء يمرق فوق راسه .. فهتف :

ـ ما الذي يحدث فوق السقف بحق الشيطان ؟ ...

كان بيري بوب منهمكا في سرد نكتة للمفتش نيوهاوس ، فقال : انا آسف ... ماذا قلت يالوني ؟..

كانت جلبة الشيء المارق اشد وضوحا الآن ... وبدات قطع الملاط الصغيرة تتساقط تباعا فوق المائدة الخضراء ... فقال السيناتور : يبدو لي ان عندك بعض الفئران !..

فرد بيري بوب مهتاجا : لا يكون هذا في بيتي !..

فزمجر اورسالي قائلا : يا للجحيم !.. هناك شيء عندك ! ...

وسقطت هذه المرة قطعة كبيرة من الملاط فوق المائدة الخضراء

فرفع انطوني اورسالي عينيه الى السقف مرة اخرى ولمح فيه فتحة صغيرة فوق راسه مباشرة ، واذا هو يقول : غريب !... هلموا بنا نلقي نظرة على ماهناك ! ..

ونهض اورسالي واتجه الى السلالم ، بينما نظر الآخرون بعضهم الى بعض ، ثم اسرعوا خلفه .. وعندما وصلوا الى باب غرفة السطح دفعه اورسالي واضاء بيري بوب النور ... فلمحوا فارين يتسابقان بجنون حول الغرفة ، حتى لم يتمالك بيري بوب ان هتف يا الهي ! .. فئران في بيتي !..

اما انطوني اورسالي فلم يكن منصتا اليه .. كان يحدق في الغرفة ... فوقع نظره في وسطها على كرسي من القماش المنطوي وفوقه لفافة شطائر وعلبتي بيرة مفتوحتان ومنظار مكبر صغير الحجم ... فتقدم نحوها وتناولها واحدا واحدا واخذ يفحصها وما لبث ان ركع على الارض الترية وازال الاسطوانة الخشبية الصغيرة التي كانت تخفي الفتحة التي تم ثقبها في سقف الغرفة التحتية ... ومن خلال هذه الفتحة بدت له مائدة القمار جلية واضحة ...

لقد وقف بيري بوب في وسط غرفة السطح منعقد اللسان مشدوها ... وما عتم ان هتف : من بحق الشيطان وضع هذه الاشياء هنا ؟.. ساحاسب اندريه عن هذا حسابا شديدا !..

ثم نهض اورسالي متباطئا ونفض التراب عن ملابسه ... ونظر

• بيرى بوب الى الارض ، فلم يتمالك ان هتف : انظروا !.. انهم تركوا فتحة لعينة فى الارض ! ... ان عمال هـذه الايام غـاية فى الاهمال ! ...

وقرفص بيرى بوب والقى نظرة من خلال الفتحة ، واذا وجهه يمتقع فجأة .. ومالبث أن قام ونظر حواليه زائغ البصر ، فاذا الجميع يحملقون فيه .. فراح يقول :

ـ لعلكم لا تظنون انني .. تكلموا يارفاق !.. انا لا اعرف شيئا من هذا ! .. انا لا يمكن أن افشكم فى اللعب ! .. ياالهى !.. اننا اصدقاء ! ..

وارتفعت يده الى فمه وبدأ يعض على ابهامه محتدما .. فما كان من أورساكي الا أن ربت على ذراعه قائلا بصوت لا يكاد يسمع :

ـ هون عليك ، ولا تشغل بالك ! ..

ولكن بيرى بوب لم يكف فى يأسه من قرض اسنانه فى لحم ابهامه ...

الفصل الرابع عشر

قالت الزنجية ارنستين ضاحكة : هاهما اثنان قد سقطا ! ... الدائر على الالسنة فى الشارع أن صاحبك المحامى بيرى بوب لن يمارس المهنة بعد الآن ... فقد اصيب فى الحادث اصـابة قاتلة ! ...

كانت تريسى وارنستين تتناولان القهوة باللبن والبسـكويت فى مقهى صغير بشارع رويال ... وقد مضت ارنستين تقول : انت ذات ذكاء خارق وعقليـة جبارة يا بنيتى ! .. هلا انضـممت الى للاشتراك معا فى العمل ؟ ...

ـ اشكرك يا ارنستين ... عندى مشروعات أخرى ..

فقالت ارنستين بلهفة : على من الدور ؟..

ـ لورانس .. القاضى هنرى لورانس ...

لقد بدأ هنرى لورانس حياته العملية محاميا صغيرا فى بلدة ليزفيل ... ولم تكن له ميول الى القوانين ؛ ولـكنه كان يحظى بموهبتين بالغتى الاهمية : شكله المهيب ، ومرونته الاخلاقية ...

كانت فلسفته قائمة على اعتبار القانون كعود طرى يمكن ثنيه لكى يلائم حاجات الموكلين ... وبهذه النظرة التى استحوذت على عقله ، لم يكن مما يدهش أنه بعد فترة قصيرة من انتقاله الى مدينة نيو أورليانز ، ازدهرت ممارسته للمحاماة مع طبقة خاصة من الموكلين ... وهكذا تطورت معاملاته القضائية من معالجة مخالفات المرور والجنح الصغيرة الى قضايا السرقات وجرائم القتل ، وامتد تأثيره بعد ذلك الى ذمم المحلفين انفسهم ، حتى أصبح خبيرا فى هذا المجال ، مستعينا فى هذا بالرشاوى وتسفيه شهادة الشهود بالباطل والتلفيق ... وهكذا كان هو الرجل الذى ينشده انطونى أورسالى ، اذ كان محتما أن تتلاقى طرقهما وتتوحد ... كان التلاقى بمثابة زواج فى عالم « المافيا » .. وغدا لورانس البوق الناطق باسم « عائلة أورسالى » ... وعندما حان الوقت الملائم ، عمل أورسالى على رفعه الى مرتبة القضاة ...

وفى الحديث بين ارنستين وتريسى قالت تلك : لا اعرف كيف يمكنك الايقاع بالقاضى لورانس .. هو غنى ، وقوى ، ومنيع الجانب ...

بيد ان تريسى كانت قد رسمت خطتها ، وان اضطرت بعد ذلك الى تعديلها بعد أن اتصلت بمكتب القاضى لورانس تليفونيا وعلمت من سكرتيرته بعد محاورة ومداورة انه فى الخارج مع بعثة قضائية .

قالت تريسى للسكرتيرة وذهنها يعمل كخطف البرق : أنا اليزابيث داستين رئيسة رابطة المحامين الامريكية ، وقد قررنا اقامة حفلنا السنوى يوم ٢٠ الجارى لمنح الجوائز ، ووقع الاختيار على القاضى هنرى لورانس ليكون « رجل العام » ..

ـ هذا بديع ... ولكن يؤسفنى ان أقول ان فخامته لن يعود قبل هذا الموعد .

ـ ياسوء الحظ ... اننا كنا نتطلع الى سماع احد خطاباته المتميزة ... ان هذا الاختيار تم باجماع اللجنة الخاصة .. هل يمكن ان اعرف مقره الحالى للاتصال به ، وانا كفيلة بالحصول على موافقته حتى لا تفوته هذه المناسبة الاعلامية الكبيرة ؟ ..

لقد اعتذرت السكرتيرة أول الأمر عن الافضاء بمعلومات عن مكان وجود القاضى ، بيد أن تريسى مازالت بها حتى قبلت أخيرا ،

وقالت لها : يمكنك الاتصال به فى موسكو ، بفندق روسيا .. انه سيبقى هناك مدة خمسة أيام ، وبعد ذلك ...

ـ بديع .. سأتصل به فورا .. شكرى لك عظيم !..

وأرسلت البرقيات الثلاث الى القاضى هنرى لورانس بعنـــوانه فى فندق روسيا ، أولاها بالنص التالى :

١ ـ « عن المجلس القضائى الاجتماع اتفق عليه ورتب »
« أكدوا التاريخ المناسب كما ان الأماكن »
مثلما طلبتم » .

« بوريس »

٢ ـ وكانت البرقية التى ارسلت اليه فى اليوم التـــالى بهذا النص :

« اخطرونا ماهى خطط السفر طائرة اختكم »
« وصلت متأخرة لكنها هبطت بامان فقدت »
« الجوازات والنقود فقط واختكم »
« وضعت فى فندق أولى سويسرى سنعمل على »
« تسوية الحساب فيما بعد ـ بوريس »

٣ ـ وكانت البرقية الاخيرة كما يلى :

« بالاتصال بالسفارة الامريكية تحاول أختكم ما أمكن »
« الحصول على جواز لا معلومات للآن » .
« عن فيزا جديدة السويسريون ينظرون الى الروس »
« بالتقدير سنرسل أختكم بالباخرة فى هذه المرة قريبا »

« بوريس »

وجلست المخابرات الروسية تنتظر لترى ان كانت هناك برقيات اخرى ... ولما لم ترد برقيات جـــديدة قبض على القـــاضى لورانس ...

وقد دام استجوابه عشرة أيام بلياليها :

« لمن ارسلت المعلومات ؟ .. » ..

« اية معلومات ؟ .. أنا لا اعرف ماذا تقصدون » ..

« نقصد الخطط .. من الذى أعطاك الخطط ؟ » ..

« اية خطط ؟ ..

« الخطط المتعلقة بالغواصة النووية السوفيتية » ...

« لابد انكم جننتم !.. ماذا ادرانى عن غواصات سوفيتية ؟ »

« هذا مانوي أن نكتشفه .. مع من كانت اجتماعاتك السرية ؟»
« اية اجتماعات سرية ؟ . .ليست عندي أسرار » ...
« حسنا .. اذن يمكنك أن تخبرنا من هو بوريس » ...
« بوريس ؟.. اي بوريس هذا ؟.. » .
« الرجل الذي اودع نقودا في حسابك بسويسرا » ..
« اى حساب بسويسرا ؟ » ...

هكذا احتدم مستجوبوه غضبا ، وقالوا له : انت عنيد أحمق .. اننا سنجعل منك امثولة ومن كافة الجواسيس الامريكيين الذين يحاولون هدم وطننا العظيم ...

وعندما سمع للسفير الامريكي بزيارته ، كان القاضي هنرى لورانس قد فقد خمسة عشر رطلا من وزنه ، ولم يستطع أن يتذكر آخر مرة سمح له فيها آسروه بالنوم ، وغدا حطام رجل راعش مهدم ... واصبح يقول بصوت كنقيق ضفدع : لماذا يفعلون بي هذا ؟ ... انا مواطن امريكي ! ... انا قاض ! . اخرجوني من هنا بالله ! ..

فرد عليه السفير مؤكدا : انني ابذل كل مافي وسعي ...

والحق أن السفير قد ريع لمظهر لورانس .. انه رحب بالقاضي لورانس وزملائه من أعضاء البعثة القضائية عند حضورهم منذ اسبوعين ... ان الرجل الذي قابله السفير آنذاك بدا الآن أبعد شبها بالمخلوق المروع الهلوع الذي كان الآن يتذلل أمامه .

ولقد طرق السفير باب الوزير المختص واعرب له عن احتجاجه الرسمي قائلا : ان هذه المعاملة للقاضي هنرى لورانس لا عذر لها ... وأن اعتبار رجل في مثل مكانته جاسوسا هو !..

فرد عليه الوزير بفتور قائلا : اذا كنت انتهيت من كلامك ، فتفضل والق نظرة على هذه الاوراق ..

وقدم صور البرقيات الى السفير .. فقرأها ، ثم تطلع متحيرا وقال : ماهو العيب فيها ؟ ... انها بريئة تماما !..

ــ أحقا ؟ .. ربما كان الافضل أن تقرأها مرة ثانية ، بعد فك شفرتها ...

وقدم للسفير صورة أخرى للبرقيات ، وبها كل رابع كلمة بين قوسين :

١ ــ « عن المجلس القضائي « الاجتماع » اتفق عليه »

« و « رتب » اكدوا التاريخ المناسب « كما » «
« ان الاماكن مثلما « طلبتم » »

« بوريس »

٢ ــ « اخطرونا ماهى « خطط » السفر طائرة اختكم « وصلت » متاخرة لكنها » .

« هبطت « بأمان » فقدت الجوازات و « النقود » فقط واختكم وضعت » .

« فى فندق أولى « سويسرى » سنعمل على تسوية «الحساب» فيما »

« بعد ــ بوريس » .

٣ ــ « بالاتصال بالسفارة الامريكية « تحاول » اختكم ما أمكن الحصول »

« على جواز لا « معلومات » للآن عن فيزا « جديدة » . »
« السويسريون ينظرون الى « الروس » بالتقدير سنرسل »
« اختكم « بالباخرة » فى هذه المرة « قريبا » . » .

« بوريس »

وهكذا ارتج على السفير ولم يحر قولا ...

وقد منعت الصحافة والجمهور من حضور المحاكمة ... والتزم السجين العناد حتى النهاية ، مستمرا فى انكاره انه جاء الى الاتحاد السوفييتى فى مهمة تجسس ... وقد وعده ممثل الاتهام بتخفيف الحكم اذا هو كشف عمن هم رؤساؤه ، وكان القاضى لورانس على استعداد لبذل روحه لو كان فى قدرته أن يفعل هذا ، ولكن ماكان له الى ذلك من سبيل وا أسفاه .

وغداة يوم المحاكمة نشرت الصحف نبأ موجزا عن ادانة الجاسوس الامريكى القاضى هنرى لورانس بتهمة التجسس والحكم عليه بالسجن مع الاشغال الشاقة فى سيبيريا لمدة اربعة عشر عاما ..

***

هذا ، ولم تعد الامور تسير سيرها الحسن بالنسبة لانطونى اورساتى ... واصبح « الزعيم » عاجزا عن التكهن بالاسباب ــ فلاول مرة فى حياته صار النحس حليفه ... وكانت البداية هى خيانة جو رومانو له ، وتلاه بيرى بوب ، والان هاهو ذا القاضى

لورانس قد ذهب ، متورطا فى عملية تجسس جنونية ... كان للاثنهم جزءا متماسكا اساسيا فى جهاز اورسانى ... كانوا اشخاصا يعتمد عليهم ! ..

لقد كان جوروماتو هو العمود الفقرى فى تنظيم « العائلة » ، ولم يجد اورسانى احدا يحتل مكانه ، واصبحت الاعمال تدار فى تخبط واضطراب ، وغدت الشكاوى تتوارد من اناس لم يكونوا يجسرون قط على الشكوى من قبل ... واصبح متواترا على الالسنة أن تونى أورسانى بدأ يهرم ، وأنه لا يستطيع توجيه رجاله ، وأن تنظيمه بدأ يتصدع ويتفكك ...

ثم كانت القشة التى قصمت ظهر البعير هى تلك المكالمة التليفونية التى تلقاها من مدينة نيوجرسى تقول : « سمعنا أنك تعانى بعض المتاعب ياتونى فى موقعك ، ونحب أن نساعدك للتغلب عليها » ...

فرد أورسانى محتدما : ليس عندى أية متاعب ... نعم اننى صادفت بعض المشاكل أخيرا ، ولكننى سويتها كلها !..

ــ هذا لم نسمع به ياتونى ... الشائع أن مدينتك بدأت تخرج عليك بعض الشىء ، وليس هناك من يسيطر عليها ..

ــ انما أنا المسيطر فعلا !..

ــ ربما كان الامر فوق طاقتك .. ويجوز أنك تجهد نفسك فى العمل ...

وقد تكون فى حاجة الى شىء من الراحة ...

ــ هذه مدينتى ! .. ولن ينتزعها أحد منى !..

ــ مهلا ياتونى !.. من قال شيئا عن انتزاعها منك ؟.. كل ما هناك اننا نريد مساعدتك ... ان « العائلات » فى المنطقة الشرقية قد اجتمعت وقررت ارسال بعض الرجال اليك لمدك بشىء من المساعدة ... وليس فى هذا أى خطأ فيما بين الاصحاب القدماء ، أليس كذلك ؟ ..

لقد شعر انطونى أورسانى بقشعريرة باردة تسرى فى كيانه .. فقد أيقن أن هذا الكلام الناعم المعسول هو النذير بنهايته ...

***

اعدت ارنستين طعام العشاء ، ولم يبق الا حضور آل لكى ينضم اليها والى تريسى .. وما أن حضر فى النهاية حتى انفجرت فيه

ارنستين صارخة : اين كنت بحق جهنم ؟.. ان العشاء بدأ يحترق فوق النار ، مثلي انا ! ...

بيد ان آل بدا في روح معنوية عالية ، اذ قال : انني كنت انقب من الاخبار يا امرأة ، فاسمعيماعندي ...

ثم التفت الي تريسي واردف : لقد دارت الدائرة على انطوني اورساتي ... فان « العائلة » في نيوجرسي في طريقها الى هنـا لخلعه واخذ مكانه ! ... لقد سقط ابن اللئام اخيرا مـن فوق عرشه ! ...

غير أن ابتسامته العريضة ما لبثت أن تلاشت عندما نظـر في عيني تريسي ، وقال لها : السـت سعيدة ياتريسي ؟..

يالها من دنيا غريبة ! .. سعيدة ؟! .. لقد نسيت معنى هـذه الكلمة ... وتساءلت في خاطرها أيمكن أن تكون حقا سـعيدة من جديد ، وأن تخامرها بعد أية مشـاعر طبيعية ؟ ... لقـد لبثت زمنا مديدا وهي لا تفكر الا في الانتقام والاقتصاص ممن فعلوا بأمها وبها مافعلوا من مظالم ... والان وقد تم أو أوشك ما كانت تريد ، فاذا الذي في كيانها خواء اي خواء !..

ومهما يكن فقد هرجت تريسي في صباح اليوم التالى على محل زهور وقالت للبائعة : اريد ارسال زهور الى انطوني أورساتي .. اكليل جنائزي أبيض فوق حامل وحوله شريط عريض تكتب عليـه هذه الكلمات : « ارقد في سلام » ...

وطلبت بطاقة كتبت عليها : « من ابنة دوريس هويتني » ...

القسم الثالث

الفصل الخامس عشر

فيلادلفيا ــ الخميس ٧ اكتوبر ــ الساعة ٤ مساء .

لقد حان الوقت لتصفية الحساب مع تشارلز ستانهوب .. كان الاخرون غرباء عنها ... اما تشارلز فكان حبيبها ووالد طفلها الذي لم ير النور ، وهو قد ادار ظهره لهما معا ...

وكانت ارنستين وآل في توديعها في مطار نيوأورليانز ، وسالها آل : ماذا ستفعلين في فيلادلفيا ؟..

فاجابت وهي تخفي عنهما نصف الحقيقة : ساعود الى عملي انسابق في البنك ...

تبادلت ارنستين وآل النظر ، وقالت الاولى : هل ... يعرفون انك قادمة ؟ ..

ـ لا .. لكن نائب المدير يودني ... ولن تكون هناك مشكلة ... من الصعب ايجاد خبيرة في اعمال الكمبيوتر مثلي ..

ـ حسنا ... حظا سعيدا ... اتصلي بنا ، وابتعدي عن المشاكل ...

وبعد نصف ساعة كانت في الفضاء ، متجهة الى فيلادلفيا .

شد ما كانت تريسي مسرفة في حسن الظن بالناس والايام ... فعندما قصدت في اليوم التالي الى البنك ، قابلها المدير ديزموند بالامتعاض ، مبديا له استحالة عودتها الى البنك ، نظرا لقضائها فترة في السجن بتهمة السطو المسلح ومحاولة القتل ، مما هو مناقض للتقاليد الخلقية المعمول بها في البنك ..

كانت صدمة مربعة لها ، وعادت الى غرفتها بالفندق حيث امضت نهارها كله وهي حليفة التعاسة والحنق معا .. وشيئا فشيئا ثابت الى الهدوء ، ورأت ان امامها مهمة اخرى في المدينة ، وما ان تتمها حتى ترتحل الى مكان آخر ، في نيويورك ، حيث تكون مجهولة لا يعرفها احد ، ولا يتعرف على ماضيها ..

فلما كان المساء قصدت الى مطعم رويال لتناول العشاء ، اذ كانت في امس الحاجة الى مايبعث السكينة في نفسها في جو الاضواء الخافتة والموسيقى الشجية والبيئة المختارة ... وبدأت جلستها بطلب شراب ، وما ان تطلعت حولها حتى خفق قلبها فجاة ففي مقصورة صغيرة عبر المكان وقع نظرها على تشارلز وزوجته .. انهما لم يبصراها بعد ... وكان اول ما خطر لها هو ان تقوم وتنسحب ، اذ لم تكن في الحق متاهبة لمواجهة تشارلز ، الى ان تعد خطتها الكاملة ... بيد انها لم تلبث ان قررت البقاء لاتمام العشاء ...

وعادت تنظر الى ناحية تشارلز من جديد ... ومن عجب ان ظاهرة جديدة مدهشة قد حدثت ، اذ بدا لها وكانها تنظر الى شخص قريب عنها ... ابصرت رجلا ناحلا شاحبا ، تقدمت به السنون ، ادنى الى الصلع ، مقوس المنكبين ، تشيع في وجهه

امارات ملل مطبق ... كان من المستحيل ان تصدق انها احبت يوما هذا الرجل ، واسلمت له نفسها ، ورسمت أن تمضي بقية عمرها معه ! ... ثم نظرت الى زوجته ... كان طابع الملل هو السمة الغالبة عليها مثله ... كانت طوالعهما تنبىء عن أثنين احتبسا في قفص مدى الحياة ، وتجمدا في مسيرة الزمن ... وكان بوسعها ان تتخيل العيش الرتيب الممض على مدار اعوامهما القادمة .. كانا ببساطة جالسين متجاورين لا ينبس احدهما بكلمة واحدة ، لا حب بينهما ولا بهجة ...

هذا اذن عقاب تشارلز كما قدرت تريسي ، واذا هي تشعر بفيض دافق من الراحة والتحرر من تلك الاغلال العاطفية الثقال التي كانت ترزح تحت نيرها ...

لقد انتهى كل ماكان بينهما ... ودفن الماضي نهائيا ..

***

كانت تريسي قد تلقت المبلغ المقرر من ادارة السجن لدى الافراج عنها وهو ثلثمائة دولار ، بالاضافة الى المبلغ الذي استحقته عن رعايتها للطفلة ايمي ... بيد أن هذا وذاك لن يدفعا عنها شر الحاجة ، وكان لابد لها من البحث عن عمل ...

وكان أول مافعلته عند وصولها الى نيويورك والنزول في فندق صغير هو البحث في اعلانات الوظائف الخالية بالصحف ، ولما قرأت من طلب سكرتيرة في شركة تصدير بادرت بالذهاب الى الشركة ، فما أن دخلت على المدير المختص حتى فاجاها قائلا : انني رأيتك في التليفزيون ... انك انقذت طفلة في السجن ، أليس كذلك ؟..

فلم ترد ، وانثنت هاربة ...

وفي اليوم التالي وفقت الى وظيفة بائعة في متجر لمستلزمات الاطفال ، وكان المرتب أقل كثيرا مما اعتادته ، لكنه كان على الاقل كافيا لاعالتها ...

وبعد يومين اثنين تعرفت عليها زبونة هستيرية وأبلغت المدير أنها ترفض أن تأخذ احتياجاتها من قاتلة أغرقت طفلة صغيرة ! . وهكذا فصلت توا ...

لقد خيل الى تريسي أن الرجال الذين اوقعت انتقامها بهم كانت لهم الكلمة العليا في النهاية ... فقد أحالوها الى مجرمة ، ومنبوذة وكان الظلم الذي يلاحقها الآن ساحقا ... ولم تعد تدري كيف

يتاح لها ان تعيش ، ولاول مرة في حياتها استحوذ عليها يأس مطبق ... وفي تلك اللحظة نظرت في كيس نقودها لتعرف كم بقى لها من نقودها المحدودة ، فعثرت يدها على قصاصة ورق كانت بيتي فرانشيسكوس قد اعطتها لها في السجن بعنوان كونراد مورجان الجواهرجي ومحله رقم ٦٤٠ في « فيفث افنيو » بنيويورك ، وقالت لها انه يعمل لمساعدة المسجونين السابقين .. فلم تتردد في الذهاب اليه ..

وتبين لها ان محل كونراد مورجان هو في الواقع متجر فخم ، يقوم على بابه حاجب في كسوة خاصة ، وبداخله حارس مسلح وكانت المجوهرات المعروضة من النفائس ... وعندما ذكرت تريسي لعاملة الاستقبال انها تريد مقابلة مستر كونراد مورجان سألها : هل هناك موعد ؟ ...

– لا ... ان صديقا مشتركا أوصاني بمقابلته ..

– اسمك ؟ ..

– تريسي هويتني ..

فرفعت العاملة سماعة التليفون وغمغمت كلاما لم تستطع تريسي ان تسمعه ، وما لبثت أن وضعت السماعة قائلة : مستر مورجان مشغول الان ... وهو يستفهم أن كان بامكانك الحضور في الساعة السادسة ؟ ...

– نعم ... شكرا .

وخرجت من المحل ووقفت على الرصيف مترددة .. ان الحضور الى نيويورك كان غلطة ولاشك ... واغلب الظن أن كونراد لن يستطيع أن يفعل لها شيئا ، وما الذي يضطره الى هذا وهي غريبة عنه تماما ؟ ... كل ما في وسعه هو أن يعطيها محاضرة ليست في حاجة اليها ، لا منه ولا من أي أحد آخر .. كلا ! .. لابد لها من الاعتماد على جهدها وحده مهما تكن المصاعب .. فليذهب كونراد الى الجحيم ! ... وهكذا قررت الا تعود اليه ...

وراحت تتمشى في الشوارع الفخمة بلا هدف معين ؛ مارة بالمتاجر الانيقة والمباني الشامخة دون أن تبصر شيئا وقد تملكها احباط مرير ...

فلما كانت الساعة السادسة الفت نفسها قد عادت ادراجها الى محل الجواهرجي كونراد مورجان ، فرأت حارس الباب قد

ذهب ، والمحل مغلقا ... فجعلت تطرق الباب في شيء من التحدي ثم تحولت عنه ، ولكن لدهشتها فتح الباب فجأة ...

الفت نفسها امام رجل قصير أصلع تحف بأذنيه خصلات شعر اشيب مجعد ، ولكنه كان مورد الوجه بادي البشاشة أزرق العينين لامعهما ... وقد بادرها قائلا :

ـ لابد انك مس هويتنى ؟.

ـ نعم ....

ـ انا كونراد مورجان ... تفضلي بالدخول ..

دلفت تريسى الى المحل المهجور ، في حين قال لها مورجان : انني كنت في انتظارك ... هيا ندخل مكتبي حيث يمكننا أن نتكلم ...

وتقدمها الى باب موصد فتحه بمفتاح ... كان مكتبه أنيق الاثاث ، وبدا أقرب الى سكن منه الى محل عمل ، بلا مكتب ، وانما ارائك ومقاعد ومناضد منسقة بفن ... وكانت الحوائط مزدانة بلوحات كبار الرسامين ...

وعرض عليها الشراب ، فاعتذرت ... والواقع انها شعرت فجأة باضطراب عصبي ، ولكنها قالت له : ان بيتي فرانشسكوس اشارت على بأن أقصدك يامستر مورجان ... قالت انك تساعد من كانوا في ... مشاكل ! ..

ولم يطاوعها لسانها على القول « .. في السجن » . اما كونراد مورجان فقد شبك يديه ، ولاحظت تريسى انهما مجملتان « بالمانيكير » ... وقال لها :

مسكينة بيتي ... سيدة محبوبة ... لكنها كانت سيئة الحظ ..

ـ سيئة الحظ ؟ ..

ـ نعم .. لكنهم ضبطوها ..

ـ لست .. لست أفهم ! ...

ـ المسألة في غاية البساطة يامس هويتنى ... ان بيتي اعتادت العمل لحسابي .. وكانت مكفولة العيش .. ثم وقعت المسكينة في حب سائق سيارة خاصة في نيواورليانز ، واستقلت بالعمل لنفسها والنتيجة انهم ضبطوها ...

شعرت تريسي بالارتباك والحيرة حتى قالت : هل كانت تعمل لحسابك هنا كبائعة ؟ ...

مال كونراد مورجان في مقعده الى الخلف وضحك حتى امتلأت عيناه بالدموع ، ثم قال لها وهو يمسح دموعه : كلا يا عزيزتي ... من الواضح أن بيتي لم تشرح لك كل شيء ... ان لي عملا اضافيا صغيرا يامس هويتني ، وأنا أسعد كثيرا باقتسام الارباح مع زملائي وكنت على الدوام موفقا في استخدام اشخاص مثلك ، ممن امضوا فترة في السجن ، ومعذرة لهذا التعبير ..

راحت تريسي تتفرس في وجهه وهي في عجب وحيرة متزايدين ، بينما استطرد يقول : انني في مركز فريد كما سترين ... فزبائني من الاثرياء المفرطي الثراء ... ومعاملاتي معهم تجعلهم اصدقاء لي ... وهم يثقون بي ويفضون الى بأسرارهم ... وأنا اعرف متى يقوم زبائني بالرحلات والاسفار ... وقليل من الناس من يسافرون ومعهم مجوهراتهم في هذه الاوقات الحرجة ، وهكذا تبقى مجوهراتهم تحت القفل في بيوتهم ... وانا اشير عليهم بتدابير الامن التي يجب اتخاذها لوقاية المجوهرات ... كما اعرف بالضبط ماهي المجوهرات التي يمتلكونها لانهم اشتروها مني ... انهم ..

ألفت تريسي نفسها واقفة على قدميها ، قائلا : اشكر لك ما اضعت من وقت يامستر مورجان ...

ـ مؤكد انك لن تنصرفي الآن ؟ ..

ـ اذا كنت ستقول لي ما اظن انك ستقوله ...

ـ نعم ، هذا ما انويه فعلا ...

شعرت بوجنتيها تلتهبان ، وقالت : انا لست مجرمة ! .. انني جئت الى هنا للبحث عن عمل ...

ـ وأنا أعرض عليك عملا يا عزيزتي ... انه سيأخذ من وقتك ساعة أو ساعتين ، ويمكنني أن أعدك بمبلغ خمسة وعشرين الف دولار ... خالية من الضرائب طبعا !

جاهدت تريسي بكل قوة للتحكم في غضبها ، وقالت : لا يهمني هذا ... هلا تركتني اخرج ؟ ..

ـ بالتأكيد ، اذا كانت هذه رغبتك ..

ونهض قائما واوصلها الى الباب ، ثم قال : لابد ان تفهمي يامس هويتني انه لو كان ثمة أدنى احتمال لخطر التعرض للضبط ،

اذ عرضت نفسي لهذا العمل ... فانا حريص على حماية سمعتي ..
فقالت تريسي ببرود : اعدك الا اقول شيئا عن هذا ...
فابتسم قائلا : في الحقيقة ، لا يوجد مايمكن أن تقوليه يا عزيزتي ... اعني من ذا الذي يصدقك ؟ . أنا كونراد مورجان ..
وعندما وصلا الى مدخل المحل قال مورجان : ارجو ان تخطريني اذا غيرت رايك ... وافضل وقت يمكن أن تتصلي بي فيه هو بعد الساعة السادسة مساء ... سأنتظر زيارتك ..
فقالت باقتضاب : لا تنتظر ! ..
وخرجت والليل يرخي سدوله ... وعندما وصلت الى غرفتها كانت ماتزال ترتجف ..
ثم طلبت من خادم الفندق الوحيد أن يجيئها من الخارج « بسندويتش » وقهوة ، اذ كانت لا تريد مواجهة اى انسان .. فان لقاها بمورجان جعلها تشعر انها ليست نقية طاهرة .. فقد لطخها بكل ماقاله عن الاجرام والمجرمين الذين كانوا يحيطون بها في سجن النساء بولاية لويزيانا .. لكنها ليست واحدة منهم ! ... انما هي تريسي هويتني ، خبيرة الكمبيوتر ، والمواطنة الصالحة المطيعة للقانون ... التى لايمكن أن يستاجرها احد فى عمل اجرامي ! ..
وظلت تريسي يقظى طول ليلها ، تفكر في مستقبلها ... كانت بلا عمل ، وما بقي لها من نقود قليل ... ثم انتهت آخر الامر الى قرارين : أن تنتقل الى فندق ارخص ، وان تبحث عن عمل .. اى عمل ...
وبعد ان استاجرت غرفة رخيصة في الدور الرابع بمنزل قديم في حي شعبى غير مبرأ السمعة ، قصدت الى وكالة للأشغال قرب الحي تديرها من تدعى مسز مورفى البدينة البادية الطيبة ، وبعد ان استمعت الى قصتها هزت راسها قائلة : انسي انك تبحثين عن عمل لاخصائية كمبيوتر ... فان الشركات هذه الايام عندها حساسية بسبب جرائم الكمبيوتر ، ولا تقبل استخدام شخص له سوابق ..
ـ لكنني في حاجة الى عمل ...
فكرت المراة قليلا ، ثم قالت لها : اسمعي ... انا اعرف ان هذا العمل هو دون مستواك ، لكن هناك وظيفة خالية « الجرسونة » في مطعم جاكسون هول في الحي الشرقي ...

ـ « جرسونة » ؟ ..
ـ نعم ... لن آخذ منك « عمولة » ، لكنني سمعت مصادفة عن هذا العمل ...
جلست تريسي تشاور نفسها ... انها قامت بهذا العمل فى الكلية وكان لونا من الطرافة ... لكنها الآن مسألة العيش ، للبقاء على قيد الحياة ! ...
هكذا قالت : ساجرب العمل ...
وكان مطعم جاكسون مكتظا بالرواد من مختلف رجال الاعمال ، وامضت تريسي يومها الاول فى عمل يقصم الظهر ، لـكنها نالت اجرا ... اما فى اليوم الثانى فبينما كانت تقوم على خدمة احـد الطاعمين اذ امتدت يده الى خصرها ، فما كان منها الا ان سكبت الحساء على رأسه ، وكان هذا نهاية عملها الجديد ...
ولما عادت الى مسز مورفي واخبرتها بما حدث قالت لها : عندى لك خبر سار ... ان فندق ولنجتون فى حاجة الى مسـاعدة للمشرفة ... وسارسلك الى هناك ...
كان فندقا صغيرا فى « بازك افنيو » تؤمه طبقة الاغنيـاء والمشاهير ... وبعد اجتماعها بالمشرفة اسند اليها العمل ، الذى لم يكن ثقيلا ، مع زملاء معقولين وساعات عمل محدودة ..
ولكن بعد اسبوع من عملها الجديد هذا استدعاها المدير وسألها عما اذا كانت قد أشرفت هذا اليوم على ترتيب جناح جنيفر مارلو ممثلة هوليوود المشهورة اثناء عملها اليومى .. ولما ردت بالايجاب اخبرها ان الممثلة الكبيرة شكت من ضياع خاتم ماسى ثمين تركته فى غرفة النوم ... وعندما اكدت تريسى وهى تضغط على أعصابها انها لم تعثر على شيء من هذا القبيل اذ ربما يكون الفاعل احدى الخادمات أو تكون الممثلة نفسها نسيت موضع الخاتم ، رد المدير قائلا : مع وجود سابقتك فى السجن ، لابد من استدعاء البوليس للتحقيق على أى حال ...
واقتيدت الى غرفة رجال الامن فى انتظار حضور الشرطة وقد شعرت كأنما تعاد الى السجن مرة أخرى ... لقد سـمعت عن سجناء سابقين تلاحقت مطاردتهم لا لشيء الا انهم كانوا من ذوى السوابق ، بيد انه لم يخطر ببالها قط ان شيئا من هذا يمكن ان يحدث لها ... لقد الصقوا بطاقة حمراء عليها ، وعليها ان تحتمل

هذا الوضع لكي تعيش ... او تلقى حتفها دونه ! .. هكذا جرت خواطرها بمرارة ..

وبعد نصف ساعة دخل عليها المدير مبتسما وقال لها : لا بأس . أن مس مارلو وجدت الخاتم .. قالت انها وضعته في مكان ونسيته مجرد غلطة في الحقيقة ! ..

فقالت تريسي : رائع ! ...

وخرجت تريسي من الفندق واتجهت مباشرة الى محل كونراد مورجان الجواهرجي ...

***

قال لها مورجان : المسألة في غاية البساطة .. ان واحدة من عملائي ، لويز بيلامي ، قد سافرت الى اوربا ، وبيتها كائن في ضاحية « سي كليف » في لونج ايلاند ... وخدمها يكونون في أجازة أيام العطلات ، وهكذا يخلو البيت تماما وقتها ... وهناك دورية خصوصية تتفقد المكان كل أربع ساعات ... وبوسعك ان تدخلي الى البيت وتخرجي منه في دقائق قليلة ...

دار هذا الكلام في مكتب كونراد ، وقد استطرد يقول : انني اعرف نظام الانذار ، وعندي سر « تركيبة » قفل الخزانة .. وكل ما عليك أن تفعليه ياعزيزتي هو أن تدخلي ، وتلتقطي المجوهرات ، ثم تخرجي ... وستحضرين المجوهرات الي ، فأخرجها من الحلي المركبة فيها ، واقتطع منها لتشكيل حجارة أصغر ، ثم أتولى بيعها ..

فلمفته تريسي في وجهه : اذا كانت العملية بهذه البساطة ، فلم لا تقوم بها بنفسك ؟..

فلمعت عيناه الزرقاوان ، ورد قائلا : انني سأكون خارج المدينة في بعض الاعمال ! .. ففي كل مرة تحدث فيها مثل هذه العمليات الصغيرة ، أكون دائما خارج المدينة في عمل لي !..

ــ مفهوم ...

ــ اذا كنت تتحرجين من أن يسيء هذا الى مسز بيلامي ، فلا لزوم لذلك ... انها في الواقع امرأة شنيعة ، وهي تمتلك بيوتا كثيرة في كافة أنحاء الدنيا مليئة بالنفائس ... وفضلا عن هذا فقد قامت بالتامين على مجوهراتها بضعف قيمتها ... وطبعا انا الذي توليت تقييمها وتثمينها ...

جلست تريسي تنظر الى كونراد مورجان ، ولم تتمالك أن ناجت نفسها : لابد انني جننت ، اذ اجلس هنا اتناقش بهدوء في سرقة مجوهرات مع هذا الرجل !... ثم قالت له : لا اريد ان اعود الى السجن يامستر مورجان ...

ـ لا خطر من هذا ... لم يحدث أبدا أن ضبط احد من اعواني في قيامهم بالعمليات التي أسندها اليهم ... لا بأس ... ما قولك ؟.

كان واضحا انها ستقول له لا . فان الفكرة كلها جنونية .. ولكنها قالت له : قلت انني سأنال خمسة وعشرين الف دولار ؟..

ـ نقدا عند التسليم ..

كانت ثروة تكفيها لاعالة نفسها الى أن يتهيأ لها تدبير حياتها ومستقبلها ... فكرت آنذاك في غرفتها الرخيصة التي تسمع من خلالها صراخ الجيران من السكارى والبغايا ، وفي شكوى زبونة محل الملبوسات من انها ترفض ان تأخذ حاجاتها من قاتلة ، وفي قول مدير الفندق الذي عملت به يوما واحدا : مع وجود سابقتك لابد لنا من استدعاء البوليس للتحقيق !..

بيد أن تريسي مازالت لا تستطيع ان تروض نفسها على الموافقة ..

ذلك وقد مضى مورجان يقول : انني اقترح أن تتم العملية السبت القادم ليلا .. ان خدم البيت يبرحونه أيام السبت ظهرا .. وساجهز لك رخصة قيادة وبطاقة شخصية باسم مستعار ... وستقومين باستئجار سيارة هنا في « منهاتان » وتتجهين بها الى « لونج ايلاند » فتصلين في الساعة الحادية عشرة مساء ... وبعد ان تأخذي المجوهرات تعودين الى نيويورك وتعيدين السيارة ... تعرفين القيادة طبعا ؟ ..

ـ نعم ...

ـ بديع .. هناك قطار يتجه الى سانت لويس في الساعة السابعة والخامسة والاربعين صباحا .. وساحجز فيه مقصورة لك ، ثم اقابلك في محطة ماندلويس ، فتعطينني المجوهرات ، واعطيك مبلغ الخمسة وعشرين الف دولار ...

كانت هذه هي اللحظة الفاصلة لكي تقول لا ، لكي تقوم وتخرج لكن تخرج الى أين ، كما ناجت نفسها ؟..

قالت له بتؤدة : سأحتاج الى « باروكة » شقراء ..

وعندما انصرفت تريسي جلس كونراد مورجان في الظلام في مكتبه يفكر في امرها .. هي امراة جميلة ... جميلة جدا حقا .. ومن العار ان يسند اليها هذا العمل ... وربما كان يجدر به ان يحذرها بقوله انه ليس في الواقع على تمام الدراية بجهاز الانذار ضد السرقة ذاك المعمول به في البيت الخلوي !..

الفصل السادس عشر

استعانت تريسي بالالف دولار التي اعطاها اليها كونراد مورجان سلفا لشراء « باروكتين » احداهما شقراء والثانية سوداء ، تتدلى منهما ضفائر غزيرة ... اشترت بذلة كحلية اللون وفوقها «اوفراول» أسود وحقيبة للادوات ... والى هنا كان كل شيء يسير على مايرام فقد تلقت من مورجان مظروفا به رخصة قيادة باسم الين برانش ، ورقم تخطيطي لنظام الامن في بيت لويزبيلامي ، وسر « تركيبة » قفل الخزانة في غرفة النوم ، وتذكرة سفر بالقطار الى محطة سانت لويس في مقصورة خاصة ...

وهكذا حزمت تريسي حقيبتها واستأجرت سيارة واتجهت الى لونج ايلاند ، في طريقها لارتكاب عملية سطو ... والواقع أن ما أخذت تفعله بدأ وكأنه من الاحلام ، حتى كانت مرتاعة .. ماذا لو ضبطوها ؟ . هل هذه المجازفة تستحق ما سوف تقوم به ؟..

كانت تحاول بمثل هذه الخواطر ان تثير السخط في نفسها والتمرد على ارتكاب الجريمة ... بيد انها لم تفلح ... وما أن وصلت الى ضاحية « سي كليف » حتى بلغت من الاضطراب العصبي اشده .. ومرتين انحرفت بالسيارة عن الطريق ، مؤملة أن يستوقفها البوليس للقيادة باستهتار ، لكن لم تبدلها سيارة بوليس واحدة في الطريق ، فهم هكذا لا يوجدون عندما يحتاج الانسان اليهم ، كما قالت لنفسها ..

ولاح لها البيت أخيرا ، مطلا على البحر ، عتيقا كقصر على الطراز الفكتوري ، باديا كقصر جني مسحور في كابوس ، مهجورا لاحس فيه ولا حركة .. مهما يكن فقد أوقفت السيارة في موضع خلف أشجار صفصاف ماردة ، حيث كانت محجوبة عن العيان ، وأوقفت

محركها ... لم يكن ثمة صوت يعكر السكون الشامل ، وكان البيت بمعزل عن الطريق العمومى ، ولم تكن ثمة حركة مرور فى هذا الوقت من الليل ...

لقد استعادت فى ذاكرتها ما قاله مورجان لها : البيت ياعزيزتى محجوب بين الاشجار ، واقرب جار له يبعد مدى عدة فدادين ، وهكذا لا تشغلى بالك بان يراك احد ... ثم ان دورية الامن تقوم بطوافها فى الساعة العاشرة مساء ثم فى الساعة الثانية صباحا ، وهكذا ستكونين بعيدا عند حلول دورية الثانية صباحا ...

نظرت تريسى الى ساعتها ... كانت الحادية عشرة ... فقد انتهى طواف دورية العاشرة . وامامها الآن ثلاث ساعات قبل موعد الدورية الثانية .. او مجرد ثوان معدودة لكى تدير السيارة وتعود ادراجها الى نيويورك وتنسى هذا العمل الجنونى !.. لكن تعود الى ماذا ؟ . الى الذين عيروها بسابقتها فى السجن وقطعوا عليها السبيل الى عمل شريف تقتات منه ؟..

ومضت تناجى نفسها : ما هذا الذى افعله ؟.. انا لست لصة !.. لست لصة حقيقية محترفة ، بل مجرد هاوية متخبطة توشك ان تصاب بانهيار عصبى ! لو كان لى نصف عقل لابتعدت من هنا ومازال فى الوقت متسع ، قبل أن يداهمنى رجال الشرطة ويطلقون على النار ويحملون جثتى المثخنة بالرصاص الى المشرحة !... بوسعى ان ارى عناوين الصحف بارزة : « قتل مجرمة خطرة اثناء محاولة للسطو على منزل شخصية كبيرة » ! ... من ذا الذى سيقوم على جنازتى ويبكينى ؟ .. ارنستين وايمى ؟ ...

افاقت تريسى ونظرت الى ساعتها .. رباه ! .. لقد لبثت ثلث ساعة فى هواجسى واحلام !.. ان كان لامناص من القيام بالعملية ، فلأتحرك للعمل ...

لكنها لم تقو على الحركة ... شعرت بأنها تجمدت من الخوف ثم قالت لنفسها : لا يمكن ان اجلس هنا الى الابد .. لماذا لا انزل والقى فقط نظرة على المنزل ؟.. نظرة سريعة !..

اخذت تريسى نفسا عميقا ونزلت من سيارة وركبتاها تصطكان اقتربت من البيت وانية الخطى ، وبدا لها حالك الظلام .. واخرجت من جيبها قفازا ولبسته ... رباه ! ... هانذا بدات العملية ، وماضية فى تنفيذها !..

وشعرت بقلبها يدق عنيفا عاليا حتى لم تعد تسمع صوتا غيره ..
استعادت تعليمات مورجان اليها : « ان جرس الانذار الى يسار الباب الامامي ... وهناك خمسة ازرار .. وسيكون الضوء الاحمر قائما ومعناه ان الانذار شغال ... والشفرة لابطاله هي « ٣-٢-٤-١ - ١ » ... وعندما ينطفىء الضوء الاحمر تعرفين ان نظام الانذار قد توقف ... واليك مفتاح الباب الامامي ... وعندما تدخلين تأكدي من اقفال الباب خلفك ... استخدمي هذه البطارية ... لا تضيء شيئا من انوار البيت احتمالا لمرور أحد بسيارته قرب البيت ... وستجدين غرفة النوم الكبرى فوق ، الى يسارك ، مطلة على الخليج .. وستجدين الخزانة خلف صورة زيتية للويز بيلامي انها خزانة بسيطة جدا . وكل ماعليك أن تفعليه هو العمل «بتركيبة» القفل كما بينتها لك » ..

وقفت تريسي جامدة ، راجفة ، متحفزة للهروب لدى ادنى صوت سكون شامل مطبق ... فمدت يدها وضغطت على ازرار الانذار بالتعاقب ، داعية الا تعمل ... فانطفأ الضوء الاحمر . لابد ان الخطوة التالية ستفضحها ... تذكرت في هذه الآونة ان قائدي الطائرات يعرفون عبارة يطلقون عليها : « نقطة اللاعودة » !.

وضعت تريسي المفتاح في القفل ، فانفتح الباب ... انتظرت دقيقة كاملة قبل ان تدلف الى الداخل ... شعرت بأن كل عصب في جسدها ينبض بعنف شديد وهي واقفة في الردهة ، ترهف السمع ، خائفة ان تتحرك ... كان البيت مليئا بالسكون الموحش ثم اخرجت البطارية وانارتها ، فرأت السلالم .. تقدمت واخذت تصعد . كان كل ما تريده الآن هو أن تنجز العملية بأسرع ماتستطيع ، ثم تلوذ بالهروب ..

بدت الردهة العليا مفزعة في وهج البطارية .. وجعلت تمعن النظر في كل غرفة وهي تتقدم ... كانت جميعا خاوية ..

كانت غرفة النوم الكبرى في نهاية الردهة ، مطلة على الخليج ، تماما كما وصفها مورجان لها ... كانت جميلة انيقة مزخرفة بورود منقوشة .. فتقدمت الى موضع الصورة التي ارشدها اليها مورجان ... بدت لها لويز بيلامي كالحة الوجه متغطرسة ، مصداقا لقول مورجان انها امراة شنيعة ... والآن الى القفل ، والى التركيبة السرية كما لقنها مورجان ..

كانت الخزانة مليئة بمظاريف سميكة وأوراق شتى ، بيد أن تريسي تجاهلتها ... كان في جانبها الخلفي رف صغير ، يعلوه كيس مجوهرات من جلد « الشاموا » ... وفي هذه اللحظة فقط انطلق جرس الانذار ضد السطو ، وانبعث منه رنين كان أعلى ماسمعته تريسي في حياتها ... بدا وكأنه يتموج في كل ركن من أركـــان البيت ، زاعقا بالنذير والتحذير ..

وقفت مكانها ، مشلولة ، مروعة ...

ماهو وجه الخطأ ؟ ... ألم يكن مورجان يعرف بوجود نظـــام انذار داخل الخزانة يعمل حين ترفع المجوهرات من مكانها ؟! ..

كان عليها أن تبادر بالخروج حالا ... فدست كيس الشـــاموا في جيبها وانشأت تجري نحو السلالم ... وعندئذ ، ومن فـــوق رنين جرس الانذار ، انبعث دوي « سارينة » تقترب ...

وقفت تريسي لدى السلالم مروعة فزعة وقلبها يدق عنيفـــا وحلقها قد تيبس ، ثم أسرعت الى النافذة ورفعت الستار وتطلعت الى الخارج ... رأت سيارة دورية سوداء وبيضاء قد وقفت أمام البيت ، ولمحت شرطيا في زيه الرسمي يجري نحو الباب الخلفي ، وآخر يتقدم الى الباب الأمامي ..

لا مفر الآن .. وما فتئت اجراس الانذار تتجاوب أصـــداؤها حتى بدت في سمعها كأجراس سجن النساء في لويزيانا ! ..

قالت لنفسها : كلا ... لن أدعهم يردونني الى هناك ! ..

وفجأة رن صوت جرس الباب الأمامي ...

***

كان الضابط ديركن يعرف لويزبيلامي ويعرف قدر مجمـــوعة المجوهرات الثمينة واللوحات الفنية النفيسة التي تمتلكها .. وفي غيابها كان يحرص على تفقد البيت من وقت لآخر ، ايمانا منـــه بأنه هدف يغري بالسطو ... والآن بدا له أنه يوشك أن يقتنص السارق ولقد كان على بعد مسافة قصيرة من البيت عندما تلقى بالراديو الانذار الذي بعثت به شركة التأمين ... فأيقن أن هذه فرصة طيبة لترقية قريبة ...

وضغط الضابط ديركن على زر الباب الأمامي مرة أخرى ، حتى يتهيأ له أن يذكر في تقريره أنه ضغط على زر الجرس ثلاث مرات

قبل اقتحام الباب وقد تولى زميله تغطية الباب الخلفي ، وهكذا لن تتاح الفرصة أمام اللص للافلات ...

وعندما هم الضابط ديركن بالضغط على الجرس للمرة الثالثة ، اذ فتح الباب الامامي فجأة ... فوقف مكانه محملقا .. راى في المدخل امراة في ثوب نوم شفاف أسفر عن تكوينها البديع .. وكان وجهها مغطى بالمعاجين المطرية ، وشعرها مضموما تحت قلنسوة .. وقد قالت له : ما الذى يجرى هنا وحق السماء ؟..

ابتلع الضابط ديركن ريقه ، ثم اجاب : انا .. من أنت ؟..

ـ أنا الين برانش ... انا ضيفة عند لويز بيلامى .. وهى مسافرة فى أوربا ..

فقال الضابط مرتبكا : اعرف هذا ... انها لم تذكر لنا أن عندها ضيفة مقيمة ...

فهزت المرأة الواقفة بالباب رأسها هزة العارف الخبير ، قائلة : اليس هذا من طبع لويز ؟ .. معذرة .. لا استطيع احتمال هذه الضوضاء ..

وفيما هو يراقب ، راى ضيفة لويز بيلامى تمد يدها الى أزرار جرس الانذار وتضغط عليها بالتعاقب ، فانقطع الرنين .. وتنهدت قائلة : هذا افضل .. لا استطيع ان اقول لكم كم انا مسرورة برؤياكم ..

وضحكت ضحكة مهتزة واردفت : كنت استعد للنوم عندما انطلق جرس الانذار ، فتأكدت من وجود لصوص فى البيت وأنا هنا بمفردى .. ان الخدم انصرفوا عند الظهر ..

ـ هل من مانع اذا قمنا بالتفتيش ؟..

ـ لو سمحتم .. اننى أصر على هذا ..

ولم تستغرق عملية التفتيش سوى دقائق قليلة للتأكد من عدم اختباء احد فى البيت ... وقال الضابط : كله تمام .. هو انذار كاذب .. لابد ان شيئا جعله ينطلق تلقائيا ... لا يمكن الاعتماد دائما على هذه الاجهزة الالكترونية .. ياليتك تتصلين بشركة الامن وتطلبين منها فحص الجهاز ...

ـ سافعل هذا بكل تأكيد ..

ـ حسنا ... اظن انه يمكننا الآن أن نعود ادراجنا ...

ـ اشكركم كل الشكر للحضور بسرعة ... انني اشعر الآن بالامان ...

بدا الضابط ديركي مفتونا بقوامها ، حتى تساءل في نفسه ماذا يكون حالها لو ازالت عن وجهها المعاجين المطرية وقلنسوه الشعر ؟. ثم قال لها : هل ستقيمين هنا طويلا يامس برانش ؟..

ـ حوالي أسبوع او اسبوعين ، الى ان ترجع لويز ...

ـ اذا كان عندك ما يمكن ان اقوم به لك ، فما عليك الا ان تطلبي ...

ـ شكرا لك ... سافعل ..

وقفت تريسي تراقب سيارة البوليس وهي تبتعد في جوف الليل ... تنفست الصعداء وهي اقرب الى الاغماء .. وعندما غابت السيارة عن نظرها صعدت السلالم مسرعة وازالت معاجين التطرية التي وجدتها في الحمام ، ونزعت رداء نوم لويز وقلنسوتها واستعادت ملابسها الخارجية ، ثم خرجت من الباب الامامي بعد أن أعادت نظام الانذار الى وضعه الاول باتم حذر ...

وما ان بلغت بالسيارة منتصف المسافة الى مانهاتن وهي في طريق العودة حتى صدمتها جسارة هذا الذي فعلته .. فضحكت ، واستحالت ضحكتها الى رجة عنيفة لم تستطع مغالبتها حتى اضطرت الى التوقف بالسيارة على جانب الطريق ... وظلت تضحك حتى انهمرت الدموع على وجهها ... وكانت أول مرة ضحكت فيها منذ عام ...

الفصل السابع عشر

لم تبدأ تريسي في الاسترخاء الا بعد ان تحرك القطار من محطة بنسلفانيا ... بعد كل ثانية كانت تتوقع ان تهبط يد ثقيلة على كتفها وصوت يقول : انت مقبوض عليك ! ..

لقد راقبت بعناية الركاب الآخرين وهم يستقلون القطار ، ولم يكن في طوالعهم ماينذر باي خطر ... ان كونراد مورجان سيكون بانتظارها في سانت لويس ومعه خمسة وعشرون الف دولار ... مبلغ جسيم تستطيع أن تفعل به مايحلو لها .. تسافر الى اوربا .. الى باريس ! .. الى لندن ، حيث لا تكون طريدة السجون ! ..

ولم تلبث أن أوصدت باب المقصورة واخرجت كيس الشامبوا وفتحته ... قوس قزح من الالوان المتلألئة انسكب بين يديها ... ثلاثة خواتم ماسية كبيرة ، ومشبك من الزمرد ، وسوار من الياقوت الازرق ، وثلاثة اقراط ، وعقدان ، أحدهما من العقيق والثاني من اللآلىء ... ثروة قدرت تريسي انها تناهز المليون دولار ..

وفيما هي مستسلمة لاحلامها الوردية اذ طرق باب مقصورتها ، فردت المجوهرات بسرعة الى الكيس ووضعته في حقيبة ملابسها .. ثم اخرجت تذكرة السفر وفتحت باب المقصورة للمحصل ...

وقع نظرها على رجلين في ملابس رمادية واقفين في الممشى ... بدا أحدهما في أوائل الثلاثين من عمره ، والثاني يكبره بنحو عشر سنوات .. كان الرجل الاصغر جذابا ، له قوام رياضي ، وذقن قوية ، وشارب قصير منمق ، وعينان زرقاوان نابهتان خلف نظارته العريضة ... اما الثاني فكان كثيف الشعر فاحمه ، متين البنية ، بارد النظرات ...

قالت لهما تريسي : هل من خدمة ؟..

فاخرج الرجل الاكبر من حافظته بطاقة بها هذا التعريف : « مكتب المباحث الفيدرالية — وزارة العدل الامريكية » ، وقال لها : انا المندوب الخاص دنيس تريفور ... وزميلي هو توماس باورز ...

فجأة .شعرت تريسي بجفاف في فمها ... لكنها اغتصبت ابتسامة ، وقالت : انا ... انا لا افهم .. هل هناك خطأ ..

فرد المندوب الاصغر قائلا : نعم ياسيدتي .. منذ بضع دقائق دخل هذا القطار حدود ولاية نيوجرسي ... ان نقل بضائع مسروقة عبر حدود الولاية هو جريمة فيدرالية ...

شعرت تريسي فجأة بغشاوة حمراء أمام عينيها طمست المرئيات وسمعت دنيس تريفور يقول بلهجة الامر : هلا فتحت حقيبتك ؟ ...

كان املها الوحيد أن تحاول « التهويش » ، فقالت : هل ... معكم امر رسمي بالتفتيش ؟ ..

فتولى الرجل الاشقر الرد قائلا : لسنا بحاجة الى مثل هذا

الامر يامس هويتني ... اننا نقبض عليك متلبسة بارتكاب جريمة ...

هاهم يعرفون اسمها ايضا !... لقد وقعت في القفص ... ولا مخرج لها الآن ... بتاتا !..

واثناء ذلك فتح تريفور الحقيبة ... ايقنت الا فائدة من منعه .. وراقبته وهو يستخرج كيس المجوهرات ، ولما فتحه نظر الى زميله وهز راسه .. فتهالكت تريسي في المقعد عاجزة عن الوقوف ..

ولم يلبث تريفور أن اخرج كشفا من جيبه واخذ يراجع محتويات الكيس على الكشف ، ثم وضع الكيس في جيبه قائلا لزميله : المجموعة كلها هنا ياتوم ...

قالت تريسي وهي في اشد تعاسة : كيف .. كيف توصلتم الى هذا ؟ ..

فاجاب تريفور : غير مسموح لنا باعطاء معلومات .. انت الآن مقبوض عليك ... من حقك أن تلتزمي السكوت ، وأن تستعيني بمحام قبل ان تقولي أي كلام ... مفهوم ؟..

وقال توم باورز : انا آسف لهذا .. اعني انني اعرف ماضيك ، ولهذا اكرر اسفي ...

فقال زميله : يا الهي ! لسنا هنا في زيارة خاصة !

وابرز قيدا حديديا اراد ان يقيد به يدي تريسي وهي منعقدة اللسان مشدوهة ، لولا ان زميله همس في اذنه كلمات بدا انها توسط للدفاع عنها ، فهز الرجل الاكبر راسه غاضبا ولكنه قال : لا بأس ... لن نقيدك الآن ... سنأخذك الى المحطة التالية ... وسنرسل بالراديو اشارة الى مكتب التحقيقات الفيدرالي لطلب سيارة ... وعليك الا تبرحي هذه المقصورة .. واضح ؟..

اومات تريسي براسها عاجزة عن الكلام .. ونظر اليها الرجل الاصغر توم باورز وهز كتفيه في عطف وكانه يقول : ليتني كنت استطيع أن افعل شيئا اكثر ..

ووقف الرجلان في الممشى يكلمان المحصل وهما يشيران اليها كلاما لم تستطع ان تتبينه ، فهز المحصل راسه ، ثم اغلق الباب عليها ، فكان عندها مثل اغلاق باب زنزانة السجن ...

لقد جلست تريسي مكانها مشلولة من الخوف وهي تشعر في الدنيا بدوي اعلى من دوي القطار ... انها لن تجد فرصة هذه

المرة ، فهي من ارباب السوابق ، ولسوف يحاكمونها ويحكمون عليها بالعقوبة القصوى ، ولن تجد هذه المرة ادانة مدير سجن لانقاذها ، ولن يبقى امامها سوى سنوات السجن بلا نهاية ...

وشعرت اخيرا بالقطار يبطىء ثم يتوقف في احدى المحطات .. لقد حان وقت الذهاب ... فقامت تريسي واغلقت حقيبتها وارتدت معطفها وجلست تنتظر فتح باب المقصورة ...

توالى مرور الدقائق .. ولم يظهر الرجلان ... ترى ماذا يفعلان ؟.

واخيرا سمعت صوت المحصل ينادى : الكل يركبون !..

فزعت تريسي .. ربما قصد الرجلان ان يقولا انهما سينتظرانها على رصيف المحطة ... ولو بقيت في مكانها فقد تتهم بمحاولة الهرب منهما ، وفي هذا مايزيد موقفها سوءا ... هكذا اختطفت حقيبتها وفتحت باب المقصورة وهرعت الى الممشى ..

رات المحصل يقترب ، وسألها : هل تنزلين هنا ؟..

يحسن أن تسرعي ... دعيني أساعدك .. ان امرأة في حالتك يجب الا تحمل شيئا ثقيلا ...

فحدقت فيه مرددة : في حالتي ؟!.

ـ لا داعي للارتباك ... ان شقيقيك اخبراني انك حامل وان الاحظ حالتك ...

ـ ... شقيقاي ؟! ..

ـ هما شخصان لطيفان ... والظاهر انهما مشغولان عليك كثيرا ..

شعرت تريسي بالدنيا تدور من حولهما ، وكل شيء ينقلب راسا على عقب .. بينما حمل المحصل الحقيبة حتى باب المركبة وساعدها على نزول درجات السلم ... ثم بدأ القطار يتحرك .. فنادت تريسي : هل تعرف اين ذهب شقيقاي ؟..

ـ لا ياسيدتي ... انهما قفزا في سيارة أجرة عندما توقف القطار ...

مع مجوهرات مسروقة قيمتها مليون دولار !!!

***

اتجهت تريسي الى المطار ... كان هو المكان الوحيد الذى امكنها ان تفكر فيه ... مادام الرجلان قد ركبا سيارة أجرة ، فمعنى هذا

انهما بدون وسيلة انتقال خاصة بهما ، وانهما مهتمان بالتأكيد لمغادرة البلدة بأسرع مايمكن ...

لقد جلست في سيارة الاجرة التي استقلتها وقد امتلأ صدرها غضبا مما فعلاه بها ، وخزيا من استغفالهما بمثل هذه السهولة ، حتى لم تتمالك أن احمر وجهها اذ ابتلعت الطعم ازاء هذه اللعبة البوليسية المعروفة ...

مندوبا المباحث الفيدرالية ؟! اغلب الظن انهما هاربان من القانون ... فليكن اذن .. لابد أن تسترد هذه المجوهرات ... لقد جازفت بما جازفت في سبيلها ، ولن تسمح لهذين المحتالين بالانتصار عليها ... وهكذا استحثت سائق السيارة للوصول الى المطار بسرعة ...

وفي المطار ، وعند بوابة الدخول الى الطائرة ، اهتدت اليهما واقفين بين المسافرين في الصف ... عرفتهما رغم ان الاصغر المدعو توم باورز بدا الآن بلا نظارة ولا شارب وتغير لون عينيه من الازرق الى الرمادي ، والمدعو دنيس تريفور الاكبر الذي كان كثيف الشعر أسوده بدا هو الآخر اصلع تماما ... أما ملابسهما فلم تتغير لضيق الوقت ...

ادركتهما عند بوابة الدخول ، فقالت لهما : نسيتما شيئا ..

نظرا اليها مجفلين ، وقطب الاصغر قائلا : ماذا تفعلين هنا ؟.. ان سيارة المباحث كان المفروض أن تكون في المحطة لاخذك !..

فقالت تريسي : اذن لماذا لا نرجع للبحث عنها ؟..

فرد تريفور قائلا : لا يمكن ... امامنا قضية اخرى ...

فقالت تريسي : هاتوا المجوهرات ! ..

فقال توم باورز : لا يمكن أن تفعل هذا ... هي الدليل ضدك ، ولا يمكن ان نفرط فيها ...

وأشرفا على بوابة الدخول ، وقدم تريفور تذكرته الى المشرف .. فتطلعت تريسي حولها باستماتة ، ووقع نظرها على احد شرطة المطار واقفا عن كثب ، فنادت : حضرة الضابط ! ... حضرة الضابط ! ...

نظر الرجلان احدهما الى الآخر مفزوعين ، وقال لها تريفور بصوت خافت كالفحيح : ماذا تفعلين بحق جهنم ! .. هل تريدين ان يقبض علينا جميعا ؟

واقترب الشرطي وقال لها : نعم يا آنسة ... هل من مشكلة ؟.
فقالت تريسي بلهجة المرح : لا مشكلة ولا شيء .. ان هذين السيدين عثرا على بعض مجوهرات فقدتها ، وسيعيدانها الى ... وقد أشارا على أن تتكرم بحراستي الى سيارة أجرة ...
ــ بالتأكيد ... يسعدني هذا ...
فانثنت تريسي الى الرجلين قائلة : أصبحت الآن في أمان لكي تردا الى المجوهرات ... سيحرسني الآن هذا الضابط النشيط ..
ولما حاولا الاعتراض عاجلتهما قائلة : انا متمسكة برأيي .. وانا أعرف أنه يهمكما جدا أن تلحقا بهذه الطائرة !..
نظر الرجلان الى الشرطي ، ثم تبادلا النظر يائسين مغلوبين على أمرهما .. لم يكن أمامهما مايمكن عمله .. فأخرج توم باورز كيس الشاموا من جيبه مكرها ... فقالت تريسي : هو المطلوب ...
واخذت الكيس من يده وفتحته ونظرت في داخله ، ثم قالت : الحمد لله ! .. كلها هنا !..
وفتحت حقيبة يدها ودست كيس المجوهرات فيها ، ثم اخرجت ورقتي بنكنوت من فئة الخمسة دولارات واعطيت ورقة لكل منهما قائلة : هذا مجرد رمز بسيط تقديرا مني لما فعلتماه من أجلي !..
كان باقي المسافرين قد دخلوا ، وقال المشرف : هذه هي المناداة الاخيرة ... على جميع السادة الركاب ان يصعدوا الى أماكنهم ..
وقالت تريسي للشرطي متهللة الوجه وهي تسير معه :
ــ اشكرك من كل قلبي ... من النادر أن يعثر الانسان على شخص شريف في هذه الايام ! ..

الفصل الثامن عشر

عندما جلس توم باورز ــ المولود باسم جيف ستيفنز ــ في مقعده بالطائرة ينظر من النافذة عند اقلاعها ، لم يلبث أن رفع منديله الى عينيه واخذ كتفاه يعلوان ويهبطان ... فلم يتمالك زميله الاكبر سنا والجالس بجانبه أن نظر اليه في دهشة ، قائلا : ماهذا ؟ .. هي مسألة فلوس لا اكثر ... انها لا تستحق أن تبكي لضياعها !..
فالتفت اليه جيف ستيفنز والدموع تنهال على وجهه ، وكم كانت

دهشته عندما تبين أن جيف كان متشنجا من فرط الضحك ... وقال له :

ـ ماذا جرى لك بحق الشيطان ؟ ... ليس في المسألة مايضحك أبضا !..

لكنها في نظر جيف كانت تبعث على الضحك ـ فان الاسلوب الذي غلبتهما به تريسي في المطار كان احذق خدعة شهدها في حياته لقد ابلغه كونراد مورجان هو وزميله ان المـــرأة مجـرد هاوية ، حتى لم يتمالك جيف أن قال لنفسه : يا الهي ! .. ترى ماذا يكون من أمرها لو كانت محترفة ؟!. ولقد كانت تريسي هويتني بغـير شك أجمل امرأة رأى جيف مثلها ... وكانت ذكية بارعة أيضا ، وكان جيف يفاخر بأنه أبرع محتال في هذا المضمار ، ومـع ذلك فقد بذته وتفوقت عليه !...

كانت حياة جيف سلسلة من المغامرات جلبتها عليه وسـامته ووفرة شبابه وصلابة عوده ... كان أبوه متزوجا من امرأة غنية لم يلبث أن بدد ثروتها ... ولما توفيت وهو بعد في الثانية عشرة من عمره ، تزوج أبوه فتاة في العشرين من عمرها لم تتورع أن تراود جيف عن نفسه في غيبة أبيه وزوجها ، ولكنه هرب منها ومن البيت كله ، والتجأ الى عمه ويلى صاحب السيرك المتنقل ... وفي السـيرك تعلم كثيرا من فنون الشعوذة وخفة اليد ، ثم استقل بنفسه واخذ يمارس طائفة من اعمال النصب والاحتيال الصغيرة .. ولما كان يحب حياة البحر فقد استقر به المطـــاف بحـارا في يخـت مليونيرة شابة مزواجة لم تلبث أن افتتنت به وتزوجته حيث عاش حينا يتقلب في الاوساط الاجتماعية الراقية التي بدت له مـن الداخل فسادا وافسادا وتبذلا وانحلالا ، الى حد أن زوجتـه لم تتورع عن خيانته ، حتى لم يجد مفرا من طلاقها بعد أن انتقم منها ومن بطانتها بخدعة فاز منها بربع مليون دولار ... وفي مدينـة رينو حيث تمت اجراءات الطلاق التقى بالجواهرجي كونراد مورجان الذي كان يعرف عمه ويلى صاحب السيرك السابق بعد أن أدى له عملا ... وفي هذا اللقاء قال له مورجان :

ـ ما رأيك ياجيف في أن تؤدي الى خدمة صغيرة ؟ ... هنــاك فتاة شابة مسافرة في قطار من نيويورك الى سانت لويس ومعهـا بعض المجوهرات ...

تلك كانت البداية ... بداية مغامرة جيف مع تريسى التى انتهت على هذه الصورة الغريبة المحزنة والمضحكة معا ، حتى لم يتمالك جيف وهو فى الطائرة مع زميله أن راح يفكر طويلا فى أمر تريسى والابتسام لا يفارق شفتيه ...

***

وأما تريسى فما ان عادت الى نيويورك حتى ولت وجهها شطر محل كونراد مورجان الجواهرجى .. فادخلها مورجان الى مكتبه واغلق الباب عليهما ... وقد فرك يديه قائلا : اننى كنت فى قلق شديد عليك ياعزيزتى .. لقد انتظرتك فى سانت لويس و ..

ـ انت لم تذهب الى سانت لويس ...

فقال وقد لمعت عيناه الزرقاوان : ماذا ؟ ماذا تقصدين ؟

ـ أقصد انك لم تذهب الى سانت لويس ... ولم يكن فى نيتك ابدا أن تقابلنى ...

ـ لكننى ذهبت فعلا ! ... ان المجوهرات معك ، وانا ..

ـ انك ارسلت رجلين لاخذها منى ..

بدت علائم الحيرة على وجه مورجان وقال : لست افهم !..

ـ فى أول الامر حسبت أن هناك خيانة من احد عندك ، لكن تأكدت ان الخيانة من جانبك أنت ... لقد اخبرتنى انك رتبت شخصيا لحجز تذكرة لى بالقطار ، وهكذا كنت انت الوحيد الذى كان يعرف رقم مقصورتى ... اننى استخدمت اسما مختلفا وتنكرت ولكن رجالك عرفوا بالضبط أين يجدوننى ...

ارتسمت الدهشة على وجهه المليء وهو يقول لها : هل تحاولين ان تقولى لى أن بعض الرجال سلبوا منك المجوهرات ؟..

فابتسمت تريسى وقالت : انما احاول ان أقول انهم لم يفعلوا .

فى هذه المرة كانت دهشة حقيقية على وجه مورجان وهو يقول: الجواهر معك ؟! .

ـ نعم ... ان اصحابك كانوا فى عجلة شديدة للحاق بالطائرة الى حد أنهم تركوها خلفهما !..

جعل مورجان يتفرس فى وجه تريسى مليا ، ثم قال لها : عن اذنك ...

ودخل من باب خاص ، بينما جلست تريسى فوق الاريكة وهى فى تمام الاسترخاء ...

غاب كونراد مورجان نحو ربع ساعة ، وعندما عاد كانت تبدو على وجهه أمارات الجزع ، وقال لها : آسف لوقوع غلطة .. غلطة كبيرة .. انت شابة بارعة جدا يامس هويتني .. لقد استحققت الخمسة وعشرين الف دولار ...

وأردف وهو يبتسم اعجابا : هاتي المجوهرات و ...

ــ بل خمسون الفا ...

ــ معذرة !؟ ..

ــ كان لابد أن اسرق المجوهرات مرتين ... والمبلغ المستحق هو خمسون الف دولار يامستر مورجان ...

فقال وقد فقدت عيناه بريقهما : لا ... آسف اذ لا يمكنني أن اعطيك مثل هذا المبلغ عن المجوهرات ...

فنهضت تريسي قائمة وهي تقول : لا بأس الآن ... ساحاول أن اجد في لاس فيجاس من يرى أنها تساوى هذا المبلغ ...

واتجهت الى الباب ... فقال كونراد مورجان : خمسون الف دولار !؟ ..

فأومأت تريسي برأسها ايجابا ، فقال : وأين المجوهرات ؟ ..

ــ في خزانة ودائع في محطة بنسلفانيا ... وحالما تعطيني المبلغ هذا ونقدا ، وتركبني سيارة اجرة ، سأعطيك مفتاح الخزانة ..

تنهد كونراد مورجان مهزوما ، وقال : اتفقنا ...

فقالت تريسي منشرحة : شكرا لك ... كان من دواعي السرور ان اقوم بعمل معك ...

الفصل التاسع عشر

عقد مؤتمر هام في مكتب ج . رينولدز رئيس اتحاد شركات التأمين حضره دانييل كوبر كبير المحققين للتداول في حادث السطو على مجوهرات لويز بيلامي الذي تم في الاسبوع السابق ... وفي معرض المناقشات قال رينولدز : قرأتم جميعا التقارير المتعلقة بالحادث ... والجديد في الموضوع أن السيدة المذكورة تبين انها بنت عم مدير البوليس ، ومن هنا رأيتاه يقيم الدنيا ويقعدها ؟ ..

فقال احد المحققين : وما هي الاجراءات التي اتخذها البوليس ؟

ــ البوليس يتحاشى مواجهة الصحافة ... ولا لوم عليهم في هذا

فان رجالهم في منطقة الحادث تكلموا فعلا مع السارقة التي ضبطوها في المنزل وتركوها تهرب آمنة مطمئنة !..

فقال محقق آخر : انهم اعطوا أوصافا عجيبة لها .. لقد انصرف اهتمامهم الى النظر الى قوامها وهي في جلباب النوم الشفاف الى حد أسال لعابهم واذاب امخاخهم ! .. لم يذكروا اكثر من انها كانت تضع معاجين التطرية على وجهها وتكسو قلنسوة شعرها ، وانها في منتصف العشرينات من عمرها ... وهكذا ليس ثمة اى دليل يرشد الى شخصيتها ، ولا حتى معلومات عامة ...

وهنا تدخل دانييل كوبر لاول مرة ، قائلا :

ـ بل عندي الدليل والمعلومات ... وانا اعرف من هي ...

***

كان دانييل كوبر في اليوم السابق قد قام وحده برحلة خاطفة الى قصر لويز بيلامي وعاين موقعه المنعزل واستخلص من الملابسات ان الفاعل لابد أن يكون قد ذهب الى المكان في سيارة مستأجرة .. وبالتحري لدى وكالات تأجير السيارات امكنه الاستدلال على سيارة من نوع « شيفي كابريس » استؤجرت في الساعة الثامنة مساء يوم الحادث ، وأن المسافة التي سجلها العداد بعد اعادة السيارة في الساعة الثانية صباحا هي اربعة وستون ميلا ذهابا وايابا ، وأن المستاجر كان امرأة باسم الين برانتش ...

وفي هذا الاجتماع فاجأ دانييل كوبر الجميع بقوله :

ـ ... ان اسمها الحقيقي هو تريسي هويتني ...

حملق اليه الجميع ، وقال احدهم : كيف عرفت هذا بحق الشيطان ؟ ...

ـ انها ذكرت اسما وعنوانا زائفين ... لكنني اخذت عقد الايجار الذي وقعت عليه بخطها وعرضته على قسم البصمات في البوليس ، فوجدتها مطابقة لبصمات تريسي هويتني التي امضت فترة في سجن النساء في ولاية لويزيانا ، وتذكرون انني تحدثت معها منذ نحو سنة بصدد حادث لوحة رينوار المسروقة ...

فقال رينولدز : اتذكر ... لكنك قلت آنذاك انها بريئة ..

ـ كانت بريئة وقتها ... أما الآن فلم تعد بريئة .. انها سارقة مجوهرات لويز بيلامي ..

فقال رينولدز مكرها رغم نفوره من كوبر : هذا جهد مشكور يا كوبر .. الآن يمكننا ابلاغ البوليس لاعتقالها و ...

فقال كوبر بهدوئه المثير : وبأي تهمة ؟ ... استئجار سيارة ؟ لا يستطيع البوليس التعرف عليها ، ولا دليل ثمة ضدها ...

وقال محقق آخر : وماذا تظننا نفعل ؟ ... هل نتركها حرة طليقة تسرح وتمرح ؟.

فرد كوبر قائلا : نعم هذه المرة ... لكنني اعرف الان من هي ولسوف تكرر العملية ـ وعندما تفعل ، ساكون بالمرصاد لاقتناصها .

الفصل العشرون

قالت تريسى لنفسها بعزم : حان الوقت لكي أبدأ حياة جديدة . لكن اي نوع من الحياة ؟ .. انني تحولت من فتاة بريئة ساذجة الى ـ ماذا ؟ .. الى لصة ... هذا هو الوصف ...

وذهبت تفكر في جو رومانو وانطونى أورساتي وبيرى بوب والقاضي لورانس .. كلا .. بل تحولت الى منتقمة .. هذا هو الوصف الحقيقى .. وربما مغامرة .

لقد تفوقت على البوليس ، وعلى اثنين من المحتالين المحترفين ، وعلى جواهرجي نصاب عديم الشرف .. ولما فكرت في ارنستين وايمى تملكها الشجن ... واذا هي تقصد من فورها الى محل كبير لبيع الالعاب وتشترى مسرحا مصغرا للعرائس وتبعث به الى ايمى ابنة مدير السجن مع بطاقة بهذه الكلمات : « هؤلاء اصدقاء جدد لك ... أوحشتني .. محبتى لك .. تريسى » ..

وفي محل لبيع الفراء ارسلت الى ارنستين علبة بها لفاع للعنق من الفرو مع حوالة بمبلغ مائتى دولار ، وبطاقة بهذه الكلمات الموجزة : « شكرا يا أرنى ـ تريسى » ...

وبعد هذا ناجت نفسها : لقد سددت الآن كل ديونى ..

كان هذا احساسا طيبا .. وهى الآن حرة تذهب الى حيث تشاء ، وتفعل مايحلو لها ...

وقد احتفت باستقلالها ذاك بالنزول في فندق هلمسلى الفاخر ، ومن الطابق السابع والاربعين كانت تطل على جسر جورج واشنطن على مبعدة ، وعلى الجانب الاخر كان موقع المسكن الحقير الذى اقامت فيه مؤخرا ، « لا أعاده الله » كما قالت لنفسها !..

ولم تلبث أن فتحت زجاجة الشمبانيا التى بعثت بهـــا ادارة الفندق وجلست تحتسيها راضـيةوهى تراقب مغيب الشمس فوق رءوس ناطحات السحاب فى مانهاتن ... وما ان بزغ القمر حتى حزمت تريسي أمرها ... لسوف تذهب الى لندن .. انهـا الآن مستعدة لتذوق المباهج والمناعم التى سوف تزجيها الحياة اليها ... واختتمت قائلة لنفسها : لقد سددت ديونى .. وأنا أستحق بعض السعادة ...

وفى وقت مبكر من صباح اليوم التالى قصدت تريسي الى احدى وكالات السياحة وطلبت حجز جناح لها على الباخرة كوين اليزابيث الثانية ... وكانت من فرحتها أقرب الى الاطفال بصـــدد أول رحلة لها خارج أمريكا ، حتى أمضت ثلاثة ايام وهى تبتاع الملابس واللوازم الشخصية .. وكان الجناح الذى دلفت اليه بعد اتمام احراءات الصعود الى الباخرة من النوع المكلف ، ولكن تريسى قررت ان تستمتع بحياتها ...

ووقفت تريسي على سطح السفينة تراقب اقلاعها من الميناء وقد تملكها انفعال مفاجىء ... فهى مرتحلة الى مستقبل مجهول حقا ولكى تنفض منها الهواجس راحت تختلط بالركـــاب وتتفقـــد انحاء الباخرة الضخمة التى كانت اشبه بمدينة عائمة ، بها اربعة مطاعم ، وستة بارات ، وقاعتان للرقص ، وملهيان ليليان ، واربعة احواض للسباحة ، وملعب رياضى ، الى جانب عشرات الحوانيت المنوعة ، حتى لم تتمالك تريسي أن قالت لنفسها مبهورة : ليتنى كنت أستطيع العيش فى هذه الباخرة على الدوام !..

ثم حجزت لنفسها فى موعد العشاء مائدة خاصة فى قاعة الشواء اذ كانت أصغر واكثر اناقة من قاعة الطعام الكبرى .. على انها لم تكد تجلس الى المائدة حتى سمعت صوتا مالوفا يقول لها : أهـلا بك هنا ! ..

تطلعت تريسي الى مصدر الصوت ، واذ المتكلم هو توم باورز مندوب المباحث الفيدرالية المزيف ، وقد أردف قائلا : هل تمانعين اذا جلست معك ؟ ... انها مفاجأة سارة !..

ـ أمانع جدا ...

بيد انه انزلق فى المقعد المواجه لها واختصها بابتسامة آسرة ،

قائلا : يمكننا أن نكون أصدقاء .. على اى حال ، نحن الاثنين هنا لغرض واحد ، اليس كذلك ؟..

لم يكن لديها ادني فكرة عما يقصده ، فقالت : اسمع يا مستر باورز ..

فقال في يسر : ستيفنز .. جيف ستيفنز ..

ـ مهما كان اسمك ! ..

وهمت بالنهوض عن المائدة ، فعاجلها قائلا : مهلا ... احب ان اشرح لك بخصوص المرة الاخيرة التى تقابلنا فيها ..

ـ ليس هناك مايدعو الى الشرح ... لو كانت طفلة لتصورت الحقيقة ...

ـ أنني كنت مدينا لكونراد مورجان الجواهرجي بمعروف سابق ومع ذلك اظنه الآن غير راض عني ...

فقالت بلهجة العداء : وأنا غير راضية عنك أيضا ... ماذا تفعل على ظهر هذه الباخرة ؟ ... أما كان اولى لك أن تكون فى سفينة نهرية ؟ .

فقال ضاحكا : مع وجود مكسميليان بيربونت على ظهر الباخرة ، فهي سفينتي النهرية !..

ـ من ؟ ...

فنظر اليها بدهشة وقال : خلى عنك هذا ؟.. تعنين انك لا تعرفين فعلا ؟..

ـ أعرف ماذا ؟ ..

ـ ان مكسميليان هو واحد من اغنى الرجال فى العالم .. وهوايته هى دكم الشركات المنافسة الى الافلاس ... وله هيام بالخيول الاصيلة والنساء الجميلات ...

ـ وتنوى انت ان تربحه من بعض ثرائه الفرط ؟..

فاجاب وهو يتأملها : بل من جانب كبير منه فى الواقع .. هل تعرفين مايجب ان نفعله انت وانا ؟ ..

ـ أعرف بالتأكيد يامستر ستيفنز ... يجب أن نتبادل الوداع .

وظل جالسا فى مكانه يراقب تريسى وهى تنهض وتنسحب من قاعة الطعام ...

وتناولت العشاء في غرفتها وهي تعجب من سوء الطالع الذى وضع جيف ستيفنز في طريقها مرة أخرى .. وبدا لها أن تنسى

الخوف الذى شعرت به وهى في القطار عندما توهمت انها أصبحت مقبوضا عليها ، فقالت لنفسها : حسنا ... لن ادعه يفسد على هذه الرحلة ... ولهذا سوف اتجاهله ...

وبعد العشاء صعدت تريسى الى سطح الباخرة ... كانت ليلة صافية الاديم لالاءة الانجم ... ووقفت لدى الحاجز فى ضـــوء القمر تراقب انعكاس الاضواء الفوسفورية على الامواج وتنصت الى خفق الريح الساجية ، عندما احست به الى جانبها .. وقال لها : ليست عندك فكرة الى اى حد تبدين جميلة وانت واقفة هنا ... هل تؤمنين بالغراميات على سطح الباخرة ؟..

ــ بالتأكيد ... لكن مالا اؤمن به هو انت !..

وهمت أن تبتعد ، فعاجلها قائلا : انتظرى .. عندى لك بعض الاخبار ... لقد اكتشفت الآن فقط ان مكسميليان بيربونت ليس على ظهر الباخرة آخر الامر .. فقد الغى رحلته فى آخر دقيقة .

ــ اه ! .. ياله من عار !.. لقد خسرت أجرة سفرك !.

ــ ليس بالضرورة ... ما رايك فى التقاط ثروة صغيرة اثنـاء الرحلة ؟ ..

هذا رجل غير معقول ! . فردت قائلة : مالم تكن معك غواصـــة او هليكوبتر فى جيبك ، فلا اظن انك ستفلت بعد أن تسلب احلاما على ظهر هذه الباخرة ..

ــ من قال اى شىء عن سلب اى انسان ؟ هل سمعت عن موريس مالنكوف البلغارى وبيتر نيجولسكو الرومانى ؟... حسنا .. انهما بطلا الشطرنج العالميان فى طريقهما الى ميناء سوشى على البحـــر الاسود للعب مباراة دولية ... واذا أمكننى أن ارتب مباراة لكى تلعبى مع الاثنين معا ، فبالامكان أن تربح مبلغا طائلا ... ان خطتى جاهزة ، وهى مضمونة تماما ..

تطلعت اليه تريسى غير مصدقة ، وقالت : اذا صح تقديرك ، فلتعرف أن هناك ثغـرة فى مشروعـــــك ، وهى أننى لا العب الشطرنج ...

فقال وهو يبتسم متـــسامحا : لا مشكلة هنا .. ساعلمك ..

فقالت تريسى : انت مجنون ... اذا أردت نصيحة مخلصة ، فابحث لنفسك عن طبيب نفسانى ! ..

وعلى الرغم من هذا فما زال بها جيف حتى اقنعها بالموافقة على

مشروعه الذى عدته جنونيا أول الامر ... وبدأ يدربها على لعب الشطرنج ... بل قال ان خطته تقوم على ان تلاعب الاثنين فى وقت واحد فى جولة واحدة نظير عشرة آلاف دولار يقبضهما كل من اللاعبين فى حالة فوزهما ، فى مقابل صورة فوتوغرافية لكل منهما ممهورة بتوقيع البطل ، تنالها تريسى اذا خسرت المباراة ...

ومن عجب أن البطلين قبلا اللعب فى هذه المباراة الغريبة وثوقا من قدرتهما وطمعا فى كسب المبلغ الجزيل دون عناء ... وهكذا اتفق جيف ستيفنز مع رئيس خزانة الباخرة على عقد المباراة فى « قاعة الملكة » يوم الجمعة ليلا ، وسلمه شيكات سياحية بمبلغ عشرين الف دولار ... وسرعان ماانتشرت القصة فى كافة أرجاء الباخرة ، وما أن علم الركاب ان صراف الباخرة نفسه راهن بمبلغ على الطرف الفائز حتى تدفق الرهان من معظمهم ، بل امتد أيضا الى مهندس غرفة الالات ومن معهم من البحارة ...

ومع ذلك فقد أبلغ رئيس الخزانة ربان الباخرة بأمر هذه المباراة الغريبة قائلا : ان معظم الركاب اشتركوا فى المراهنة ، الى حد أن المبلغ الذى تجمع عندى من المراهنات يقرب الآن من مائتى الف دولار ..

وبعد ان تداول الربان مع رئيس الخزانة مترددا بين السماح باجراء المباراة الغريبة أو منعها هز رأسه قائلا : يبدو من رائحة العملية أن وراءها لعبة أخرى ... ولكن نظرا لخبرتى بالصدفة فى لعب الشطرنج ، فانا أعرف أن الغش فى هذه اللعبة غير ممكن ..

وتقدم الربان الى مكتبه وجذب حافظته وأردف : راهن لى بمبلغ خمسين جنيها .. على البطلين ...

وفى الساعة التاسعة من مساء يوم الجمعة اكتظت « قاعة الملكة » بركاب الدرجة الاولى والمتسللين من ركاب الدرجتين الثانية والثالثة ، وكذلك بضباط الباخرة والبحارة من غير القائمين بالعمل وبناء على طلب ستيفنز منظم المباراة ، فقد خصصت لها غرفتان ، ووضعت طاولة فى وسط « قاعة الملكة » وأخرى فى الصالون المجاور ، وأسدلت ستائر للفصل بين القاعتين ، وقال تفسيرا لهذا : لئلا ينشغل كل من اللاعبين بوجود منافسة معه ... كما اننا نريد أن يلزم المتفرجون أماكنهم فى الحجرة التى يختارونها ...

وبالاضافة الى هذا مدت حبال من القطيفة حول كل من الطاولتين لمنع تزاحم المتفرجين حولهما ... وكان هؤلاء يوشكون أن يشهدوا شيئا لن يروا له مثيلا مرة أخرى ... وكانوا لا يعرفون شيئا عن الشابة الامريكية الحسناء ، فيما عدا أنه يستحيل عليها ـ أو أى احد آخر ـ أن يلاعب البطلين الكبيرين فى وقت واحـد وينتهى بالتعادل مع أى منهما ، طبقا لشروط المباراة ...

وهكذا جاءت اللحظة الحافلة ... وشعرت تريسى بركبتيهـا ترتعدان ، بعكس اللاعبين اللذين كانا فى منتهى الاعتداد والمرح ..

وقال جيف لملنيكوف : حرصا على العدالة لكل طرف ، فاننى أقترح أن تلعب القطع البيضاء حتى تبدأ أنت أولا ... وفى اللعب مـع مستر نيجوليسكو تلعب مس هويتنى بالقطع البيضاء وتبـدأ هى بتحريك القطع ...

فقبل البطلان ..

وبين صمت المتفرجين وكان على رءوسهم الطير حـرك ملنيكوف قطعة وهو يقول لنفسه : لن أهـزم هـذه المرأة فقط ، بل سأسحقها ...

وتطلع الى تريسى ... فتمعنت فى الرقعة ، وأومأت براسها ، ثم نهضت دون أن تحرك أية قطعة ... وأفسح لها بحار الطريق بين الزحام فدلفت الى الصالون الثانى حيث كان نيجولسكو جالسا ينتظر ... وكان فى الحجرة مائة من المتفرجين على الاقل غصت بهم عندما جلست فى المقعد المواجه له ، فبادرها قائلا : أهـلا يا حمامتى الصغيرة .. هل هزمت بوريس ؟..

وضحك ضحكة رنانة طربا من نكتته .. فقالت تريسى بهدوء : انا متجهة الى هذا ...

ومدت يدها الى رقعة الشطرنج وحركت مثيل القطعة البيضاء التى حركها ملنيكوف ... فحرك نيجولسكو قطعة سوداء مماثلة .. وعندئذ نهضت تريسى ورافقها البحار فى عودتها الى ملنيكوف ، حيث حركت مثيل قطعة نيجوليسكو السوداء .. وحانت منهـا التفاتة الى ناحية جيف فى المؤخرة ، فلمحت منه ايماءة الموافقة التى لم يكد يلحظها أحد ..

ومضى اللعب على هذه الوتيرة مما اثار دهشة البطلين وجعلهما يدركان أنهما يواجهان خصما بارعا ... فعلى الرغم من كل حركة

حاذقة صدرت من كل منهما ، استطاعت هذه الهاوية أن تقابلها بحركة مضادة ..

وبسبب الفصل بين البطلين ، لم يدر ملنيكوف ولا نيجوليسكو انهما كانا في الواقع يلعبان احدهما ضد الآخر ... ففي كل حركة قام بها ملنيكوف مع تريسي ، كانت تريسي تكررها مع نيجوليسكو وعندما كان يواجهها بحركة مضادة ، كانت تريسي تستخدم تلك الحركة ضد ملنيكوف ...

لم يكن من سبيل لوقف تريسي عند حدود قدرتها ... فقد استمر اللعب اربع ساعات ، لم يتحرك خلالها احد من المتفرجين في القاعتين ولا تململ في مكانه ...

وفي هذا قال ملنيكوف لنفسه : الملعونة ! .. انها درست مع نيجوليسكو ، وقد لقنها ولاشك !..

وبالمثل قال نيجوليسكو لنفسه : أنها محسوبة ملنيكوف !.. انه أعطاها اسرار لعبته !..

وكانا كلما شددا الوطأة على تريسي ، كلما أدركا انه لا قبل لهما بهزيمتها ... وبدا لهما ان المباراة سوف تنتهي على غير ما كانا يقدران ...

وفي الساعة السادسة من بدء المباراة ، عندما وصل البطلان الى نهاية اللعب ، لم يبق في كل من رقعتي الشطرنج سوى ثلاثة بيادق ، ورخ ، وملك ... ولم يعد من سبيل أمام احدهما لكي يفوز ...

وما أن اعلنت هذه النتيجة حتى دوى الهتاف في القاعتين ... فلم يكن احد يصدق ان امرأة جاءت من حيث لا يعلم أحد ، استطاعت ان تقهر اعظم لاعبين للشطرنج في العالم ...

وجاء جيف الى جانبها وقال لها باسما : هلمي بنا ... كلانا في حاجة الى شراب ...

وعندما انسحبا كان كل من ملنيكوف ونيجوليسكو مطرقان في مقعديهما ، يحدقان في رقعة الشطرنج في غير وعي ...

وحول المائدة التي جلست اليها تريسي وجيف في البار العلوي قال لها ضاحكا : كنت رائعة ! .. هل رأيت ماظهر على وجه ملنيكوف ظننت انه سيصاب بنوبة قلبية ...

فقالت تريسي : بل انا الذي ظننت انني ساصاب بنوبة قلبية .. كم ربحنا ؟ .

ـ حوالي مائتي الف دولار .. وسنقوم بتحصيل المبلغ من رئيس الخزانة في الصباح عند وصول الباخرة الى ميناء سوثمبتون وساقابلك لنتناول الافطار في قاعة الطعام ...

وبعد أن افترقا لياوي كل منهما الى قمرته التقى جيف باحد ضباط الباخرة الذي قال له : مباراة عظيمة يامستر ستيفنز ... ان نبأ المباراة قد تسرب الى الراديو .. وفي تصوري أن الصحافة سوف تلتقي بكما في سوثمبتون .. هل أنت مدير اعمال مس هويتني ؟...

ـ كلا .. اننا مجرد متعارفين على ظهر الباخرة ..

بيد أن ذهنه أخذ يعمل بسرعة البرق ... فلو انه وتريسي ظهرا مرتبطين ببعضهما لبدت العملية مدبرة ... وربما أجرى تحقيق في الامر ...

وهكذا قرر أن يحصل المبلغ قبل أن تثار اية شكوك ...

وسطر جيف رسالة موجزة الى تريسي بعث بها مع بحار الى تريسي قال فيها : « حصلت المبلغ وساقابلك في وليمة افطار في فندق سافوي » ...

وقصد من فوره الى مكتب رئيس الخزانة وقال له معتذرا : آسف لازعاجك ... سترسو الباخرة بعد ساعات معدودة ، وانا اعرف انك ستكون مشغولا جدا ، ولهذا بودي أن أعرف أن كان بمكنك دفع المبلغ لي الآن ؟ ..

فقال رئيس الخزانة باسما : لا ازعاج هناك ..

واخرج الرجل من خزانته مظروفين كبيرين وهو يقول : هذا مبلغ نقدي جسيم قد يصعب التنقل به ... هل تحب أن اعطيك شيكا به ؟..

ـ لا .. لا تشغل بالك .. وهل يمكن أن اطلب منك معروفا ؟. ان قارب البريد سيصل لمقابلة الباخرة قبل رسوها على الرصيف ، اليس كذلك ؟ ..

ـ اجل ياسيدي ... والمنتظر وصوله في الساعة السادسة صباحا ...

ـ ستكون مكرمة منك لو امكن تدبير نزولي في قارب البريد ..

ان والدتي في حالة مرضية خطيرة ... وبودي أن ادركها قبل .. قبل فوات الوقت ..

قال كلماته الاخيرة بصوت متهدج ، فبادره رئيس الخزانة : انا في شدة الاسف يامستر ستيفنز .. بالطبع يمكنني تدبير هـذه المسألة من أجلك ... وساتولى الترتيبات اللازمة مع الجمارك ..

وكانت الساعة السادسة والربع صباحا عنـدما اخذ جيف ستيفنز يهبط في سلالم الباخرة الى قارب البريد .. وقد تلفت لالقاء نظرة اخيرة على الباخرة الضخمة من فوقه ... كان الركاب لا يزالون يغطون في النوم ... وسيكون جيف على الرصيف قبل أن ترسو الباخرة بمدة كافية ... ولم يتمالك ان قال لاحد البحارة في قارب البريد : كانت رحلة جميلة ..

واذا صوت يرد عليه : نعم ... كانت جميلة فعلا ... اليس كذلك ؟ ..

تلفت جيف حوله .. فاذا تريسي جالسة فوق كومة حبـال وشعرها يتموج خافقا في الهواء حول وجهها ..

ــ تريسي ! .. ماذا تفعلين هنا ..

ــ وماذا تظنني فاعلة ؟! ...

فطن الى النظرة التي ارتسمت على وجهها ، فبادر يقـول : انتظري لحظة ! .. لعلك لم تظنني انني ساغدر بك ؟..

فقالت بلهجة المرارة : ولماذا اظن هذا ؟..

ــ تريسي ! ... انني بعثت اليك بكلمة لكي تسلم اليك في الصباح وقلت فيها انني ساقابلك في فندق سافوي و ...

فقالت بلهجة لاذعة : طبعا كنت ستفعل هذا ... ان حججـك لا تنفذ ابدا ! ..

فراح يتطلع اليها دون أن يجد مايقوله ...

وفي جناح تريسي بفندق سافوي جعلت تراقب جيف وهو يعد النقود بعناية ... وقال لها : ان نصيبك بلغ مائة الف وخمسمائة دولار ...

فقالت ببرود : شكرا لك ...

فقال جيف : انت غلطانة في حقي ياتريسي .. بودي لو منحتني فرصة لكي اشرح لك ... هلا تناولت العشاء معي هذه الليلة ؟

ترددت ، ثم قالت : لا بأس ...

ـ جميل ... ساصحبك في سيارة الساعة الثامنة .

وعندما وصل جيف الى الفندق في ذلك المساء وسأل عن تريسى اخبره موظف الاستقبال ان مس هويتنى قد غادرت الفندق، في وقت مبكر بعد الظهر ، ولم تترك عنوانا ..

الفصل الحادي والعشرون

كانت الدعوة المكتوبة التي تلقتها تريسى هى التى غيرت مجرى حياتها ...

فبعد ان حصلت على نصيبها من المال من جيف ستيفنز ، انتقلت من فندق سافوى الى فندق آخر في بارك ستريت كان هادئا واقرب الى السكنى العائلية وامتاز بغرفه البهيجة وخدماته الممتازة ..

وفي يومها الثانى فى لندن جاءها أحد الخدم بدعوة مكتوبة بخط أنيق فضتها وقرأت منها مايلى: « اقترح على صديق مشترك ان نتعارف لما قد يفضي اليه هذا التعارف من مزايا للطرفين . فهلا قبلت دعوتي لتناول الشاى فى فندق ريتز فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم ؟ ومعذرة اذا قلت انني ساضع في صدرى قرنفلة » .. وقد ذيلت الدعوة بتوقيع جانتر هارتوج ...

لم تسمع تريسى في حياتها بهذا الاسم ، وقد مالت أول الامر الى تجاهل الرسالة ، بيد أن الفضول تغلب عليها ، وفي الساعة الرابعة والربع كانت فى مدخل قاعة الطعام الفخمة بفندق ريتز .. وفي الحال لاحظت وجود الداعي .. كان في الستينات من عمره ، نحيفا ، تلوح عليه علائم النجابة ، شفاف البشرة ، مرتديا بذلة رمادية غالية ، وفي عروة صدره قرنفلة حمراء .

وعندما تقدمت تريسى الى مائدته نهض وانحنى يسيرا ، قائلا : اشكرك لقبول دعوتي ...

وعلى مائدة الشاى وملحقاته الحافلة قالت له تريسى : اشرت في رسالتك الى صديق مشترك ... فهلا عرفتنى من يكون ؟..

ـ هو كونراد مورجان الجواهرجي ... انني اقوم معه ببعض الاعمال بين وقت وآخر .. وهو من أكبر المعجبين بك ..

راحت تريسى تتفرس في مضيفها ... كانت له هيئة ارستقراطية ومظهر يدل على الثراء ، فتركت له أن يمضي في التعريف بما يريده

منها ، بيد انه لم يشر الى كونراد مورجان مرة اخرى ، ولا الى المزايا المشتركة التى ستعود على الطرفين : جانترهارتوج وتريسى هويتنى بدلا من ذلك اخذ يحدثها عن ماضى حياته ، فعرفت انه المانى من اب كان من رجال المصارف وام يهودية ، وانه نشأ نشأة مترفة مدللة يتقلب بين التحف الاثرية الثمينة واللوحات الفنية العالمية ، الى أن جاء هتلر فسلب اسرته كل شيء ، وقتل ابواه أثناء الحرب ، أما هو فقد هربه بعض الاصدقاء الى سويسرا ، وبعد انتهاء الحرب العالمية قرر الاقامة فى لندن حيث افتتح متجرا صغيرا للتحف فى مونت ستريت ، حيث يؤمل أن تزوره تريسى ذات يوم وهنا لم تتمالك ان قالت لنفسها بدهشة لعله يريد اذن أن يبيعها شيئا ! ...

لكنها كانت مخطئة كما تبينت فيما بعد ...

وفيما كان يدفع فاتورة الحساب قال لها عرضا : لى بيت ريفى صغير فى هامبشير ..

وقد دعوت عددا قليلا من الاصدقاء لتمضية عطلة نهاية الاسبوع عندى ، ويسرنى جدا أن تنضمى الينا ..

ترددت تريسى ... كان الرجل غريبا عنها تماما ، وهى ما زالت تجهل ما يريده منها ... ثم قررت فى النهاية أنها لن تخسر شيئا ...

وكانت عطلة نهاية الاسبوع شائقة حقا .. ورات تريسى ان البيت الريفى الصغير ، كان قصرا جميلا من القرن السابع عشر فى وسط عزبة مساحتها ثلاثون فدانا ... وكان جانتر أرملا يقيم وحده ، باستثناء خدمه ... وقد طاف بها العزبة التى كانت تضم حظيرة للخيول ومزرعة لتربية الدواجن ، وقال لها برصانة : هذا لكيلا نموت يوما من الجوع ! ...

والآن دعينى أفرجك على هوايتى الحقيقية ...

وقادها الى برج حمام كان مليئا من آخره ... وقال لها فى معرض الشرح وهو يزهو فخرا : وانظرى الى هذه الحمامة الرمادية ، هى من نوع الحمام الزاجل ، واسمها « مارجو » ، وتستطيع فى عودتها الى برجها هنا أن تطير بسرعة متوسطها اربعون ميلا فى الساعة ، وأن تقطع مسافة تزيد على خمسمائة ميل ! ..

ثم عرفها بضيوفه وكانوا من النخبة : وزير فى الحكومة القائمة

وزوجته ، ولورد ، وجنرال مع صديقته ، وعقيلة مهراجا سابق ..
وكانت الصحبة ممتعة انست تريسى الغرض من تعارفها بالداعي ..
وعلى اى حال فقبل أن تعود تريسى الى لندن بعد ظهر الاحد ، اجتمع بها جانتر فى مكتبه وقال لها بغير مقدمات : أعرف انك فى شوق لمعرفة سبب دعوتى لك ... فهل عندك مشروعات للمستقبل؟
ترددت تريسى ، ثم اجابت : كلا ... كلا ... لم أقــرر بعد ما أنوى أن أقوم به ..
ــ اظن انه يمكننا أن نعمل معا اعمالا مثمرة .
ــ تقصد فى محلك للتحف والعاديات ؟ ..
فضحك قائلا : كلا يا عزيزتى ... من المخجل أن نبدد مواهبك الممتازة ... الحقيقة انتى عرفت مغامرتك مع كونراد مورجان .. وقد تصرفت بمنتهى البراعة .
ــ اسمع ياجانتر ! .. كل هذا أصبح الآن من الماضى !..
ــ ولكن ماذا عن المستقبل ؟ ... لا بد أن تفكرى فى مستقبلك . من المؤكد أن ماعندك الآن من المال لابد أن ينفد يوما ما ... وانا اقترح عليك المشاركة فى العمل ... انتى أختلط بدوائر راقيــة محليا وعالميا ... واشهد حفلات الرقص الخيرية الكبرى ، ورحلات الصيد والقنص ، وسباقات اليخوت .. انتى اعرف دخائل ومخارج اهل الغنى وارباب الثراء ...
ــ لست أرى ماعلاقة هذا بى ؟..
ــ بامكانى ادماجك فى هذا الدائرة الذهبية .. بوســعى أن امدك بالمعلومات عن المجوهرات الاسطورية واللوحات الفنية العريقة، وكيف يمكنك أن تضعى يدك عليها فى امان ... اما انا فاستطيع أن اصرف فيها بطرقى الخاصة ... وسيكون فى قــدرتك أن تسوى الميزان مع أولئك الذين اثروا على حساب الآخرين .. وكل ما نستحوذ عليه سيكون قسمة بيننا .. ماقولك ؟
ــ اقول كلا ..
فتفرس فيها ساهما ، ثم قال : معلوم .. هلّ تتصلين بى اذا غيرت رأيك ؟ ..
ــ لن اغير رأيى ياجانتر ...
وفى مستهل هذا المساء عادت تريسى الى لندن ..

***

صدق حساب جانتر هارتوج ... فقــد عاشت تريسى أياما

واسابيع عيشة البذخ تغشى افخر المطاعم والمنتديات وترتاد اشهر المسارح وتقتني اغلى الازياء مما كاد يأتي على مالها وجعلها تفكر في المستقبل تفكيرا جديا ...

وفي خلال ذلك تكررت دعوات جانتر هارتوج لها لقضاء عطلة نهاية الاسبوع في بيته الريفي ، فكانت تسعد بضيافته ...

وفي احدى هذه الدعوات قال لها عضو في البرلمان اثناء مادبة العشاء : انني لم التق يوما يامس هويتني بأحد ابناء ولاية تكساس فما هي طباعهم ؟..

فأخذت تريسي في تقليد غنية محدثة من ابناء الولاية الامريكية بصورة مسرفة في السخرية حتى ضج الضيوف بالضحك ..

وعندما صارت تريسي مع جانتر وحدهما بعد ذلك قال لها : مارايك في جمع ثروة صغيرة من مثل هذا التقليد المتقن ؟..

ـ انا لست ممثلة ياجانتر ...

ـ انت تبخسين نفسك ومواهبك ! ... هنـاك متجر كبير للمجوهرات في لندن يعرف باسم باركر وباركر يجد سعادته في « انتزاع ريش » زبائنه الاغنياء ، على حد تعبيركم في امريكا .. وقد اعطيتني فكرة من كيفية جعلهم يدفعون ثمن استغلالهم للزبائن ..

وافضى اليها بفكرته .. فقالت تريسي : كلا ...

بيد أن رفضها هذه المرة كان مشوبا بالتردد بعد أن تذكرت لذة المغامرة وكيف تفوقت على البوليس في عملية لويز بيلامي في لونج ابلاند وعلى بطلي الشطرنج العالميين في الباخرة « الملكة اليزابيث الثانية » وعلى جيف ستيفنز نفسه ! ..

***

ما أن توقفت السيارة البيضاء الفخمة أمام محلات « باركر وباركر » الجواهرجية بشارع اكسفورد حتى اسرع السائق بفتح الباب فترجلت منها امرأة شابة شقراء الشعر مسرفة في «الماكياج» ترتدي فوق فستانها الايطالي الضيق معطفا من فرو السمور ...

وقد وقفت تريسي برهة أمام المحل تستعرض انعكاس صورتها في الواجهة ، ولما اطمانت الى هياتها التي تمثل امراة محدثة الغنى من ولاية تكساس ، دلفت الى المحل حيث استقبلت بحفاوة رغم

اسلوب حديثها الصاخب المختلف عن مسلك مرتادى هذا المتجر الكبير من الطبقات الانجليزية الراقية ...

وخف اليها البائع شيلتون يلبى طلباتها ، فقالت له : أريد شيئا مطعما بالزمرد ، وهو مايحبه زوجي بنيكي ...

فقادها الي « فترينة » بها مجموعة من هذه اللآلىء ، ولكنها قالت له باحتقار : هذه مجرد « أولاد » زمرد ! ... أين « الامهات » و « الآباء » ؟! ..

وقهقهت عاليا طربا من نكتتها ، فقال البائع بجمود : ان ثمنها يقارب ثلاثين الف دولار للقطعة الواحدة ...

ــ يا لجهنم ! . أنا أمنح حلاقى « بقشيشا » بهذا المبلغ !.. سيغضب زوجي بنيكي متى اذا رجعت اليه بهذه « الحصوات » !.

ــ وماهو مستوى الثمن الذى تراه سيدتى ؟..

ــ لماذا لا نبدأ بمائة الف دولار مثلا ؟..

فقال البائع وهو يبتلع ريقه : فى هذه الحالة يحسن أن تتصلى بمدير المحلات ...

وقدمها البائع الى جريجورى هالستون المدير النحيل المعروق قائلا :

مستر هالستون ... هذه مسز ..

والتفت الى المراة الشقراء الفاقعة الزينة ، فقالت : بنيكى باحلو ... مارى لوبنيكي .. زوجة المليونير بنيكى .. اراهن انكم سمعتم عن ب . ج بنيكى !..

فرد المدير ايجابا من قبيل المجاملة ، ولما قال له البائع أن القادمة تريد زمردا يبدأ ثمنه من مائة الف دولار هش وبش فى وجهها ، وقادها الى باب موصد فتحه بمفتاح ، وادخلها الى غرفة صغيرة باهرة الضوء ، ثم اغلق الباب خلفه باحكام قائلا : هنا نحتفظ ببضاعتنا المخصصة للزبائن المتازين .

كان فى وسط الغرفة الصغيرة « فترينة » عرض مليئة بتشكيلة » مذهلة من الماس واليواقيت والزمرد يتلألأ بريق الوانها وقال لها : هل ترى سيدتى شيئا يعجبها هنا ؟

فتقدمت نحو العلبة التى تضم الزمرد وقالت : دعنى أرى هذه « التشكيلة » ..

فأخرج هالستون مفتاحا صغيراً آخر من جيبه وفتح العلبة

ورفع منها صحفة الزمرد ووضعها فوق المنضدة .. كان بها عشر قطع من الزمرد ، ووقف هالستون يراقبها وهي تتناول اكبرها ، وكانت ترصع مشبكا من البلاتين ، وقالت بعد أن فحصتها بامعان: ساخذ هذه القطعة ياحلو ..

ان عملية البيع هذه لم تستغرق أكثر من ثلاث دقائق ، وقال لها المدير من فوره : رائع .. وثمنها بالدولارات يصل الى مائة الف .. باى عملة ستدفع سيدتى ؟..

ـ لا تشغل بالك ياجميل ... لى حساب بالدولارات فى بنك هنا فى لندن ... ساكتب لك شيكا بالمبلغ ، وبعد ذلك سيرده لى ب . ج . بنيكى ..

ـ عظم ... سنقوم بتنظيف المشبك وتسليمه لك فى الفندق .

لم يكن المشبك بحاجة الى تنظيف ، ولكن هالستون كان حريصا على عدم خروج القطعة الثمينة من حيازته الا بعد تحصيل قيمة الشيك فى البنك ، اذ كان يعرف من السوابق أن الكثير من الجوهريين قد تعرضوا لعمليات نصب واحتيال ماكرة ، وهو ما يفاخر بانه لم يتعرض لمثلها فى حياته ...

ـ واين يكون تسليم المشبك ياسيدتى ؟ ...

ـ فى فندق دورتشستر ، حيث يتعامل زوجى مع أثرياء البترول ان « ب . ج . بنيكى » رجل حاذق !!..

ـ هذا مؤكد ياسيدتى ...

ووقف يراقبها وهى تملأ الشيك الذى اخرجته من دفترها ، ولاحظ أنه من بنك باركليز ، فاطمأن ، اذ له صديق فى البنك يمكن أن يتحقق من حساب بنيكى ...

ولما تناول الشيك قال لها : ستسلم اليك الزمردة شخصيا فى الفندق صباح باكر ...

فهشت فى وجهه قائلة : انا متاكدة ان ب . ج . بنيكى سوف يسعده ان يقدم لى هذه الهدية فى عيد ميلادى ..

ورافقها الى الباب الخارجي حيث استقلت سيارتها الفخمة ، وأسرع عائدا الى مكتبه حيث اتصل تليفونيا بصديقه وقال له : بيتر يا عزيزى ... عندى الآن شيك بمبلغ مائة الف دولار محرر على حساب مسز مارى لوبنيكى ... هل هو سليم ؟..

فاستمهله بيتر فترة ، ثم رد عليه قائلا : لا مشكلة ياجريجورى هناك رصيد كاف يغطى هذا الشيك ..

فتنفس هالستون الصعداء قائلا : شكرا لك ... موعدنا للغداء الاسبوع القادم . على حسابي ..

وتم تحصيل قيمة الشيك في صباح اليوم التالي ، وسلم المشبك الثمين مع رسول معتمد الى مسز ب . ج . بنيكى فى فندق دورتشستر ...

وبعد ظهر نفس اليوم ، قبيل موعد اغلاق متجر المجوهرات ، جاء سكرتير هالستون وقال له : حضرت الى هنا سيدة باسم مسز بنيكي طالبة مقابلتك ...

غاص قلبه .. لابد انها عادت لارجاع المشبك الثمين ، ولم يكن ممكنا أن يرفض ... الا لعنة الله على النساء جميعا ، وعلى الامريكيين ، وعلى كل اهل تكساس ! ..

ومع ذلك اغتصب هالستون الابتسام ، واستقبلها بحفاوة قائلا : اخشى أن يكون زوجك لم يعجبه المشبك ...

ــ اخطأت في تصوراتك يا مجنون ... ان ب . ج . بنيكى افتتن به الى حد الجنون ! ..

فاخذ قلبه يرقص من جديد ، بينما استطردت تقول : انه في الحقيقة اعجب به جدا لدرجة انه يريد منى أن احصل على زمردة مطابقة لكى نصنع قرطا من الاثنتين ... والآن اريد توام الزمردة التي اشتريتها منكم ...

فقطب هالستون يسيرا وقال : أخشى أننا سنواجه مشكلة هنا يامسز بنيكى . ان الحجر الكريم الذى اشتريته منا هو فريد في نوعه ، وليس هناك ما يشابهه ... عندنا تشكيلة جميلة من نوع آخر ، ويمكن ...

ــ لا اريد أى نوع آخر ... اريد زمردة مثل التى اشتريتها ..

وعبثا حاول أن يؤكد لها استحالة العثور على زمردة مماثلة ، فقد أصرت على طلبها ، واضافت قائلة : ان يوم السبت هو عيد ميلادى ، و ب . ج . بنيكي يريد أن تكون هديته هى هذا القرط ، وما يريده ب . ج . بنيكي لابد أن يتم ..

ثم فكرت لحظة وقالت : كم دفعت فى هذا المشبك الزمردى ؟. مائة الف دولار ؟ .. انا اعرف ان ب . ج . بنيكى على استعداد لرفع المبلغ الى مائتى الف أو حتى ثلثمائة الف دولار ثمنا للزمردة التوأم المطلوبة ..

راح هالستون يفكر بسرعة ... لابد من وجود مثيل لهذه الزمردة فى مكان ما ، واذا كان ب . ج . بنيكى على استعداد لدفع مائتى الف دولار اخرى ثمنا لها ، فهذا مكسب جسيم فى الواقع .. وفى هذا قال هالستون لنفسه : بامكانى ان ادبر هذه المسألة بحيث احصل منها على مكسب طيب لنفسى ! .. وهكذا قال لها : سأقوم بالبحث فى كلِّ مكان يامسز بنيكي ... ومع ثقتى بعدم وجود توأم هذه الزمردة عند اى جواهرجى آخر فى لندن ، الا أنه توجد دائما تركات تعرض فى المزادات ، وسانشر عددا من الاعلانات فى الصحف وارى ماذا تكون النتيجة ..

فقالت الشقراء المزوقة : امامك فرصة حتى نهاية الاسبوع ... وبينى وبينك فان ب . ج . بنيكى قد يرفع المبلغ الى ثلثمائة وخمسين الف دولار ...

وانسحبت مسز بنيكى ومعطفها فرو السمور يتموج خلفها ..

وجلس هالستون فى مكتبه سابحا فى الحلم .. ان الاقدار وضعت بين يديه رجلا مختبل العقل بشقرائه المزوقة الى حد استعداده لدفع مبلغ ثلثمائة وخمسين الف دولار عن زمردة قيمتها مائة الف دولار ، مما يعنى ربحا صافيا قدره مائتان وخمسون الف دولار ... وقد رأى هالستون انه لا حاجة لكى يثقل على « باركر اخوان » بتفاصيل هذه العملية .. فمن السهل تسجيل بيع الزمردة الثانية بمائة الف دولار ، ويضع هو الباقى فى جيبه .. ان هذا الفرق وهو مائتان وخمسون الف دولار كفيل بأن يغنيه مدى الحياة وكل ما عليه الآن هو البحث عن زمردة توأم للتى باعها الى مسز ب . ج . بنيكى ...

غير انه تبين أن العملية أصعب مما توقع هالستون .. فقد اسفرت اتصالاته التليفونية بمحال المجوهرات الكبرى وبصالات المزاد الشهيرة عن عدم العثور على زمردة مطابقة للزمردة المطلوبة ، وبقى الامل الاخير فى الاعلانات التى نشرت فى الصحف .. وفى خلال ذلك اتصلت به مسز ب . ج . بنيكى تليفونيا مرتين تستعجل النتيجة ، وفى المرة الثانية قالت له : غدا السبت هو عيد ميلادى واذا لم تتمكن من العثور على الزمردة المطابقة صباح الغد ، فاننى ساعيد الزمردة التى اشتريتها منكم .. ان ب . ج . بنيكى بارك الله

فيه قال لي أنه سيشتري لي بدلا منها ضيعة كبيرة في مكان يسمى سسكس .. هل تعرفه ؟..

فرد هالستون بسرعة وهو غارق في درته : هذا مكان ريفي شنيع يامسز بنيكي لن تطيقي الاقامة فيه ، وتصوره في حالة يرثى لها من القدم ، وهي خالية من التكييف و ..

فقاطعته قائلة : بيني وبينك ، انني افضل القرط الزمردى .. بل ان ب . ح . بنيكي ابدى استعدادا لرفع المبلغ الى أربعمائة الف دولار لتوام الزمردة التي اشتريتها ... انت لا تعرف كم هو عنيد ! ..

وقطعت المكالمة التليفونية وهو يشعر بان الثروة توشك ان تفلت من يديه ... وجلس يلعن سوء حظه مستغرقا في تأملاته المحمومة الى حد انه لم يفطن الى رنين جرس التليفون الداخلي الا في المرة الثالثة ، عندما أفاق ورفع السماعة ساخطا ، فقال له سكرتيره : على الخط سيدة تدعى الكونتيسة ماريسا ، وهي تقول ان المسألة خاصة بالاعلان المنشور عن الزمردة ...

مكالمة جديدة ؟! . انه تلقى هذا الصباح عشر مكالمات على الاقل ، وكلها كانت ضياعا للوقت ! .. ومهما يكن فقد جاءه في التليفون صوت رقيق تقول صاحبته الايطالية اللهجة : انني طلعت على اعلانكم في الجرائد ، وعندي زمردة تطابق اوصافها المطلوب ، وهي لدى اسرتي منذ سنين طويلة .. لكن ظروفي الحالية تضطرني بكل اسف الى بيعها ... ألم تذكروا في الاعلان انها وزن عشرة قراريط وخضراء اللون ؟ ..

رد هالستون بصوت يكاد يختنق : اذا كانت كما تقولين ، فهل يمكن أن تشرفينا بالحضور للمعاينة ؟..

ــ آسفة .. فانا مشغولة ... اننا الآن نعد حفلة في السفارة لزوجي ... وربما اتمكن في الاسبوع القادم ..

ــ هل يمكن أن احضر عندك ؟ .. أين تقيمين ياكونتيسة ؟ ..

ــ في فندق سافوى ..

ــ ساكون عندك في خلال ربع ساعة .. لا .. عشر دقائق ..

ــ مناسب جدا .. واسمك ؟.

ــ هالستون .

ــ انا في الجناح رقم ٢٦ ..

وفي سيارة الاجرة التي استقلها هالستون كان ذهنه يسابق الريح ... ان الربح الذى سيناله شخصيا كفيل بأن يهيىء له شراء فيلا في الريفييرا ، وربما يخت أيضا ... وبالفيلا واليخت ستتهافت عليه الحسان زرافات ووحدانا !..

وعندما طرق هالستون باب الكونتيسة ماريسا الفي نفسه امام سيدة انيقة رشيقة في الخمسينات من عمرها ، سوداء العينين والشعر ، يخالطه لون رمادى ... وبعد ان دعته الى الدخول باللهجة الايطالية المنغومة قال لها وهو يغالب لهفته : اين الزمردة ؟.

ــ هلا جلست بالله ؟ ... اتشرب القهوة أم الشاى ؟..

ــ لا ، اشكرك يا كونتيسة .. الزمردة ؟..

فراحت تقول : ان الزمردة أهديت لى من جدى ، وبودى أن اهديها بدورى الى ابنتى عندما تبلغ الخامسة والعشرين ، لكن زوجى ينوي الانتقال الى عمل جديد في ميلانو ، ويهمنى أن اقدم له يد المساعدة في مشروعه .. وربما كنت مخطئة في عرض ..

فعاجلها قائلا : لا لا يا كونتيسة .. من واجب الزوجة أن تساند زوجها ... اين الزمردة ؟..

ــ هي عندى هنا ..

ومدت يدها الى جيبها واخرجت جوهرة ملفوفة بقماش ، وعرضتها على هالستون ..

جعل يحدق فيها ، وسرعان ما حلقت روحه المعنوية .. كانت قريبة جدا في مظهرها ولونها وحجمها من الزمردة التي باعها لمسز بنيكي ، الى حد أن الفارق بين الاثنتين لا تكاد تدركه العين .. وشعر بيديه ترتعشان فتمالك وجعل يقلبها بين يديه ويعرض مختلف جوانبها للضوء ، ثم قال :

ــ انني أسدى معروفا الى سيدة صديقة ياكونتيسة .. ان في محلاتنا حجارة كريمة اثمن من هذه بكثير ، ولكن الصديقة تصر على زمردة كالتي اشترتها منا لعمل قرط من الاثنتين ... واعتقد انها مستعدة لدفع ستين الف دولار ثمنا لزمردتك ..

فتنهدت الكونتيسة قائلة : ان شبح جدى سوف يطاردنى من قبره اذا بعتها بهذا المبلغ ...

فقال هالستون باسما : ساقول لك ماذا ... ربما امكننى اقناع صديقتى برفع المبلغ الى مائة الف دولار ... وهذا مبلغ جسيم

فى الواقع ، لكن الصديقة متلهفة للحصول على الزمردة ..

فقالت الكونتيسة : هذا مبلغ معقول .. لكن يؤسفنى أن أقول أن مشروع زوجي يتطلب ثلثمائة وخمسين الف دولار ، وليس عندى أكثر من مائة الف دولار ... وهكذا لا يمكن ان ابيع باقل من مائتين وخمسين الف دولار ..

وعبثا راح هالستون يساومها لتخفيض المبلغ ، لكنها تمسكت بالقيمة التى حددتها ، ولم يستطع أن يزحزحها ... وهكذا قر قراره آخر الامر ... أن ربح مائة وخمسين الف دولار لنفسه خير من لا شيء ... نعم ان الفيلا واليخت سيكونان أصغر ، لكنها ثروة على اى حال ... وهذا مايستحقه « باركر أخوان » من المعاملة التى وجدها منهم طيلة خدمته عندهم ... ولسوف ينتظر يوما أو يومين ثم يقدم استقالته .. ولن يحل الاسبوع القادم الا وهو فى الريفييرا ...

قال فى النهاية وهو يدس الزمردة فى جيبه : لا باس .. ساعطيك شيكا من حساب المحلات بمائتين وخمسين الف دولار ..

وحرر الشيك وقدمه للكونتيسة .. وسيطلب من مسز ب .ج. بنيكى، أن تدفع مبلغ الاربعمائة الف دولار شيك ، ثم يتولى صديقه بيتر فى بنك باركليز اضافة شيك الكونتيسة بمبلغ ٢٥٠ الف دولار، بحيث يؤول فرق التسوية الى جيبه الخاص ، مع مراعاة عدم ظهور هذا الشيك الاخير فى كشف الحساب الشهرى لمحلات « باركر اخوان » ... وهكذا يكون نصيبه من هذه الصفقة ١٥٠ الف دولار !..

وعاد هالستون الى مكتبه وهو يكاد يطير من الفرح ، واغلق الباب على نفسه ، ووضع الزمردة فوق المكتب ، ثم رفع السماعة وطلب رقما ... وبعد أن ردت عليه عاملة التليفون فى فندق دروتشستير ، طلب منها توصيله بمسز ب . ج . بنيكى ... فاستمهلته العاملة ، اخذ خلالها يصفر منشرح الصدر ..

ثم جاءه صوتها يقول : آسفة .. مسز بنيكى تركت الفندق ..

ـ هذا مستحيل ! .. انها ..!

ـ سأوصلك بمكتب الاستقبال ...

ـ هل من خدمة ياسيدى ؟..

ـ فى اى جناح توجد مسز ب . ج . بنيكى ..

ـ ان مسز بنيكى تركت الفندق نهائيا هذا الصباح ...
لابد من وجود تفسير ! ... لابد ان شيئا غير متوقع قد حدث!..
ـ هل يمكن أن أعرف عنوانها الجديد من فضلك ؟ .. هـــذه محلات .
ـ آسف .. انها لم تترك أى عنوان ! .. انني كنت في توديعها بنفسي ...
أحس هالستون بلطمة في معدته .. وقد وضع السماعة وجلس مكانه مشدوها .. لابد له من ايجاد طريقة للاتصال بها وتعريفها بانه قد وجد الزمردة التوأم المطلوبة اخيرا ... وفي خلال ذلك لابد له من استرداد شيك الـ ٢٥٠ الف دولار الذى حـــرره باســـم الكونتيسة ماريسا ! ...
أسرع بطلب فندق سافوى تليفونيا ، جناح رقم ٢٦ ..
ـ من تطلب ياسيدى ؟ ..
ـ الكونتيسة ماريسا ..
ـ لحظة من فضلك ..
ولكن حتى قبل أن تعود عاملة التليفون للرد عليه ، حدثه قلبـه بالكارثة التي يوشك أن يسمع نبأها ... قالت العاملة : الكونتيسة ماريسا تركت الفندق ..
أعاد السماعة .. وكانت أصابعه ترتعد ارتعادا عنيفا وهو يدير في التليفون رقم البنك .. وصلنى برئيس الحسابات .. حالا !..
اريد وقف دفع شيك ! ...
ولكن الطلب جاء بالطبع بعد فوات الاوان وبعـد أن تم صرف الشيك ... لقد باع زمردة بمبلغ مائة الف دولار ، ثم عاد واشترى نفس الزمردة بمبلغ مائتين وخمسين الف دولار ! ..
كيف يستطيع بالله أن يشرح هذا لاصحاب محلات « باركـر اخوان » ؟! ..

الفصل الثاني والعشرون

كانت بداية حياة جديدة لتريسي ...
فقد اشترت بيتا جميلا من الطراز الجريجورى القديم في « ايتون سكوير » له حديقتان أمامية وخلفية تنبت أزهارهما المونقة طوال

العام وتكسب البيت بهاء وبهجة ورواء ، وساعدها جانترهارتوج في تأثيثه ، حتى كان البيت تحفة رائعة ! ..

وتولى جانتر تقديم تريسي للمجتمع كأرملة شابة غنية كون زوجها ثروته من أعمال الاستيراد والتصدير ... ومنذ البداية لقيت نجاحا طيبا وهي الجميلة ، الذكية ، الجذابة .. وسرعان ماانهالت عليها الدعوات ...

وبين فينة وأخرى كانت تقوم برحلات قصيرة الى فرنسا وسويسرا وبلجيكا وايطاليا ، وكل هذه الرحلات كانت مثمرة مربحة لهـا ولجانتر ..

وتحت اشراف جانتر ورعايته ، درست التقاويم والموسوعات المتخصصة التي تقدم معلومات تفصيلية عن الملوك والامـراء وذوي الالقاب في أوربا ... وأصبحت خبيرة في فنون التنكر والتحدث بشتى اللهجات ، وحازت عشرات جوازات السفر المختلفة لكثير من البلدان والجنسيات : فمرة هي دوقة بريطانية ، وأخرى هي مضيفة في الخطوط الجوية الفرنسية ، وثالثة هي وارثة من أمريكا الجنوبية ... وفي عام واحد تكدست لديها أموال كانت أكثر من حاجتها ... وقد خصصت من هذه الاموال صندوقا خاصا راحت تغدق منه تبرعات بأسماء مجهولة للهيئات التي تعمل على مساعدة نزيلات السجون السابقات ، وخصصت معاشا شـهريا سـخيا لاولو شميدت وكيل مصنع أمها السابق ... بيد أنها لم تعد ترحب بفكرة التخلي عن عملها هذا ... فقد أصبحت مشغوفة بالتفـوق على الاذكياء والناجحين ... وكانت نشوة كل عملية جريئة تقوم بها حافزا لها على المزيد من عمليات أضخم وأجرأ ... شيء واحد فقط جعلته نصب عينيها ، اذ كانت حريصة على عدم ايذاء الابرياء وكان أولئـك الذين تقض مضاجعهم عملياتهم المثيرة في النصب والاحتيال ، من طينة الجشعين والمجردين من كل خلق ..

وقد بدأت الصحف تنشر مختلف القصص عن المغامرات الجريئة التي أخذت تحدث في كل أرجاء أوربا .. وبسبب استعانة تريسي بشتى أساليب التنكر والتخفي ، أصبح البوليس مقتنعا بأن عمليات الاحتيال والتدليس والسرقات التي كانت تتسم بالابتكار والتهـور هي من فعل عصابة من النساء ...

وبدأ البوليس الدولي « الانتربول » بتحرك ...

وفى هذا اجتمع رينولدز رئيس اتحاد شركات التامين فى نيويورك بالمحقق الداهية دانييل كوبر وقال له : ان عددا كبيرا من عملائنا الاوربيين أضيروا بهذه العمليات – التى يبدو انها من فعل عصابة من النساء ، حتى تعالى صراخهم فى كل مكان ، وهم يطالبون بالقبض على هذه العصابة .. وقد وافق « الانتربول » على التعاون معنا ... وهذه مهمتك يا دانييل ... عليك أن تسافر الى باريس فى الصباح ...

وفى مبنى مقر البوليس الجنائى الدولى « الانتربول » المكون من سبع طبقات على مسافة ستة اميال الى الغرب من باريس – عقد اجتماع حافل فى هذا الصباح الباكر من شهر مايو ، تحت رئاسة المفتش اندريه ترينيان ، وهو رجل جذاب مهيب فى منتصف الاربعينات من عمره ، تلوح عليه أمارات الذكاء والدهاء واضحة جلية ، وشهد الاجتماع مفتشون للبوليس من انجلترا وبلجيكا وفرنسا وايطاليا ..

وراح المفتش ترينيان يقول للحاضرين : ايها السادة – لقد تلقيت طلبات ملحة من كل من بلادكم لامدادها بمعلومات عن الجرائم المتهورة التى وقعت مؤخرا فى كل انحاء اوربا ... أن حوالى ست دول قد أصيبت بوباء من عمليات النصب والاحتيال والسطو المتسمة بالحذق والافتتان ، والقاسم المشترك فيها هو التشابه .. ان الضحايا كانوا دائما من غير ذوى السمعة المحمودة ، ولم يحدث فى اى منها شىء من العنف ، وكان الفاعل دائما امرأة ... وقد وصلنا الى الاقتناع باننا فى مواجهة عصابة دولية من النساء ... ولدينا الآن صور تقديرية قائمة على اساس الاوصاف التى ادلى بها الضحايا والشهود العابرون .. وكما ترون من هذه الصور ، فليست واحدة من النساء تشبه الاخرى .. فبعضهن شقراوات ، وبعضهن سمراوات ... وقد تفاوتت التقارير المقدمة عنهن ، بين انجليزيات ، وفرنسيات ، واسبانيات ، وايطاليات ، وامريكيات – او بالاحرى من ولاية تكساس .. هذا ، وليست لدينا فكرة عن شخصية زعيمة هذه العصابة ، ولا أين مقرها .. فانها لا تترك خلفها اية آثار مرشدة ، وهى تختفى مثل حلقات دخان ... ولسوف نقبض على احداهن عاجلا او آجلا ، وعندما نصل الى هذا ، فسنضع ايدينا عليهن جميعا .. وفى غضون ذلك أيها السادة ، والى أن

يوافينا احد منكم بمعلومات محددة ، فأخشى ان اقول اننا امام طريق مسدود ...

***

وعندما وصل دانييل كوبر محقق اتحاد شركات التامين الامريكية الى مقر « الانتربول » استقبله المفتش ترينيان بتحفظ ، وقال له : لابد لى أن ابلغك أن وضعك هنا غير عادى ... فانك لست من اية هيئة بوليسية ، ووجودك معنا أمر غير رسمى ... ومع ذلك فقد طلبت الينا ادارات البوليس فى عدة دول أوربية أن نمد يد التعاون ...

لم يقل دانييل كوبر شيئا ، فاستطرد المفتش ترينيان قائلا : لقد فهمت انك محقق لاتحاد شركات التامين ..

ـ أن بعض عملائنا الاوربيين قد منوا بخسائر فادحة مؤخرا .. وقد فهمت انه لا توجد دلائل ترشد الى أى شىء ..

فتنهد المفتش ترينيان قائلا : يؤسفنى أن أقول أن هـذه هى الحقيقة .. نحن نعرف أننا نتعامل مع عصابة من النساء البارعات الى حد كبير ، ولكن فيما عدا ذلك ...

ـ الا توجد معلومات من اى مرشدين ؟.. كلا ؟.. الا تلفت نظرك غرابة شىء كهذا ؟ ..

ـ ماذا تقصد ياسيدى ؟.

ـ عندما يتصل الامر بعصابة عاملة ، يكون هناك دائما شخص تكلم اكثر من اللازم ، وينفق أكثر من اللازم ، ويشرب اكثر من اللازم ... من المستحيل على اية جماعة كبيرة من الناس أن تبقى سرها طى الكتمان ... هلا تفضلت وزودتنى بتقاريركم عن هذه العصابة ؟...

هم المفتش ترينيان أول الامر أن يرفض ، فقد بدا له دانييل كوبر شخصية منفرة متعالية .. ومع ذلك فهو مطالب بالتعاون الكامل ... ولهذا قص على كره : سأطلب نسخ صور من التقارير وارسلها اليك فى الفندق ...

وعكف دانييل كوبر فى غرفة بالفندق فى باريس على دراسة التقارير التى بعث بها المفتش ترينيان .. وظل ساهرا حتى الرابعة صباحا يدرسها بامعان ، محللا هذا الخليط الكبير من عمليات السرقة والاحتيال ... وكان بعضها معروفا له ، ولكن بعضها كان

جديدا عليه ، وكان جميع الضحايا من غير ذوى السمعة الحميدة كما قال المفتش ترينيان ...

وقد استرعى نظره من هذه التقارير واحد عن حادث سرقة وقع فى بروكسل ، وفحواه أن مستر ڤان روزين السمسار البلجيكى فى البورصة تعرض لسرقة مجوهرات من خزانة فى الحائط قيمتها مليونا دولار ، وكان السمسار قد تورط فى عمليات مالية مشبوهة ... وبدا من تفاصيل الحادث الذى تم فى غيبة السمسار وروجته فى اجازة أن اللصوص ابطلوا نظام الانذار ، وعندما وصل رجال الشرطة تلقتهم لدى الباب امرأة ترتدى ثوب نوم شفافا ، وكان شعرها معقودا تحت قلنسوة ، ووجهها مكسوا بمعاجين التطرية . وقد زعمت لهم أنها ضيفة أصحاب البيت ، فتقبل رجال الشرطة قصتها ، وبعد أن تم اتصالهم بالاسرة للتحقق مما قيل لهم ، كانت المرأة والمجوهرات قد تبخرت ...

وهنا هز المحقق دانييل كوبر راسه هزة العارف الخبير ...

وعندما عاد الى الاجتماع بالمفتش ترينيان وافضى اليه بوجهة نظره قال له هذا متضجرا : انت مخطىء ... اقول لك انه يستحيل على امرأة واحدة أن تكون مسئولة عن كل هذه الجرائم ...

فقال كوبر : هناك وسيلة للتحقق من هذا ...

ــ كيف ؟ ..

ــ أود ان نستعين بالكمبيوتر فى صدد تواريخ واماكن عمليات السرقة والاحتيال التى تنطبق عليها هذه النوعية ...

ــ هذا سهل جدا ، لكن ...

ــ واود أيضا الحصول على تقارير ادارات الهجرة عن كل سائحة امريكية كانت موجودة فى تلك المدن ذاتها فى الاوقات التى ارتكبت فيها الجرائم ... من الجائز أن المرأة استخدمت جوازات سفر مزورة فى بعض الحالات ، ولكن من المرجح أنها استخدمت ايضا شخصيتها الحقيقية ...

اخلد المفتش ترينيان الى التامل برهة ... بيد انه لم يلبث ان تغلب على نفوره من هذا الضيف الثقيل ، وقال له : لا باس ... ساتخذ مايلزم فى هذا الشان ...

كانت عملية السرقة الاولى فى هذه السلسلة قد ارتكبت فى ستوكهولم ... وقد جاء تقرير فرع « الانتربول » فى السويد معددا

اسماء السائحات الامريكيات في ذلك الاسبوع ، وتم تزويد الكمبيوتر بهذه الاسماء ... وكانت المدينة الثانية التي طلبت منها التحريات هي ميلانو ... وعندما روجعت في الكمبيوتر اسماء السائحات الامريكيات في ميلانو وقت حادث السرقة هناك مع أسماء السائحات في ستوكهولم ، كانت القائمة تضم خمسة وخمسين اسما ... ثم اجريت مراجعة القائمة كلها مع اسماء السائحات الامريكيات في ايرلندا وقت حادث الاحتيال الذي وقع هناك ، فانخفض عدد الاسماء الى خمسة عشر ... وعندئذ قدم المفتش تريتيان الورقة المطبوعة الى دانييل كوبر قائلا : سابدأ بمراجعة هذه الاسماء مع اسماء حادث الاحتيال في برلين و ...

ولكن دانييل كوبر تطلع اليه قائلا : لا تتعب نفسك .

فقد كان الاسم المطبوع في أول القائمة هو تريسي هويتني ...

وبهذا الاساس المادي الذي يمكن الاستناد اليه في النهاية لمواصلة التحقيق ، شرع « الانتربول » في العمل ... وهكذا أعدت منشورات دورية حمراء ، ومعناها الاولوية القصوى ، وارسلت الى كل دولة عضو في منظمة البوليس الجنائي الدولية ، تخطرها بالبحث عن تريسي هويتني ...

وفي اليوم التالي كانت بين أيدي رجال « الانتربول » صور فوتوغرافية باللاسلكي من سجن النساء في ولاية لويزيانا الامريكية.

واتصل دانييل كوبر تليفونيا برئيسه رينولدز وأيقظه من نومه في الساعة الرابعة صباحا قائلا : اريد منك أن توافيني بكل شيء يمكنك ايجاده عن تريسي هويتني ، مثل قصاصات الصحف ، واشرطة الفيديو وغيرها ...

ولم يعبأ كوبر بعبارات السخط التي انهالت على راسه لايقاظ رئيسه من النوم في هذه الساعة ، ووضع السماعة ورينولدز يقول صاخبا : يوما ما سأقتل هذا الخنزير العديم الاحساس !..

الفصل الثالث والعشرون

اعتاد الكونت دي ماتيني أن يقيم حفلة « راقصة » خيرية سنوية في باريس ، السبت الاول من شهر يونيو لمساعدة مستشفى الاطفال وكانت تذاكر حضور الحفلة تعرض بألف دولار للتذكرة ،

وكان يؤمها صفوة المجتمع من كل أرجاء العالم ...
وكان قصر ماتيني ذاته القائم فى كاب دانتين من افخم القصور في فرنسا ، ويرجع تاريخه الى القرن الخامس عشر ... وفي مساء يوم الحفل الكبير كانت قاعة الرقص الكبرى والقاعة الصغرى تمتلآن بالضيوف فى أزيائهم الانيقة وبالخدم فى ملابسهم المزركشة وهم يقدمون كئوس الشمبانيا بلا توقف .. أما موائد البوفيه الممدودة فكانت معرضا لالوان المشهيات مصفوفة في صحاف من فضة ..
وكانت تريسي لبدو وهي تراقص الكونت دى ماتيني مضيفها في ابهى صورة وهي مرتدية فستانها الابيض المطرز بالدانتيلا وقد عقدت شعرها فوق رأسها تحت تاج من الماس . أما الكونت نفسه وهو أرمل في أواخر الستينات من عمره فهو نحيل أنيق دقيق التقاطيع في شحوب ... وكان صديقها جانترهارتوج قد قال لها فيما قال وهو يلقنها مايجب : « أن الحفل الخيري الذى يقيمه الكونت كل عام لصالح مستشفى الاطفال هو عملية نصب حقيقية ... فان عشرة في المائة فقط من الحصيلة تؤول الى المستشفى ، أما التسعون فى المائة فتدخل جيب الكونت » !..
وقال لها الكونت وهو يراقصها : انت راقصة رائعة !.
فابتسمت تريسى قائلة : الفضل فى ذلك لشريكى فى الرقص ..
ـ كيف تأتي أنك وانا لم نلتق من قبل ؟..
ـ لانني مقيمة فى امريكا الجنوبية . فى الغابات ..
ـ ولماذا بالله ؟!
ـ ان زوجى يمتلك عددا من المناجم فى البرازيل .
ـ آه ... وهل زوجك هنا هذه الليلة ؟.
ـ لا من سوء الحظ .. فهو مضطر للبقاء فى البرازيل للاشراف على أعماله ..
فقال الكونت وهو يحكم ذراعه حول خصرها : لسوء حظه هو ، ولحسن حظى أنا ! .. انني اتطلع الى أن نصبح صديقين حميمين ...
فغمغمت تريسى قائلة : وانا أيضا ...
ومن فوق منكب الكونت ، لمحت تريسى فجاة جيف ستيفنز ، تلوح عليه سمرة الشمس ويبدو في أتم صحة وحيوية .. وكان يراقص امرأة سمراء جميلة ممشوقة في فستان من « التافتا »

القرمزى تعلقت به مفتتنة ... وقد لمحها جيف بدوره وابتسم لها ...

جرت خواطر تريسى فى كآبة .. انه محق فى ابتسامته .. فخلال الاسبوعين الماضيين خططت تريسى بكل امكان لعمليتى سطو .. وقد اقتحمت البيت الاول وفتحت الخزانة ، غير أنها وجدتها خاوية .. فقد سبقها جيف اليها ... وفى المناسبة الثانية بينما كانت تريسى تتسلل بين حدائق القصر للوصول الى مكان الغنيمة اذ سمعت فجاة صوت سيارة تسرع بالابتعاد ، ولمحت بداخلها جيف .. هكذا هزمها مرة ثانية ... انه لانسان مثير للغيظ .. والآن هاهو ذا قد جاء الى القصر الذى خططت تريسى للسطو عليه !..

ولم يلبث جيف أن اقترب مع رفيقته من مكانها وهى تراقص الكونت ، وابتسم قائلا : مساء الخير ياكونت ...

فرد الكونت باسما : آه .. جيف ! .. مساء الخير ... يسرنى كثيرا انك تمكنت من الحضور ..

ـ ما كان يمكن أن تفوتنى هذه المناسبة الكبيرة .. أقدم لك صديقتى مس ولاس ... الكونت دى ماتينى ..

فقال الكونت مشيرا الى تريسى : تشرفنا .. يادوقة أ. أقدم لك مس ولاس ومستر جيف ستيفنز .. الدوقة دى لاروزا ...

فقال ستيفنز وهو يتفرس فى تريسى : دى لاروزا ... دى لاروزا ؟ يبدو أن الاسم مألوف جدا .. طبعا ، طبعا .. أنا اعرف زوجك .. هل هو موجود معك ؟ .

ـ انه فى البرازيل ..

فابتسم جيف ستيفنز قائلا : آه ... هذا مؤسف جدا .. كنا نخرج فى رحلات الصيد والقنص سويا ... قبل أن تحدث له تلك الحادثة طبعا ..

فقال الكونت : حادثة ؟ .

فاجاب جيف باستياء : نعم .. فقد طاشت رصاصة من بندقيته واصابته فى مكان حساس .. هل هناك أمل يا دوقة فى أن يكون طبيعيا كما كان ؟ ..

فاجابت تريسى على الفور : أنا متأكدة انه سيعود طبيعيا مثلك تماما يا مستر ستيفنز ...

ـ جميل .. وارجو ابلاغه صادق تحياتي عندما تتصلين به يا دوقة ..

وتوقفت الموسيقى ... فاعتـــذر الـكونت دي ماليني لتريسي لاضطراره للقيام ببعض واجبات الضيافة ، وضغط على يدهـــا واضاف : لا تنسي انك ستكونين على مائدتي وقت العشاء .

وما ان ابتعد الكونت حتى قال جيف لصديقته : يا ملاكي... معك اسبرين في حقيبة يدك .. فهل يمكنك ان تحضري لي قرصا، لشعوري بصداع شديد ؟ ...

فقالت وعيناها تلتهمانه افتتانا : مسكين يا حبيبي ... سأذهب واعود حالا يا معبودي ! ...

وقال جيف اثر ذهابها : كيف احوالك يا دوقة ؟ ..

فاجابت تريسي وهي تتكلف الابتسام مراعاة لمن حولها : ليس هذا من شأنك في الواقع ...

ـ الحقيقة انني في قلق شديد عليك مما يدعوني الى ان اقدم لك نصيحة مخلصة ... لا تحاولي سلب هذا القصر ...

ـ لماذا ؟ ... هل خططت لسلبه انت اولا ؟ ...

فتناول جيف ذراعها وتقدم بها الى ناحية غير مطروقة قـــرب البيانو حيث كان عازف شاب يذيب قلبه بالحان يرددها ، ولهـــذا لم يكن صوت جيف مسموعا الا في اذن تريسي وحدها وهو يرد قائلا : في الواقع انني كنت اخطط لعملية صغيرة ، لكنها شـــديدة الخطر ...

فقالت تريسي وقد بدا الحديث يطيب لها بعد هذا التصنع الذي استمر بينهما فترة : اتقول حقا ؟..

فأجاب جيف بلهجة انحازت الى الجد : استمعي الي ياتريسي .. لا تقومي بهذه المحاولة ... اولا لانك لن تشقي طريقك الى داخـــل القصر وانت حية ... فانهم يطلقون في الليل كلبا ضاريا يقتـــل الطارق في الحال ...

فجأة راحت تريسي تصغي باهتمام .. ان جيف يخطط فعـــلا للسطو على القصر ... بينما مضى يقول : ان كل نافذة وباب محصن بالاسلاك ... واجراس الانذار متصلة بمركز الشرطة مباشرة ... وحتى اذا افلحت فعلا في الدخول الى البيت ، فالمكان كله تتقاطع فيه خطوط الاشعة دون الحمراء غير المرئية .

ـ أنا اعرف كل هذا ..
ـ اذن يجب أن تعرفي ايضا أن الشعاع لا يطلق جرس الانذار عندما تخطين فيه ... انه يطلق الانذار عندما تجتازينه .. فهو يعمل بنظام تغير الحرارة ... فلا سبيل هناك لكى تمرى منه دون جعله ينطلق ...

انها لم تكن تعلم هذا ، فكيف عرف جيف ؟ .
ـ لماذا تقول لى كل هذا ؟..

فابتسم .. وبدا لها انه لم يكن قط باكثر من هذا جاذبية ، ورد عليها : انني في الحقيقة لا أريد أن يقبض عليك بادوقة ... انني احب أن أراك حولي ... الواقع ياتريسى انه يمكننا انت وانا أن نصبح أصدقاء حميمين ...

فردت بيقين : أنت مخطىء ... هاهي عزيزتك راجمة .. تمتع بوقتك ! .

وكانت مأدبة العشاء فاخرة ، كل دورة فيها مصحوبة بالانبذة الخاصة الملائمة لها ، يقدمها خدم بقفازات بيضاء .. وبعد القهوة والبراندى للرجال ، وزعت على السيدات قنانى بلورية انيقة من عطور فواحة ..

وقال الكونت دى ماليني لتريسي في نهاية المأدبة : قلت انك مشتاقة لمشاهدة بعض لوحاتي الفنية ... فهل تحبين ان تلقى عليها نظرة الآن ؟...

ـ هذا احب شيء عندي ..

كانت قاعة اللوحات الفنية متحفا فريدا حقا بما اجتمع فيه من لوحات كبار الفنانين العالميين مما يعد ثروة لا تقدر ، وقد راحت تريسى تتأملها طويلا مأخوذة بجمالها ، حتى قالت اخيرا : لعل هذه النفائس تحت حراسة قوية ..

فرد الكونت باسما : في ثلاث مناسبات حاول اللصوص الوصول الى كنوزى هذه .. فقتل احدهم بأنياب كلبى ، وشوهت معالم الثاني ، أما الثالث فكان نصيبه السجن المؤبد ... ان هذا القصر قلعة منيعة يادوقة ..

ولاحت أضواء بارقة في الخارج ، فقال لها الكونت : لقد بدأ عرض الالعاب النارية .. واظن أنها ستعجبك ...

وأخذ يدها الرقيقة الغضة فى يده اليابسة الناحلة وقادها الى

خارج قاعة اللوحات الفنية وهو يقول لها : انني مسافر الى دوفيل فى الصباح ، حيث امتلك فيللا على شاطىء البحر .. وقد دعوت مجموعة محدودة من الاصدقاء لقضاء عطلة نهاية الاسبوع القادمة ... فلعلها تروقك أ..

فقالت تريسى باسف : انا واثقة من هذا .. لكن اعتقد ان زوجي سيقلق ... وهو يصر على عودتي ...

واستمر عرض الالعاب النارية حوالى ساعة ، انتهزت تريسى خلالها فرصة الهرج السائد لاستطلاع وتفقد القصر .. فتبين لها ان ماقال جيف هو الحق ، وان عملية سطو ناجحة دونها المخاطر .. بيد انه من أجل هذا السبب ذاته كان تحدى الخطر باعثا على الاغراء الغلاب ... فهي تعرف أن غرفة نوم الكونت العليا تضم مجوهرات نفيسة قيمتها مليونا دولار ، وعدة لوحات لاساطين الفن منهم ليوناردو دافنشي ...

الفصل الرابع العشرون

فى الليلة التالية كان الطقس قارس البرد والسماء ملبدة بالسحب ولاحت أسوار قصر الكونت دي ماتيني العالية مكفهرة كالحة بينما وقفت تريسى فى الظلال مرتدية « أوفرول » اسود وحذاء مطاط النعل وقفازا أسود لونا ، وقد حملت حقيبة منكب ...

كانت قد قادت سيارة النقل المستأجرة بمحاذاة السور الحجرى فى الجانب الخلفى للقصر ... ومن الجانب الاخر للسور انبعثت زمجرة شرسة خافتة مالبثت أن تطورت الى نباح مسعور عندما وثب الكلب فى الهواء محاولا الهجوم بجسده القوى الثقيل وانيابه المبتة ..

وعندئذ نادت بصوت خفيض شخصا كان فى السيارة قائلة : الآن ! ...

فخرج من السيارة رجل قصير متوسط العمر فى رداء أسود مثلها حاملا كيسا على ظهره به انثى كلب من نوع « الدوبرمان » .. كان احضار الكلبة فى أوانه ، ومالبث النباح الصادر من الجانب الآخر للسور أن تغير فجأة من الشراسة الى الحمحمة المنفعلة ..

وتولت تريسى مساعدة الرجل فى رفع الكلبة الى أعلى السيارة

التي كانت في مستوى ارتفاع السور ، وهمست : واحد .. اثنان ثلاثة ! ...

ودفعا الكلبة من فوق السور الى داخلية القصر ... فانبعثت بعتان حادتان ، اعقبتهما سلسلة همهمة وشمشمة ، ثم صوت جري كلبين ... وبعد هذا ساد سكون تام .. فالتفتت تريسي الى شريكها وقالت : هيا بنا ...

أوما لويس جان برأسه ... لقد وجدته في انتيب .. كان لصا امضى معظم حياته في السجن ... وهو لم يكن معدودا من الأذكياء، لكنه كان عبقريا في معالجة الاقفال ونظم الانذار ، مؤهلا تماما لهذه العملية ...

وخطت تريسي من فوق السيارة الى أعلى السور . وبسطت سلما من الحبال وشبكت طرفه المعقوف في الحائط .. ثم هبط الاثنان من السلم الى الحشائش من تحت ... وبدا القصر مختلفا تماما عما كان يبدو في الليلة الفائتة ، عندما كان متلألئا بالانوار ومكتظا بالضيوف الضاحكين .. كان كل شيء الآن مظلما ومتجهما ..

ومشى جان لويس في أثر تريسي وهو على تمام الحذر من كلبي « الدوبرمان » ... وكان القصر مكسوا بطبقات كثيفة من اللبلاب المتراكم على مدى القرون متعلقا فوق الجدران حتى السقف ... وكانت تريسي قد اختبرت متانته عرضا في الليلة السابقة .. فبدأت في التسلق وهي تنظر الى الارض من تحتها ، فوجدته يحتمل ثقلها ... وحتى الآن لم يبد أي أثر للكلبين ، فجعلت تدعو في سرها أن يظلا مشغولين أطول فترة ممكنة ...

وعندما وصلت تريسي الى سطح المنزل أشارت الى جان لويس وانتظرت حتى صعد الى جانبها ... وفي خيط ضئيل من ضوء البطارية التي أنارتها شاهدا منورا زجاجيا ، موصدا باحكام من تحت ... ووقفت تراقب جان لويس وهو يخرج من كيسه قاطعة زجاج لم تستغرق منه أكثر من دقيقة لرفع زجاج المنور ...

ولما نظرت تريسي الى أسفل رأت ان طريقهما مسدود بشبكة عنكبوتية من أسلاك الانذار ، فقالت لصاحبها همسا : أيمكنك يا جان معالجة هذه الاسلاك ؟ .

ـ بامكاني هذا ... ليست مشكلة ...

واخرج من الكيس قطعة سلك بطول قدم بها عازل في كل من

طرفيها .. وبكل حذر اخذ يتلمس بداية سلك الانذار ، ففصله . واوصل السلك العازل بطرف الانذار ... ثم اخرج زردية وقطع سلك الانذار بحذر ... وكانت تريسي تراقب هذا وهي متوترة ، متوقعة أن ينطلق الانذار ، لكن ظل كل شيء هادئا .. وتطلع اليها جان لويس باسما وقال : انتهينا ! ..

واستخدما سلم حبال آخر للهبوط في المنور .. واستطاعا أن يصلا بسلام الى الغرفة العلوية ... ولكن عندما فكرت فيماهو آت بعد ذلك بدا قلبها يدق ...

ثم اخرجت نظارتين عدساتهما حمراء قدمت احداهما لجان لويس وطالبت أن يضعها فوق عينيه ... لقد دبرت وسيلة لصرف انتباه كلب الدوبرمان الوحشي عنهما ، ولكن الانذار المتسبب عن الاشعة دون الحمراء غير المرئية هو مشكلة أعوص ، خصوصا والاشعة متداخلة متشابكة ... وقد ظلت تريسي تفكر وقتا طويلا طول ليلها في التماس الحل ، الى أن اهتدت اليه في بكرة الصباح ...

هكذا وضعت نظارتها ذات الاشعة دون الحمراء فوق عينيها ، وفي لحظة خاطفة اكتسى كل شيء في الغرفة بوهج أحمر مرعب .. وأبصرت تريسي امام باب الغرفة شعاعا من الضوء كان ممكنا الا تراه العين بدون النظارة ... وقالت لجان لويس محذرة : تسلل من تحته ...

وزحفا من تحت الشعاع وافضيا الى ردهة مظلمة مؤدية الى غرفة نوم الكونت .. فأضاءت تريسي البطارية وتقدمت صاحبها .. ومن خلال نظارة الاشعة دون الحمراء استطاعت أن تبصر شعاعا آخر ، ولكنه كان هذه المرة واطئا بعرض مدخل غرفة النوم ... فقفزت من فوقه بكل حذر ، وفي أثرها جان لويس ...

وراحت تريسي تدير ضوء البطارية حول الجدران ، فاذا أمامها اللوحات الفنية النفيسة ماثلة ، اخاذة ومبهرة ... عندئذ تذكرت ماقاله جانتر هارتوج لها : عديني ان تأتيني بلوحة ليوناردو دافنشي وبالمجوهرات طبعا ! ...

هكذا أنزلت تريسي اللوحة وأدارتها ووضعتها على الأرض ، وبحرص شديد نزعت الرسم من الاطار وطوته ثم وضعته في حقيبة ... ولم يبق الآن سوى الوصول الى الخزانة التي كانت قائمة في حيز جانبي مستور في اقصى غرفة النوم ..

فتحت تريسي الستائر ... فاذا اربعة خيوط من الاشعة دون الحمراء قد تقاطعت في الحيز من الارض الى السقف ، وكان من المستحيل الوصول الى الخزانة دون اقتحام واحد منها ...

راح جان لويس يحدق في الاشعة مرتاعا ، قائلا : ياالله الرحمة ! لا يمكننا المرور من بين هذه الاشعة ... انها أوطأ من أن نزحف من تحتها ، واعلى من ان نقفز من فوقها !..

فردت تريسي قائلة : اريد منك فقط أن تفعل بالضبط ما أقوله لك ...

وانثنت وجاءت خلف ظهره وطوقت خصره بذراعيها في أحكام ، وقالت : الآن ، سر معي ... القدم اليسرى أولا ...

وتقدما خطوة نحو الاشعة ، ثم خطوة أخرى .. فقال جان لويس لاهثا : مهلا !.. اننا ندخل في نطاق الاشعة !..

ـ بالضبط ...

وتحركا الى قلب الاشعة تماما ، ثم توقفت تريسي وقالت له : الآن اصغ الى بدقة ... اريد منك ان تتقدم الى الخزانة ..

ـ لكن الاشعة ! ..

ـ لا تقلق .. سيكون كل شيء على مايرام .

وذهبت تدعو في سرها أن يتحقق هذا !..

وبعد تردد اخذ جان لويس يخطو الى خارج نطاق الاشعة دون الحمراء ... فاذا كل شيء ساكن هادىء ... فنظر من خلفه الى تريسي بعينين فزعتين ، فرآها واقفة في وسط الاشعة ، لان الحرارة المنبعثة من جسدها منعت « المستشعر الحرارى » من اطلاق الانذار ، اذ أن هذا المستشعر يكتشف الفرق الحرارى عند دخول أحد فيه ، فينطلق الانذار فورا ، وهو مالم يحدث بوجود تريسي في قلب الاشعة ... وهكذا هرول جان لويس الى ناحية الخزانة ... ووقفت تريسي جامدة متصلبة وهى تدرك انه لحظة أن تتحرك ، فلسوف ينطلق الانذار ...

ومن طرف احدى عينيها كانت تلمح جان لويس وهو يخرج بعض العدد من كيسه ويبدأ عمليته في قرص الخزانة الدائر .. وظلت تريسي جامدة لا تبدى أدنى حراك وهى تأخذ انفاسا بطيئة عميقة وبدا كأن القرص توقف ، وكأن جان لويس يستغرق دهرا في عمليته . وبدأت سمانة ساقها اليسرى تؤلمها ، ثم اخذت تلتوى فلم تستطع

الا أن تضغط على أسنانها دون أن تجسر على التحرك قيد أنملة ..
وبرغمها همست : الى متى ؟ ...
ــ عشر ، أو خمسة عشر دقيقة .
لقد خيل الى تريسي أنها ظلت واقفة عمرا مديدا ... وبدات عضلات ساقتها اليسرى تتقلص ألما حتى شعرت كأنما توشك أن تصرخ توجعا ... لقد سمرت في موضعها في وسط الاشعة ، مشلولة ... وأخيرا سمعت طقطقة .. وفتحت الخزانة . وسمعت جان لويس يهتف : رائع ! .. هذا البنك بما فيه ! . هل تريدين كل شيء ؟ ..
ــ لا أوراق بالمرة .. المجوهرات فقط .. كل مايوجد من نقود هو لك ..
ــ شكرا ...
وسمعته تريسي وهو يقلب فيما بداخل الخزانة ، وبعد فترة قصيرة عاد اليها وقال : هائل ! .. لكن كيف نخرج من هنا دون أن نكسر الشعاع ؟..
فقالت له : لن نفعل هذا ...
فقال محملقا : ماذا ؟..
ــ قف أمامي ...
ــ لكن ...
ــ افعل ما أقول لك ...
فخطا جان لويس الى داخل الشعاع مرتعبا .. وحبست تريسي انفاسها ... فلم يحدث شيء ... فقالت : حسنا ... والآن ، سنعود أدراجنا ، بكل بطء ، الى خارج الغرفة :
فقال جان لويس وعيناه تكادان تجحظان خلف النظارة : وبعد ذلك ؟ ..
ــ بعد ذلك ياصديقي ، سنجري بكل قوة ...
وأخذا يتراجعان بظهرهما نحو الستائر بوصة بوصة ، الى حيث تبدأ الاشعة ... وعندما وصلا اليها أخذت تريسي نفسا عميقا وقالت : حسنا ... عندما أقول : « الآن » ، نخرج بنفس الكيفية التي دخلنا بها ...

ابتلع جان لويس ريقه واوما برأسه ... وكان بوسعها أن تشعر بجسده الضئيل وهو يرتعد ...

ـ الآن ! ..

وانثنت تريسي مستديرة وركضت الى الباب ، وجان لويس في اثرها .. وفي اللحظة التي خرجا فيهـا من نطـاق الاشعة ، انطلق الانذار ...

اسرعت تريسي الى غرفة السطح وتسلقت سلم الحبال وكان لويس في أعقابها ... وركضا فوق السطح ركضا ثم هبطا ممسكين بجدائل اللبلاب ، وبعدها أسرعا في اتجاه السور حيث كان السلم الثاني في انتظارهما ... ولم تمض لحظات حتى وصلا الى أعلى سيارة النقل ثم هبطا اليها حيث وثبت تريسي الى مقعد القيادة وجان لويس بجانبها ...

وبينما كانت السيارة تسرع في الطريق الجانبي ، لمحت تريسي هيكل سيارة ذات مقعدين واقفة بين الاشجار .. وعندما أضاءت انوار سيارة النقل الامامية داخل السيارة الواقفة مدى لحظـة ، لمحت تريسي ـ جيف ستيفنز جالسا الى عجلة القيادة ، وبجانبه كلب « دوبرمان » كبير ... فلم تتمالك أن ضحكت عاليا وأرسلت الى جيف قبلة في الهواء وسيارتهما تسابق الريح ...

وعلى البعد سمع عويل « سارينات » البوليس تقترب ...

الفصل الخامس والعشرون

يعتبر فندق ريتز في العاصمة الاسبانية مدريد أفضل الفنادق في اسبانيا ، وعلى مدار أكثر من قرن من الزمان استضـاف الفندق العديدين من حكام أوربا ملوكا ورؤساء ودكتاتورين وأصحاب بلايين ولطالما سمعت تريسي عن شهرة الفندق الدائمة ، فلم تلبث أن خابت ظنونها عندما حلت به فعلا ، اذ بدت ردهته الكبرى باهتة ورثة ... ومهما يكن فقد رافقها المدير المساعد الى الجناح الذي امرت بحجزه في الطرف الجنوبي للفندق ، مطلا على متحف برادو الشهير ... وقال لها : ارجو ان يعجبك هـــذا الجنـاح يامس هويتني ...

فتقدمت تريسى الى النافذة ونظرت منها .. كان متحف برادو امامها مباشرة ، فى الجانب الآخر للميدان ، فقالت للرجل : هذا مكن لطيف ، شكرا ...

كان الجناح مليئا بالاصوات الزاعقة من ضجيج حركة المـــرور الكثيفة فى الشوارع المحيطة بالفندق ، ولكن كانت له ميزة الاطلال على المتحف ، وهو غايتها من الحضور الى العاصمة الاسبانية ..

كان جانتر هارتوج قد اجتمع بها قبل ذلك وقال لها : عنـدى لك مهمة دقيقة ... هناك زبون ثرى متلهف لاقتناء لوحة فنية معينة ، هى اللوحة المعروفة باسم « الميناء » للرسام الشهير جويا وهو على استعداد لدفع نصف مليون دولار نقدا لاى شخص يمكنه الحصول عليها ، هذا غير عمولتى ..

ففكرت تريسى برهة ثم قالت : وهل هناك آخرون يقـــومون بالمحاولة ؟ ..

ـ بصراحة ، نعم .. وفى رايى أن فرص النجاح محدودة .

ـ وأين اللوحة ؟ ..

ـ فى متحف برادو بمدريد ..

ـ متحف برادو ؟! ..

قالت هذا وكان اول خاطر يرق فى ذهنها هو : الاستحالة ... فقال لها : ان هذه العملية تتطلب قدرا كبيرا من الابتكار والحذق .. ومن أجل هذا فكرت فيك أنت ياتريسى ..

فردت قائلة : هذا اطراء منك ... قلت نصف مليون دولار ؟ ..

ـ نقدا وفورا ..

ولقد طلبت تريسى عشاء خفيفا فى غرفتها بالفندق هذه الليلة الاولى وأوت الى فراشها مبكرة ...

وعند منتصف الليل قام المخبر السرى الذى كان مكلفا بالمراقبة فى ردهة الفندق وسلم المهمة الى زميله قائلا : انها لم تبارح غرفتها واظن أنها سوف تلزمها بقية الليل ..

ففى اليوم السابق تلقى سانتياجو رأميرو مدير الأمن العـام فى مدريد برقية عاجلة من ادارة « الانتربول » يخطره بقـرب وصـــول تريسى هويتنى ... وقد قرأ الرجل الفقرة الاخيرة من البرقيـــة مرتين ، ثم اتصل تليفونيا بالمفتش اندريه ترينيان مدير البوليس الجنائى الدولى قائلا : آننى لا افهم رسالتكم ... أنتم تطلبون منى

ان اقدم المعاونة الكاملة لرجل امريكي ليس حتى من رجال البوليس فلأى سبب ؟ ..

ــ ياقومندان ... اظن انك ستجد مستر دانييل كوبر نافعا جدا . فهو يعرف مس تريسى هويتنى ويفهمها ..

فرد مدير الامن الاسبانى قائلا : وما الذى يتطلب المعرفة والفهم ؟ .. انها مجرمة .. وقد تكون بارعة ... لكن السجون الاسبانية مملوءة بالمجرمين البارعين ! .. وهذه المذكورة لن تفلت من شباكنا ! ...

ــ جميل ... وسوف تتشاور مع مستر كوبر ؟.

فقال مدير الامن في غضاضة : لا مانع عندى ..

ــ شكرا ياسيدى .

ــ العفو ياسنيور ...

كان القومندان ، راميرو ، مثل نظيره في باريس ، لا يعشق الامريكيين لما يراه فيهم من الجفوة والمادية والسذاجة ، ولكنه قال لنفسه لعل هذا القادم قد يختلف عن أبناء جلدته ، وربما ملت اليه ...

بيد انه كره دانييل كوبر من اول نظرة ...

قال له كوبر لدى دخوله الى مكتبه : انها غلبت نصف قوات البوليس فى أوربا .. والمرجح أنها ستفعل المثل معكم ...

وبجهد جهيد تمالك « القومندان » أعصابه ، وقال : ياسنيور .. لسنا بحاجة الى أى كائن لتعريفنا بواجبنا ... ان السنيوريتاهويتنى وضعت تحت المراقبة منذ لحظة وصولها الى مطار العاصمة ... وأؤكد لك انه حتى لو وقع فى الشارع اى دبوس والتقطته مس هويتنى ، لزج بها فى السجن ... انها لم تعرف من قبل ماهو البوليس الاسبانى ...

ــ انها لم تحضر الى هنا لالتقاط دبوس !..

ــ ولماذا تظن انها جاءت الى هنا ؟..

ــ لست متأكدا ... يمكننى فقط أن اقول أنها جاءت لشيء كبير ...

فقال مدير الامن منتفشا : كلما كبر كان احسن ... سوف نراقب حركاتها وسكناتها !..

وعندما استيقظت تريسي في الصباح بعد ليلة مؤرقة طلبت

قطارا خفيفا وقهوة سوداء ، ثم تقدمت الى النافذة المطلة على متحف برادو ... كان المبنى أشبه بقلعة مهيبة ، شيد بالاحجار والقرميد الاحمر ، وحفت به الاعشاب والاشجار ، وقام عن جانبيه عمودان منقوشان ، وسلالم مزدوجة تؤدى الى المدخل الامامى .. وعند مستوى الشارع كان ثمة مدخلان جانبيان ... وكان تلامذة المدارس والسياح من شتى الاقطار يصطفون أمام المتحف انتظارا لفتح ابوابه فى العاشرة صباحا ... وفى هذا الموعد كان الحراس يفتحون بابى المدخلين الكبيرين الاماميين ويبدأ الزائرون يتحركون من خلال الباب الدوار فى الوسط ومن المدخلين الجانبيين عند مستوى الشارع ...

وفجأة رن جرس التليفون حتى انتفضت تريسى ... فلم يكن أحد يعرف بوجودها فى مدريد سوى جانترهارتوج ... وقد رفعت السماعة وقالت : آلو ؟.. فسمعت صوتا معهودا يقول لها : نهارك سعيد ياسنيوريتا ... اننى اتكلم بالنيابة عن الغرفة التجارية فى مدريد ، وقد طلبوا منى أن افعل كل مافى وسعى للتأكد من انك ستقضين وقتا حافلا فى مدينتنا ...

— كيف عرفت اننى فى مدريد ياجيف ؟..

— ياسنيوريتا ، ان الغرفة التجارية تعرف كل شىء ... هل هذه أول زيارة لك هنا ؟..

— نعم ..

— جميل ... اذن فبامكانى ان افرجك على بعض الأماكن .. الى متى تنوين أن تبقي هنا ياتريسى ؟..

فأجابت بخفة : المدة الكافية للشراء من المحلات والفرجة السياحية ... وماذا تفعل أنت فى مدريد ؟..

فأجاب بمثل لهجتها : نفس الشىء ... الشراء من المحلات والفرجة السياحية .

لم تؤمن تريسى بالمصادفات .. ان جيف ستيفنز جاء الى هنا لنفس السبب الذى جاءت من أجله : لسرقة لوحة « الميناء » للرسام جويا ...

ثم سألها : هل أنت خالية لتناول العشاء ؟..

فردت بجرأة : نعم ...

— بديع .. سأحجز مائدة فى مطعم جوكى .

ومن الحق أن تريسي لم تكن لديها أوهام خادعة حيال جيف ، ولكنها عندما خرجت من المصعد الى الردهة وشاهدته واقفا هناك في انتظارها ، شعرت على عكس المعقول بسرور لرؤيته ... وقال وهو يتناول يدها في يده : يا للروعة ! .. كم انت فاتنة بهذه الاناقة ! ..

وكان دانييل كوبر الجالس الى مائدة صغيرة في ركن الردهة وأمامه زجاجة شراب خفيف يراقب تريسي وهي تحيي رفيقها ، فزاد هذا من اصراره على اقتناصها في المرة القادمة ، رغم افلاتها من يده حتى الآن ...

وفي مطعم جوكي الصغير الانيق قال لها جيف : الطعام هنا فاخر ...

لقد بدا لها جيف الآن وسيما بصفة خاصة ... وقد آنست في نفسيته انفعالا داخليا يضاهي انفعالها ، وعرفت السبب .. فكلاهما ينافس الآخر ، مباريا بذكائه ذكاء الآخر ، في لعبة مغانمها كبيرة .. ومن ثم قالت تريسي لنفسها : لكنني سأفوز عليه .. سأتوصل الى طريقة لسرقة تلك اللوحة الفنية من متحف برادو قبل أن يسرقها هو ! ...

وسمعته يقول لها : هناك شائعة غريبة هنا .

فركزت اهتمامها عليه قائلة : أي نوع من الشائعات هي ؟..

ــ هل سمعت مرة عن دانييل كوبر ؟ .. هو محقق في اتحاد شركات التأمين ، آية في الدهاء ..

ــ لا .. وماذا عنه ؟..

ــ كوني على حذر .. هو رجل خطير .. لا أرضى أن يحدث لك شيء .

ــ لا تشغل بالك ..

ــ لكن بالي انشغل فعلا ياتريسي ...

فضحكت قائلة : من أجلي ؟ . لماذا ؟..

فوضع يده على يدها وأجاب بخفة : ان لك منزلة خاصة عندي ... والحياة تكون أكثر امتاعا وانت من حولي ، ياحبي !..

قالت تريسي لنفسها : كم يبدو مقنعا ... ولو لم أكن أعرف حقيقته ، لصدقته .

وبصوت مسموع قالت له : لنطلب العشاء .. انا ميتـــة من الجوع ! ...

وفى الايام التالية راح جيف وتريسى يطوفان بارجاء مدريد .. غير انهما لم يكونا وحدهما فى أى وقت ، اذ كان يتبعهما على الدوام اثنان من رجال الامن التابعين لراميرو ، يصحبهما الامريكى دانييل كوبر ، الذى سمح له مدير الامن أن يكون جزءا من قوة المراقبـة لسبب بسيط هو أن يزيده جنونا ... انه مقتنع الى حد الهوس بأن المدعوة تريسى هويتنى تدبر لسرقة كنز ثمين من تحت أنوف الشرطة الاسبانية !.. فيا للسخف ! ..

هكذا راح دانييل كوبر يتبعهمـا كظلهما مع المخبرين السريين ، متسائلا فى نفسه عن دور جيف ستيفنز فى الدراما التى يتفـرج عليها ... فمن يكون هذا الرجل ؟.. ضحية تريسى التالية .. أم انهما يدبران معا لشىء ؟ ..

وعندما فاتح كوبر مدير الامن عن جيف ستيفنز طالبا معلومات بصدده ، أجابه قائلا : لا شىء عندنا بخصوصه .. ليس له سجل جنائى وهو مسجل هنا كسائح ... واظنه مجرد رفيق لها التقطته فى طريقها ..

بيد أن غريزة كوبر حدثته بالعكس ، ومع ذلك فليس جيف ستيفنز هو الذى يطارده ... انما كانت طريدته هى تريسى هويتنى ... ولسوف يضع يده عليها عاجلا أو آجلا ، كما اسر لنفسه !..

وعندما عادت تريسى وجيف الى فندق ريتز فى ختام ســهرة متاخرة ، صحبها جيف الى باب جناحها قائلا : لماذا لا ادخل للمسامرة بعض الوقت ؟ ..

شعرت تريسى بميل الى الموافقة ، بيد أنها مالت نحوه ووضعت قبلة خفيفة على خده قائلة : فكر فى كأخت لك ياجيف ..

واغلقت الباب دونه ..

لقد ظلت يقظى شطرا طويلا من الليل وفكرها ملىء بخواطـر لاحق لها فى التفكير فيها ... فقد مضى عهد مديد منذ أن ارتبطت برباط عاطفى مع رجل .. ان تشارلز قد جرحها جرحا عميقا ، ولم تعد لها قابلية لكى تتلقى جرحا جديدا ... ان جيف ستيفنز رفيق لطيف جذاب ، غير انها كانت تعرف أنه ماينبغى لها أن تسمح له

بان يكون اكثر من هذا ... من السهل أن تدع نفسها تقع في حبه .. لكنها حماقة .. وهزل .. ثم دمار .
ولم يأخذ النوم بمعاقد اجفانها الا بعد لاى ..

الفصل السادس والعشرون

في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي كانت تريسى واقفة في الصف الطويل عند مدخل متحف برادو ... وعندما فتحت الابواب تولى احد الحراس في زيه الرسمي تشغيل الباب الدوار الذي يسمح بدخول زائر واحد بعد الآخر .. وقد اشترت تريسى تذكرة وتحركت مع الجمهور الداخل الى القاعة المستديرة .. وكان دانييل كوبر والمخبر السرى يسيران خلفها عن مبعدة ، وبدأ كوبر يخامره انفعال متزايد ـ لقد أصبح موقنا أن تريسى هويتني لم تجيء كزائرة ... ومهما يكن من أمر الخطة التي تدبرها ، فهذه هي بدايتها ...

وراحت تريسى تتقدم الهوينا من قاعة الى قاعة امتلأت كلها بلوحات من مشاهير الفنانين ... اما لوحات جويا فكانت قائمة في معرض خاص في الطابق الارضي ..

ولاحظت تريسى أن حارسا رسميا كان يقف في مدخل كل قاعة ، وعن كثب منه زر أحمر انذاري ... فعلمت أنه في اللحظة التي ينطلق فيها الانذار ، تقفل كافة مداخل ومخارج المتحف باحكام ، ولا تبقى اى فرصة للهرب ..

وشاهدت في عديد القاعات فنانين قد نصبوا مراسمهم وانهمكوا بكل جهد في نقل رسوم مشاهير الفنانين ، طبقا لما يسمح به المتحف ، غير أن تريسى لاحظت أن الحراس كانوا يراقبون عن كثب تلك اللوحات المقلدة ...

وبعد أن اتمت تريسى طوافها في الطابق الرئيسى ، هبطت في السلالم الى الطابق الارضي ، حيث يوجد معرض لوحات فرنسيسكو دى جويا ..

وقد بدا لتريسى أن معرض جويا تحت حراسة اشد من غيره ، وهو اهل لهذا حقا ، بما ضم من روائع اللوحات العالمية .. وأخيرا توقفت عند لوحة « الميناء » تحدق فيها مبهورة مأخوذة وقد بدا

قلبها يدق ... وقع نظرها فى امامية الرسم الزيتى على مجموعة من الرجال والنساء فى ملابس جميلة واقفين امام سور حجرى ، وفى الخلفية ظهرت ، من خلال ظلالة نورانية ، قوارب صيد فى ميناء ومنارة بعيدة ... وكانت اللوحة ممهورة بتوقيع جويا فى الزاوية اليسارية السفلى ..

ذلك هو الهدف المطلوب ! ... ومكافاته نصف مليون دولار !.

راحت تراسى تدير النظر حولها .. رات حارسا يقف عند المدخل ... ومن بعده فى الممشى الطويل المؤدى الى القاعات الاخرى حراس آخرون .. وقد وقفت مكانها طويلا تحدق على لوحة «الميناء» وعندما همت بالابتعاد لمحت جمعا من السائحين يهبطون فى السلالم ... وكان فى وسطهم جيف ستيفنز . وسرعان ما اشاحت تريسى براسها وهرولت مبتعدة من المدخل الجانبى قبل أن يتمكن من رؤيتها .

لسوف يكون الامر سباقا بينهما ، ولسوف تكسب هى السباق ، كما ناجت نفسها ...

قال دانييل كوبر لمدير الامن الاسبانى : انها تدبر لسرقة لوحة من المتحف ..

فنظر راميرو الى كوبر غير مصدقة ، قائلا : هراء ! .. لا يستطيع انسان أن يسرق لوحة من متحف برادو !..

فقال كوبر باصرار وعناد : انها كانت هناك طوال الصباح ..

ـ لم تحدث قط سرقة فى متحف برادو ، ولن تحدث ابدا ... وهل تعرف السبب ؟ . لان هذا مستحيل ...

ـ انها لن تمارس الطرق العادية .. لابد أن تعمل على وقاية منافذ المتحف ، فى حالة هجوم بالغازات ... واذا كان الحراس يشربون القهوة اثناء الحراسة ، فلتراقب الجهة التى يأخذونها منها ، وهل يمكن دس مخدر فيها ؟.. وافحص ايضا مياه الشرب ..

هكذا طفح الكيل لدى راميرو ، ولم يعد فى قوس الصبر منزع امام هذا « الامريكى القبيح » الذى جاوز كافة الحدود وجاء الآن يلقنه ما يفعل وما يدع ... ولذا قال : فى رايى أن هذه السيدة جاءت الى مدريد فى اجازة وسآمر بوقف المراقبة ...

ونهض مدير الامن منتفضا واردف : والآن ارجو الا تفرض نفسك

على ، واذا لم يكن ماتقوله غير هذا ، فانني رجل مشغول جدا ..
فوقف كوبر، وقال شاعرا باحباط بالغ : اذن ساستمر في المراقبة وحدى
فقال مدير الامن باسما : لكي تجعل متحف برادو في امان من خطر هذه المراة الداهم ؟.. بالطبع ياسنيور كوبر .. بوسعي الآن ان انام ليلا ! ..

الفصل السابع العشرون

عادت تريسي الى متحف برادو في اليوم التالى .. لم تجد شيئا قد تغير باستثناء وجوه الزائرين ... وجعلت تريسي تبحث بين الجميع فلم تجد اثرا لجيف ستيفنز .. قالت لنفسها : لابد انه وضع خطته لسرقة لوحة جويا ... ابن اللئام هذا ! .. ان كل هذه الرقة وهذا التلطف اللذين طالعهما بهما لم يكون أكثر من ذر الرماد في عينيها وتشتيت فكرها لمنعها من الاستيلاء على اللوحة أولا !..
غير انها كظمت غيظها ولاذت بالمنطق الهادىء البارد ...
ثم يممت تريسي شطر لوحة « الميناء » مرة أخرى وسرحت بعينيها بين اللوحات القريبة ، والحراس المتيقظين ، والرسامين الهواة جالسين على مقاعدهم الصغيرة أمام مراسمهم ، والجماهير المتقاطرة دخولا وخروجا .. وفجاة خفق قلبها ... وقالت لنفسها : عرفت الآن كيف اتم العملية !..
وخرجت الى كشك تليفون عمومى قريب حيث اتصلت بجانتر هارتوج وتبادلت معه حديثا قالت في ختامه : لابد ان تتاكد ياجانتر انه سيعمل بسرعة .. لن يكون امامه الا حوالى دقيقتين .. ان كل شيء يتوقف على السرعة ..

***

بعد يومين كانت تريسي جالسة فوق مقعد بحدائق رتيرو الجميلة التى تتوسط مدريد ، منهمكة في اطعام الحمام ...
وبعد فترة مر سيزار بوريتا وهو رجل مسن اشيب الشعر محدب الظهر قليلا في المشي ، وعندما وصل الى المقعد جلس بجانب تريسي ، ثم فتح كيسا من الورق وراح ينثر فتات الخبز الى

الطيور .. وقال لها : صباح الخير ... فردت قائلة : صباح الخير .. هل وجدت اي مشكلة ؟.

ـ لا توجد اية مشكلة ياسنيوريتا .. كل ما احتاج اليه هو الوقت والتاريخ ..

فقالت تريسى : لم يصل هذا الى علمى .. تقريبا ..

فابتسم عن أسنان ذاهبة وقال : ان البوليس سوف يفقد عقله .. مامن أحد قام بمثل هذه المحاولة من قبل !..

فقالت تريسى : وهذا هو السبب في انها ستنجح .. سوف تسمع منى ...

وطوحت بآخر الفتات للحمام ونهضت وسارت مبتعدة وثوبها الحريرى يتماوج جذابا حول ساقيها ..

وفى صباح اليوم التالى عندما غادرت تريسى فندق ريتز لم تكف دانيل كوبر عن متابعتها دون أن تبصره .. وظل يراقبها وهى ترتاد المحال وتتفرج على المعروضات فى واجهاتها ... وعندما دخلت الى متجر كبير رآها تكلم احدى العاملات ، ثم تتجه الى « تواليت » السيدات ، فلم يملك الا أن يقف قرب الباب محبطا .. فهذا هو المكان الوحيد الذى لا يستطيع اقتحامه ... ولو تهيأ له ان يدخل لشاهد تريسى تكلم امرأة متوسطة العمر شديدة البدانة ، اذ قالت لها وهى تضع الاحمر على شفتيها أمام مرآة : باكر صباحا الساعة الحادية عشرة ..

فهزت المرأة رأسها قائلة : لا ياسنيوريتا ... انه لن يحب هذا . لا يمكنك أن تختارى أسوأ من هذا اليوم ... غدا سيصل أمير لكسمبورج فى زيارة رسمية ، وقد ذكرت الصحف انه سيقوم بجولة فى متحف برادو ... وسوف يوضع قوات اضافية من الحراس والبوليس فى كل انحاء المتحف ..

ـ البركة فى الكثرة ! ..

وخرجت تريسى من الباب والمرأة البدينة تتمتم متحيرة ...

***

كان المقرر أن يصل الموكب الملكى الى متحف برادو فى تمام الحادية عشرة صباحا ، وقد غصت الشوارع حول المتحف برجال الحرس الوطنى ... ولكن بسبب تأخير فى الحفل الذى اقيم فى القصر الرئاسى ، لم يصل الموكب الا حوالى الظهر .. وأخيرا دوت

فى الجو أصوات « السارينات » عندما لاحت موتوسيكلات البوليس الراكب للأنظار وهى تتقدم موكبا قوامه ست سيارات ليموزين سوداء حتى السلالم الامامية للمتحف ...

وعند المدخل كان مدير المتحف كريستيان ماخادا ينتظر فى توتر وصول سمو الزائر الكبير .. لقد قام فى الصباح بتفقد كل شىء ، والتنبيه على الحراس بأن يكونوا فى تمام اليقظة .. فهو فخور بمتحفه ، وهو يريد أن يترك أثرا طيبا فى نفس الأمير الزائر ... وفى هذا قال لنفسه : ليس بضار أبدا أن يكون للانسان أصدقاء فى الدوائر العليا ... من يدرى ؟ .. فقد ادعى لتناول العشاء مع سموه هذا المساء فى قصر الرئاسة !..

وكان مبعث الأسف الوحيد لدى كريستيان ماخادا هو انه لاتوجد وسيلة لوقف تدفق أمواج السياح الذين يتجولون فى المعرض ... غير أن حرس الامير الخاص وحراس أمن المتحف سوف يؤمنون سلامة الامير قطعا .. فكل شىء على تمام الاهبة فى هذا الصدد ..

وقد بدأ الموكب الملكى بزيارة الجناح العلوى حيث رحب به مدير المتحف بحرارة وطلاقة ورافقه فى الطواف ، يتبعه الحرس المسلح ، بالقاعة المستديرة ثم بالقاعات الاخرى حيث تعرض أعمال الرسامين الاسبان فى القرن السادس عشر ... وفى ختام زيارة هذا الجناح العلوى قال كريستيان ماخادا للامير مفاخرا :

والآن اذا سمح لى سمو الامير ، سأهبط معه الى معرض جويا ...

فى خلال ذلك كانت تريسى واقفة فى القاعة المجاورة للصالون الذى كانت لوحة « الميناء » معروضة به ... ومن خلال الباب المفتوح كانت تبصر الاحدب سيزار بوريتا جالسا أمام مرسم ينسخ لوحة لجويا معلقة بجانب لوحة « الميناء » ، ومن كثب منه بما لا يزيد على ثلاثة أقدام وقف أحد الحراس ... وفى القاعة التى وقفت بها تريسى كانت رسامة منهمكة فى رسم لوحة أخرى باذنة اقصى جهدها لنقل الالوان الوضاءة التى ضمتها لوحة جويا ..

ثم أقبل فوج من السياح اليابانيين تدفقوا على الصالون وهم يثرثرون مثل سرب طيور متشدية ... الآن قد جعلت تريسى اللحظة التى كانت تنتظرها ؛ وشعرت بقلبها يدق عنيفا حتى خيل اليها أن الحراس يسمعون دقاته .. وقد حادت عن طريق الفريق اليابانى

المقترب ، متجهة بظهرها نحو الرسامة ... فلم تلبث تريسى أن وقعت على ظهرها ، وكأنما دفعت دفعا ، مصطدمة بالرسامة ، فطوحت بها ، وبالرسم ، والقماش ، والالوان — الى الارض .. وهتفت من فورها : أوه ! .. أنا فى شدة الاسـف !... دعينى أساعدك ! ..

وفيما همت تريسى بمساعدة الرسامة المترنحة كانت تدوس بقدميها الوان الرسم المبعثرة فتلطخ بها الارض ... ولم يلبث دانييل كوبر الذى كان يراقب تريسى عن كثب وشهد كل شىء أن اقترب مسرعا وقد تحفز بكل أعصابه ، اذ أصبح موقنا أن تريسى هويتنى قد بدأت خطوتها الاولى ...

أما الحارس فقد اندفع صائحا : ماذا جرى ؟.. ماذا جرى ؟..

ان هذا الحادث قد استرعى انتباه السياح ، فالتفوا حول الرسامة المرتمية على الارض ، مما زاد فى سحق أنابيب الالوان تحت الاقدام وتشويه الارضية الصلبة بأشكال منكرة مختلطة .. كانت ربكته شنيعة ، والامر يوشك ان يظهر فى أية لحظة !.. فارتاع الحارس ، ونادى بأعلى صوته : سرجيو ! .. سرجيو !.. تعال الى هنا ! .. بسرعة !..

وكانت تريسى تراقب عندما هرع الحارس من القاعة المجاورة لمد يد المساعدة .. وبقى سيزار بورجيا الاحدب وحده فى صالون جويا ... مع لوحة « الميناء » ..

وفى وسط هذا الهرج وقفت تريسى .. وعبثا كان الحارسان يحاولان دفع السياح بعيدا عن منطقة الارض الملطخة بالالوان ..

وصاح سرجيو : اطلب المدير ! ..

فهرول الحارس الآخر نحو السلالم وهو يردد : يا للورطة !..

وبعد دقيقتين كان كريستيان مخادا لدى مسرح الكارثة .. وما أن وقع نظره على المشهد البشع حتى صرخ : هاتوا النساء العاملات فى التنظيف الى هنا ! .. بسرعة !.. مع قماش وتربنتين ! ... بسرعة ! ..

فأسرع احد مساعديه لتلبية نداء .. ثم التفت المدير الى سرجيو وتهره قائلا : عد الى مكانك ! ..

— حالا ياسيدى ...

وراقبت تريسي الحارس وهو يشق طريقه خلال التجمهر الى القاعة التي كان الاحدب سيزار بوريتا يعمل فيها ..
ان دانييل كوبر المترصد لتريسي والملازم لها كظلها لم يرفع عينيه عنها لحظة انتظارا لحركتها التالية ... لكنها لم تأت ... فهي لم تقترب من اية لوحة ، ولا اتصلت باي شريك ... وكل مافعلته هو انها اوقعت مرسما على الارض واراقت بعض الالوان الزيتية ، بيد انه كان مقتنعا بانها فعلت هذا عامدة .. لكن لاى غرض ؟ ...
لقد شعر كوبر على نحو ما بان آيا ماكان مدبرا قد وقع فعلا ... واجال نظره فيما حول جدران الصالون ، غير انه لم يبصر واحدة مفقودة ...
اسرع كوبر الى القاعة المجاورة ... فلم يكن بها احد سوى الحارس واحدب مسن جالس أمام مرسمه ينقل لوحة لجويا ... وكانت جميع اللوحات في مواضعها ... لكن هناك خلل ما ... كان واثقا من هذا ..
هرول كوبر عائدا الى مدير المتحف المنزعج وكان قد التقى به من قبل ، واندفع يقول له : عندى من الاسباب مايجعلني اعتقد ان احدى اللوحات قد سرقت من هنا فى الدقائق القليلة الماضية .
حدق كريستيان ماخادا فى الامريكى المضطرب قائلا : ما الذى تقوله ؟ .. لو صح هذا ، لاطلق رجال الحرس الانذار ...
ـ فى ظنى أن لوحة زائفة قد ابدلت باخرى حقيقية ..
نظر اليه المدير متسامحا وقال له باسما : هناك نقطة صغيرة خاطئة في نظريتك ياسنيور ... ان هذا ليس معروفا للجمهور عامة ، لكن توجد اجهزة استشعار خلف كل لوحة .. فاذا حاول اى شخص رفع لوحة عن الحائط ، وهو مالابد أن يفعله لاستبدال لوحة باخرى ، فان الانذار ينطلق فى الحال ...
فقال دانييل كوبر دون أن يقتنع بعد : هل يمكن ابطال عمل الانذار ؟ ...
ـ كلا .. واذا قطع احد السلك لفصله عن التيار ، فان هذا أيضا يؤدى الى انطلاق الانذار .. من المستحيل ياسنيور على اى احد ان يسرق لوحة من هذا المتحف ... فان اجراءات الامن عندنا محكمة كل الاحكام ...
لقد وقف كوبر مكانه يرتجف احباطا ... ان كل ماقاله المدير

مقنع .. وسرقة اية لوحة تبدو مستحيلة ... لكن لماذا اذن اراقت تريسي تلك الالوان عمدا ؟ ...

لم يكن في مقدور كوبر أن يفعل شيئا ، غير انه قال للمدير اخيرا : ارجو أن تحتملني ... فهلا طلبت الى معاونيك ان يتفقدوا المتحف للتأكد من عدم نقص اى لوحة ؟.. ساكون بانتظار الرد في فندقي ...

وفي الساعة السابعة من مساء هذا اليوم اتصل كريستيان مخادا تليفونيا بكوبر وقال له : انني قمت شخصيا ياسنيور بعملية التفتيش ... ان كل لوحة موجودة في مكانها المحدد ... ولم يفقد اى شيء من المتحف ...

هذا هو الحال اذن !... ان مسألة سكب الالوان بدت حادثا عرضيا في الظاهر .. بيد أن دانييل كوبر احس بغريزة الصياد ان الطريدة قد افلتت .

***

دعا جيف ستيفنز - تريسي لتناول العشاء في القاعة الرئيسية بفندق ريتز ... وفي جلستهما قال لها مرضيا : أراك تبدين مشرقة بصفة خاصة هذه الليلة ...

- اشكرك ... انني أشعر بالانشراح فعلا ..

- هذا بسبب صحبتنا ... تعالى معي الى برشلونة في الاسبوع القادم .. انها مدينة مبهجة .. وستعجبك .

- أنا آسفة ياجيف .. ليس هذا بامكاني .. ساغادر أسبانيا .

فقال بصوت ملؤه الاسف : احقا ؟ .. ومتى ؟..

- في خلال أيام قلائل .؟

- آه ! .. بالخيبة املي !..

قالت تريسي لنفسها : ستزيد خيبة املك عندما تعرف انني سرقت لوحة « الميناء » .

ولم تتمالك أن تساءلت في نفسها كيف رسم خطة لسرقة اللوحة ... بيد أن هذا لم يعد يهم ، بعد أن تفوقت على جيم ستيفنز الداهية ، كما فكرت في نفسها ...

ومع هذا ، ولغير سبب مفهوم ، فقد خامرتها مشاعر الاسف ...

الفصل الثامن والعشرون

جلس كريستيان مخادا في مكتبه بالمتحف يستمتع بفنجان القهوة السوداء القوية ، مهنئا نفسه على النجاح الذي حظيت به زيارة الامير ... فان كل شيء ، فيما عدا حادث اراقة الالوان الزيتية قد سار كما كان مخططا له على احسن مايرام ... والواقع انه حمد الله لان الامير وحاشيته قد امكن تحويل انتباههم الى ان تمت ازالة آثار تلك الربكة ... ولم يتمالك المدير أن ابتسم عندما فكر في أمر محقق التأمين الامريكي الأفون الذي حاول اقناعه بأن احدا ماقد سرق لوحة من متحف برادو ، حتى ناجى نفسه مزهوا معتزاً : لا الامس ولا اليوم ، ولا غدا ...

ومهما يكن فقد جاءته سكرتيرته بعد فترة وقدمت اليه رسالة حملها زائر ينتظر ... وعندما فضها وجد في اعلاها اسم متحف كونتاوس في مدينة زيورخ ، وقد تضمنت ما يأتي : زميلي الاجل ـ أقدم اليك بهذه الرسالة مسيو هنري رندال ، كبير خبرائنا الفني . ان السيد رندال قائم برحلة الى متاحف العالم ، وهو مشتاق بصفة خاصة لمشاهدة مجموعتكم التي لا نظير لها . وسيكون من بواعث تقديري العظيم ان تشدوا اليه عونكم » .. وكانت الرسالة مذيلة بتوقيع مدير المتحف السويسري ...

قال كريستيان مخادا لنفسه سعيدا مغتبطا : عاجلا او آجلا سوف يفد الى كل انسان ! ..

ودخل هنري راندل ... كان فارعا بادي المهابة يميل الى الصلع ولهجته السويسرية واضحة ... وعندما تصافحا لاحظ مخادا ان الاصبع السبابة في يده اليمنى مفقود ... وقال هنري راندل : انني أقدر هذه المناسبة ... هذه أول مرة يتاح لي فيها أن أزور مدريد ، وانني لاتطلع الى مشاهدة اعمالكم الفنية الذائعة الصيت ...

فقال كريستيان مخادا متواضعا : لا أظن انك سيخيب ظنك يامسيو رندال ... تفضل معي ... ساصحبك شخصيا :

وبدأ طوافهما بالقاعة المستديرة ، وانتقلا منه الى القاعة الوسطى ،

فكان هنرى رندال يتفحص كل لوحة بعنـاية .. وكانا يتبـادلان الحديث باسلوب الثقات المتمكنين ، فى تقييم لاسلوب كل فنـان واتجاهاته واحاسيسه اللونية ... ثم هبط المدير بزائره فى النهاية الى معرض لوحات جويا ، قائلا فى زهو بالغ : والآن : الى فخر اسبانيا ...

فلم يتمالك رندال ان هتف مبهورا : هذا قرة للأعين !.. دعنى بالله اتوقف واملأ النظر والحس من هذه الافانين !..

فمهل كريستيان مخادا وقد طاب له أن يرى مثل هذا الخشوع فى محراب الفن ... وهتف رندال : اننى لم اشهد فى حياتى مثل هذه الروعة ! ...

وعلى هذه مضى يخطو وئيدا فى الصالون متفحصا كل لوحة ، مبادئا مزيد اعجابه وانبهاره بكل مايرى ، الى أن توقف أمام لوحة « الميناء » ، وقال : تقليد لطيف !...

وهم ان يتابع طوافه ، فجذبه المدير من ذراعه قائلا : ماذا ؟.. ماذا قلت ياسنيور ؟..

ــ قلت ان اللوحة تقليد لطيف ...

فقال المدير وقد امتلأ باشد الغضب : انت مخطىء كل الخطأ !

ــ لا اظن هذا ...

فقال مخادا بخشونة : لابد ان تكون هكذا !.. اؤكد لك أن اللوحة صحيحة ! ... عندى ثبتها ! ...

فتقدم هنرى رندال من اللوحة وأخذ يتفحص الرسم مدققا ، ثم قال : اذن فان ثبت هذه اللوحة زائف أيضا .. ان الذى رسمها هو تلميذ جويا ــ أوجينيو لوكاس باديلا ... لابد انك تعرف بالطبع أن لوكاس قد رسم مئات من لوحات جويا بالتقليد ...

فقال مخادا بحدة : مؤكد اننى أعرف هذا ... لكن هذه اللوحة ليست واحدة منها ...

فهز رندال منكبيه قائلا : اننى انحنى لحكمك ...

وبدأ يواصل طوافه ، فقال مدير المتحف : اننى شخصيا قد اشتريت هذه اللوحة .. وقد ثبتت صحتها بمختلف الاختبارات الفنية المقررة ! ...

ــ انا لا اشك فى هذا ... ان لوكاس رسم فى نفس عهد جويا ، واستخدم نفس المواد والخامات ...

وانحنى رندال لفحص التوقيع عند اسفل الرسم ، ثم اردف

قائلا : بامكانك أن تستوثق بنفسك اذا اردت .. خذ اللوحة الى غرفة الترميم واختبر التوقيع ...

وضحك متفكها وهو يقول : ان اعتزاز لوكاس بنفسه جعله يوقع رسومه باسمه ... ولكن الرغبة فى ملء حافظته اضطرته الى تزوير اسم جويا فوق اسمه ، وبهذا كان يضاعف ثمن الرسوم الى حد فاحش ...

ثم نظر هنري رندال الى ساعته وقال : لابد أن تسامحني .. انني تأخرت عن موعد هام ... شكري عظيم اذ اشركتني فى الاستمتاع بكنوزك ...

فقال المدير ببرود : العفو ...

اما فى سره فقال لابد أن الرجل أحمق مأفون ..

وقال رندال وهو ينصرف : أنا فى فندق مانيا ، اذا كان ثمة خدمة أقوم بها ... وشكرا مرة أخرى ياسيدى المدير ...

وراقبه المدير وهو يبتعد ، ساخطا من جرأته للزعم بأن لوحة جويا الثمينة هى مجرد تقليد ...

وانثنى المدير ينظر الى الرسم من جديد ... كان جميلا ... رائعة من روائع جويا .. ثم انحنى يفحص التوقيع ... طبيعى تماما ... ومع ذلك ، هل هذا ممكن ؟.. ان بذرة الشك الضئيلة لم تبرح فكره ... كل انسان كان يعرف أن لوكاس ، معاصر جويا ، قد رسم مئات من لوحات جويا بالتقليد وتزوير توقيع استاذه العظيم لملء جيوبه بالمال ... وكريستيان مخادا نفسه قد دفع ثلاثة ملايين ونصفا من الدولارات ثمنا للوحة « الميناء » هذه .. فلو كان قد خدع حقا لكانت لطخة سوداء فى حقه ، وهو شيء لا يطيق مجرد التفكير فيه ! ...

ان هنري راندل قال شيئا واحدا معقولا للتحقق من صحة الرسم ... فليقم اذن بفحص التوقيع ، ثم يتصل به تليفونيا لكى يقول له بكل أدب أن من الخير له أن يبحث له عن مهنة أكثر ملاءمة له ! ..

وهكذا استدعى المدير مساعده وأمر بنقل لوحة « الميناء » الى قاعة الترميم ...

***

ان اختبار الروائع الفنية هى عملية بالغة الدقة لا يتولاها الا فنانون متخصصون ... وقد وضع جوان ديلجادو رئيس قسم الترميم الفنى

بمتحف برادو لوحة « الميناء » فوق حمالة خشبية خاصة وعن كثب منه كريستيان مخادا يراقب ... وقد قال له : اريد منــك ان تختبر التوقيع ...

فاخفى ديلجادو دهشته في نفسه قائلا : حاضر ياسيدي المدير .

وصب قدرا من كحول « ايزو بروبيل » على كرة قطنية ووضعها فوق المنضدة الى جانب اللوحة ... ثم صب على كرة قطنية اخرى قدرا من البترول المقطر وهو العامل المحيد ... بينما قال المدير : ابدا الان ... لكن بكل احتراس ...

شعر مخادا فجاة بأنه يصعب عليه أن يتنفس .. وجعل يراقب ديلجادو وهو يرفع كرة القطن الاولى ويلمس بها برفق حرف الجيم فى توقيع جويا ... وفى الحال التقط ديلجادو كرة القطن الثانية وقام بتحييد البقعة ، لئلا ينفذ الكحول الى عمق ابعد .. ووقف الرجلان يفحصان قماش الرسم ...

لم يلبث ديلجادو أن قطب قائلا : أنا آسف .. لكن ليس بامكانى أن اقول حتى الآن .. لابد من مذيب أقوى ...

فأمره المدير أن يفعل .. ففتح ديلجادو زجاجة أخرى وصب قدرا من سائل « ديمنتيل بيتون » على كرة قطنية أخرى ثم لمس بها المرة الاولى من التوقيع مرة جديدة ، مستخدما فى الحال كرة القطن الثانية .. لقد امتلأت القاعة برائحة حادة نفــاذة بسـبب المواد الكيماوية ... ووقف كريستيان مخادا مكانه يحدق فى الرسم وقد عجز عن تصديق مايراه ... فان حرف الجيم فى توقيع جويا بدأ يختفى ، وحل مكانه حرف اللام واضحا ..

التفت اليه ديلجادو شاحب الوجه قائلا : هل .. هل استمر ؟..

فقال مخادا بصوت أجش : نعم ...

وشيئا فشيئا ، وحرفا حرفا ، تلاشى توقيع جويا باسـتعمال المذيب ، وتجسد توقيع لوكاس مكانه ... ان كل حرف كان لطمـة فى احشاء مخادا .. فهاهو ذا ، مدير واحد من اهم متـــاحف العالم قد خدع ... ولسوف يسمع مجلس المديرين بهذا .. ولسوف يسمع به ملك اسبانيا .. ولسوف تسمع به الدنيا كلها !.

لقد قضى عليه قضاء مبرما .

وعاد الى مكتبه متعثرا .. واتصل تليفونيا بهنرى رندال ...

***

جلس الرجلان في مكتب مخادا ، وقال المدير مخذولا : كنت على

حق ... انها لوحة من رسم لوكاس ... اذا تسربت كلمة واحده عن هذا ، اصبحت اضحوكة ...

فقال هنري رندال مواسيا : ان لوكاس خدع خبراء كثيرين .. وبالصدفة فانا من هواة لوحاته المقلدة ...

ـ انني دفعت ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار ثمنـــا لهـذه اللوحة ...

فهز رندال كتفيه قائلا : وهل بامكانك ان تسترد نقودك ؟..

فهز المدير رأسه يائسا وقال : انني اشتريتها مباشرة من ارملة اكدت انها ظلت في حيازة اسرة زوجها لاكثر من ثلاثة اجيال .. واذا سعيت الى مقاضاتها فسوف يطول نظر القضية في المحاكم وتكون مادة للتشهير .. وفي هذا سيكون كل شيء في هذا المتحف عرضة للشك وسوء الظن ...

راح هنري راندل يقدح زناد فكره ، ثم قال : لا موجب عندهم لاي تشهير ... لماذا لا تشرح لرؤسائك ماحدث ، ثم تعمل على التخلص من لوحة لوكاس بهدوء ؟ .. بامكانك ارسال اللوحه الى مزادات سوثبي او كريستي الشهيرة في لندن لبيعها في المزاد ؟..

فهز مخادا رأسه قائلا : كلا ... بهذا تعرف الدنيا بلعبة الفضيحة ..

وهنا تهلل وجه رندال وقال : ربما كنت محظوظا ... عندي زبون قد يكون راغبا في شراء لوحة لوكاس ... انه يجمع لوحاته وهو رجل ذو حرص وحكمة ..

ـ ساكون مسرورا للتخلص منها ! .. لا اريد ان اراها مرة اخرى ، الى الابد !.. لوحة زائفة بين كنوزي الثمينة !! انا على استعداد لكي اهبها ...

ـ لا لزوم لهذا ... ان زبوني هذا ربما يكون مستعدا لكي يدفع لك ، لنقل خمسين الف دولار عنها ... هل اتصل به تلفونيا ؟..

ـ ان هذا لمكرمة منك ياسنيور رندال .

وفي اجتماع عقد على عجل ، قرر مجلس الادارة المذهل ان الاعلان عن وجود لوحة زائفة بين مقتنيات متحف برادو الثمينة هو كارثة لابد من تفاديها بأي ثمن .. وتم الاتفاق على أن الافضل اسلوب للتصرف هو التخلص من اللوحة بأهدأ وأسرع ما يمكن ...

وغادر الاعضاء قاعة الاجتماع صامتين دون أن يوجه احد منهم كلمة واحدة الى كريستيان مخـــادا الذي وقفه مكانه غارقا في تعاسته ...

وعصر هذا اليوم عقدت الصفقة ... فذهب هنري رندال الى بنك أسبانيا ثم عاد بشيك معتمد بمبلغ خمسين ألف دولار ، وسلمت لوحة لوكاس اليه ملفوفة في ورق عادي ... وقال له مضادا متأثرا : ان مجلس الادارة سوف ينزعج اذا شاع هذا الحادث ... لكنني اكدت لهم ان زبونك رجل حكمة وحرص ..

فطمأن رندال خاطره ...

وما ان غادر هنري رندال المتحف حتى أستقل سيارة أجرة الى المنطقة السكنية في الطرف الشمالي لمدريد وحمل اللوحة الى شقة في الدور الثالث وطرق الباب ... ففتحت له تريسي .. ووقف من خلفها سيزار بوريتا الرسام الاحدب ... ولما نظرت تريسي الى القادم مستطلعة قال هنري رندال بشماتة : انهم لم يطيقوا ابقاء اللوحة عندهم ! ...

فعانقته تريسي قائلة : ادخل ...

واخذ بوريتا اللوحة ووضعها فوق منضدة ، وقال : والآن .. سوف تشهدون معجزة ... لوحة جويا الحقيقية تبعث حية !..

وتناول زجاجة بها كحول مثيلي وفتحها ، وسرعان امتلأت الغرفة رائحة نفاذة ... وبينما وقفت تريسي وهنري رندال ينظران ، سكب بوريتا قدرا من السائل فوق قطعة قطن وراح يلمس بها خفيفا جدا توقيع لوكاس ، حرفا بعد حرف ... وشيئا فشيئا بدأ توقيع لوكاس يتلاشى .. وظهر من تحته توقيع جويا ..

لم يتمالك هنري رندال أن حلق في رهبة وهتف : رائع !..

فقال الرسام الاحدب : انها فكرة مس هويتني ... لقد أستفهمت عما اذا كان يمكن حجب توقيع الفنان الاصلي بتوقيع زائف ، ثم تغطية هذا بالاسم الاصلي ...

فابتسمت تريسي قائلة : أنه صور لي كيف اتمام هذا العمل ..

فراح بوريتا يقول بلهجة التواضع : كانت المسألة في غاية البساطة ... ولم تستغرق الا أقل من دقيقتين ... كانت الخدعة كلها في الالوان التي استخدمتها ... عملت أولا على تغطية توقيع جويا بطبقة نقية جدا من دهان ابيض فرنسي لوقاية التوقيع ... وفوق هذه الطبقة كتبت اسم لوكاس بدهان « اكريليكي » القاعدة سريع الجفاف ... ومن فوق هذا رسمت اسم جويا بدهان زيتي القاعدة مع دهان تصويري خفيف ... وعندما أزيل التوقيع العلوي ظهر اسم لوكاس ... ولو انهم تعمقوا لاكتشفوا أن توقيع جويا

الاصلى كان محجوبا أسفله .. ولكنهم بالطبع لم يفعلوا ...

عندئذ قدمت لكل من الرجلين مظروفا مليئا وقالت : اريد ان اقدم شكرى لكليكما ..

فقال هنرى رندال غامزا بعينه : مستعد فى اى وقت تحتاجين فيه الى خبير ..

وقال بوريتا : كيف تدبرين نقل اللوحة الى خارج البلاد ؟..

ـ هناك رسول سوف يأتى لاخذها من هنا .. فانتظره ..

وصافحت الرجلين ، ثم انصرفت ..

كانت تريسى وهى فى طريق عودتها الى فندق ريتز مفعمة النفس ابتهاجا ... وكانت تناجى النفس بقولها : « كل شىء مسألة نفسانية » ... فقد رأت منذ البداية أن من المحال سرقة اللوحة العالمية من متحف برادو ... وهكذا كان لابد لها من التوسل بالخداع ، فتجعلهم فى حالة نفسانية وفكرية يتجهون فيها الى التخلص من اللوحة ...

وفى الطريق تصورت ملامح جيف ستيفنز عندما يعلم كيف خادعته وتفوقت عليه ، فلم تتمالك أن غلبها الضحك ...

وقد انتظرت فى فندقها حضور الرسول ، وعندما وصل طلبت تليفونيا سيزار بوريتا ، وقالت له : ان الرسول عندى الآن ... وسأرسله اليك لاخذ اللوحة ... احرص على أن ...

فقال بوريتا صارخا : ماذا ؟ .. ماذا تقولين ؟ . ان رسولك جاء واخذ اللوحة منذ نصف ساعة !!! ..

الفصل التاسع والعشرون

باريس ـ الاربعاء ٩ يوليو ـ الظهر .

فى مكتب خاص قرب شارع ماتينيون بباريس ، قال جانتر هارتوج : اننى أفهم ياتريسى مدى شعورك بشأن ماحدث فى مدريد، ولكن جيف ستيفنز كان أسبق منك هناك ...

فبادرت تريسى الى تصحيح كلامه قائلة بمرارة : كلا ... اننى سبقته هناك ! ... وجاء هو متأخرا ..

ـ لكن جيف سلم اللوحة . ان لوحة الميناء ، فى طريقها الآن الى زبونى ..

فبعد كل ما خططت تريسي ورسمت وتحايلت ، تفوق جيف ستيفنز عليها ! ..

انه جلس مرتاحا وتركها تقوم بالعمل وتتعرض لكل المجازفات ، ثم في اللحظة الاخيرة اقتنص هو الغنيمة وسار بها ناعما !.. ولابد انه كان يضحك منها طوال الوقت !..

وقالت تريسي اخيرا : انني لم أفكر قط في قتل أي انسان ... لكنني لا اتردد الآن في قتل جيف ستيفنز وانا سعيدة !.

فقال جانتر بدعة : آه ياعزيزتي ... ليس في هذه الغرفة ... لعله الآن في طريقه الي هنا ..

فوثبت تريسي قائمة وهي تقول : هو ماذا ؟!..

ــ قلت لك ان عندي مهمة لك ... وهي تتطلب شريكا معك .. في رأيي انه هو الوحيد الذي ...

فاندفعت تريسي تقول بحدة : الموت جوعا أهون عندي ! .. ان جيف ستيفنز هو أحط ...

ــ آه ! ... هل سمعت اسمي يذكر ؟ .

وشخص جيف في مدخل الغرفة متهلل الاسارير ، وأردف : تريسي أيتها العزيزة .. انك تبدين في اروع صـــورة ... وانت ياصديقي جانتر .. كيف حالك ؟.

وتصافح الرجلان ، ووقفت تريسي مكانها مفعمة النفس غضبا وحنقا ..

فتطلع اليها جيف وتنهد قائلا : لعلك ساخطة على ؟..

ــ ساخطة ؟ .. أنا ...

واعجزتها الكلمات كمدا ، فراح يقول لها : في الحقيقة ياتريسي ان خطتك كانت في رأيي ذكية باهرة ، لولا انه كان فيها غلطة صغيرة فيجب الا تثقي بسوسري مفقود سبابة اليد اليسرى !..

جعلت تريسي تتنفس من أعماق صدرها ، محـــاولة تمـــالك أعصابها ... ثم التفتت الى جانتر قائلة : سأتكلم معك فيمـا بعد ياجانتر ...

ــ تريسي ! .

ــ كلا .. مهما تكن المهمة ، فلا اريد المشاركة فيها .. لا وهو مشارك فيها ...

فقال جانتر مصابرا : هل يمكن على الاقل أن تنصتي ؟..

ـ لا فائدة ... سأسافر الى خارج باريس الى حيث انتقل الى بلاد كثيرة لانال ما استحقه من راحة وترفيه ...

وانسحبت من الشرفة على الاثر ... ونظر جانتر خلفها قائلا : انها غاضبة عليك فعلا ياجيف بسبب عملية مدريد .. وأنا أخشى الا تقوم بالعملية الجديدة ..

فقال جيف بمرح : انت مخطىء ... أنا اعرف تريسي .. ان تستطيع مقاومة الاغراء .. دعها لى مؤقتا ..

***

فى قرية سياحية تدعى القمر عند الطرف الشمالى الغربى من ساحل هولندا مواجهة لبحر الشمال ، استطاع جيف ستيفنز اخيرا ان يعثر على تريسى هويتنى بعد طول طواف واقتفاء لاثرها بين شتى البلدان التى تنقلت فيها طلبا للراحة والاستجمام .. ولكنه وجدها هذه المرة مريضة منهكة بتاثير حمى المت بها ، فعكف على تمريضها ورعايتها بحنان غريب فى فندق صغير نقلها اليه زاعما لصاحب الفندق وزوجته أنهما عروسان فى شهر العسل ، الى ان زالت عنها الحمى بفضل رعايته ولم تجد بعد الآن سبيلا لمجافاته وصده عنها ..

وعلى الرغم من ذلك فان تريسى لم تتجرد من تحفظها حياله ، حتى كانت تسائل نفسها بين فينة واخرى ماالذى يدعوه الى ملازمتها على هذه الصورة ؟ .. لقد وجدته فى الواقع لغزا يحيرها امره وتحييرها تصرفاته ...

لم الفت نفسها تحدثه عن اشياء كانت ترى انه لا يجدى بها ان تناقشها مع احد ... فقد حدثته عن جو رومانو وتونى أورسالى ، وعن ارنستين الزنجية رفيقتها فى سجن النساء وايمى برانيجان ابنة مدير السجن ... فكان يستمع اليها ماخوذا بين السخط حينا والتفجع والرثاء حينا آخر ... كما حدثها هو ايضا عن زوجة ابيه الخائنة لعهود الزوجية ، وعن عمه ديلى صاحب السفينة وعن زواجه من لويز الغنية الفاجرة ... فلم تشعر تريسى الا خلال ذلك بانها كانت فقط اقرب الى اى رجل مما اتيحت عليه الى الآن ترعى فى صحبته ...

وقال لها مرة بعد ان توقفت صحبتهما : اسمعى ياتريسى ... ان ما خطلته فى مدريد لم يكن بسبب المال ... كان من اجـل ...

المغامرة والتحدي ... والحقيقة ان هذا هو السبب في قيامنا بهذه العمليات ، أليس كذلك ؟ ..

قاومات تريسي ايجابا ، وقالت : صدقت ... كان السبب أول الامر هو في حاجتي الى المال ... وبعد ذلك تطور الى شيء آخر .. كم من اموال انفقتها وبددتها ! .. انني أهوى قياس ذكائي بذكاء الآخرين الذين هم ناجحون ولامعون ولا ضمير لهم .. انني أهوى الحياة على حافة الخطر ...

خيم بينهما صمت طال لفترة ، واخيرا قطعه جيف قائلا : تريسي ما رأيك في أن ننفض ايدينا من هذه الحياة ؟..

فنظرت بدهشة ، مرددة : ننفض ايدينا ؟.. لماذا ؟.

ـ كان كل منا قبل الآن يعيش لنفسه .. اما الآن فأشعر ان كل شيء تغير .. لا يمكن ان أحتمل ان يصيبك اى شيء ... لماذا نواجه مخاطر اخرى ؟ .. عندنا كل الأموال التي نحتاج اليها . لماذا لا نعتبر أننا اعتزلنا العمل ؟..

ـ وماذا نفعل ياجيف ؟..

فأجاب باسما : سنفكر في شيء ... سنفعل كل مانحب ... سنرتحل الى كل مكان ... سنمارس هوايات كثيرة ـ انني كنت دائما اعشق الحفريات الاثرية ؛ ويمكننا ان نتولى تمويل أعمالنا الخاصة في هذا المجال .. وسنطوف في كل أرجاء الدنيا ..

ـ هذا شيء مثير ! ..

ـ اذن فما رأيك ؟.

فنظرت اليه طويلا ، ثم اجابت برقة : اذا كان هذا ماتريد .. فعانقها ، وقال ضاحكا : ترى أيمكن ان ترسل اخطارا بهذا للبوليس ؟ ..

فلم تتمالك أن شاركته ضحكته ..

***

جاءت مكالمة جانتر هارتوج في اليوم التالي ، حينما كان جيف خارج الفندق ، وقال لها : كيف حالك اليوم ياتريسي ؟..

فطمأنته قائلة : انني بكل خير ..

كان جانتر يسأل عنها تليفونيا كل يوم بعد ان علم من جيف بنيفتتر ما ألم بها ... ولقد قررت تريسي الا تخبره بما استقر عليه عزمهما ، هي وجيف ـ أو على الاقل مؤقتا ...

ـ هل انت وجيف على وئام !؟ ..
فاجابت باسمة : اننا على احسن مايرام ...
ـ هلا فكرت فى العمل معا من جديد ؟ ...
الآن لم تجد مفرا من مكاشفته ، فقالت : جانتر .. اننا .. سنعتزل ...
ساد الصمت برهة ، ثم قال : لست افهم ..
ـ ان جيف وانا ، كما يقولون فى بعض المواقف السينمائية ، عزمنا على الاستقامة ..
ـ ماذا ؟ ... لكن .. لماذا ؟.
ـ كانت فكرة جيف . وقد وافقت عليها .. لا مغامرات بعد الآن ...
ـ لنفرض اننى اخبرتك ان العملية التى افكر فيها تساوى مليونى دولار لكما وليس بها مخاطرات ؟..
ـ فى هذه الحالة ساضحك كثيرا ياجانتر ...
ـ انا جاد يا عزيزتى ... ستسافرين الى امستردام ، وهى على بعد ساعة واحدة من مكانها الحالى ، و ...
ـ لابد لك ان تبحث عن شخص آخر ..
فتنهد ، ثم قال : يؤسفنى ان اقول انه لا يوجد اى شخص آخر يليق لهذا العمل ... هلا ناقشت هذه المسألة على الاقل مع جيف؟.
ـ لا باس .. لكن لن تكون هناك فائدة ....
وعندما رجع جيف اخبرته بما كان ... فقال لها : الم تخبريه اننا اصبحنا مواطنين مطيعين للقانون ؟ ...
ـ طبعا .. قلت له أن يبحث عن شخص آخر ... لكنه اصر على انه يحتاج الينا ... قال ان العملية خالية من المخاطرة وانه بالامكان ان نفوز بمليونى دولار نظير مجهود بسيط ...
ـ وهو مايعنى انه مهما يكن هذا العمل الذى يفكر فلابد ان يكون تحت حراسة مشددة مثل قلعة « فورت نوكس » ...
فقالت ترسى بخبث : او متحف برادو ...
فابتسم جيف قائلا : كانت تلك خطة بارعة ياترسى .. الحقيقة انها كانت بداية وقوعى فى حبك ...
ـ وفى ظنى انك عندما سرقت لوحة جويا كان ذلك بداية وقوعى فى كراهيتك ...

ـ كوني منصفة ياتريسي ... انك بدأت في كـــراهيتي مـــن قبلها ...
ـ صدقت ـ ماذا تقول لجانتر ؟ ...
ـ انك اخبرته فعلا .. اننا لم نعد نمارس هذا العمـــل بعـــد الآن ...
ـ الا يجدر بنا على الاقل ان نعرف ماذا يفكر فيه ؟..
ـ تريسي ... اننا اتفقنا على ..
ـ اننا ذاهبان الى امستردام على اي حال ، وربما لا يكون هناك ضرر من مجرد الاستماع اليه ومعرفة مايريد ..
فتفرس فيها بارتياب ، قائلا : انت تريدين القيام بالعملية ، اليس كذلك ؟ ..
ـ لا بالتأكيد .. لكن لن نخسر شيئا من سماع ماعنده ...
وانتقلا الى امستردام في اليوم التالي ونزلا في فندق امستيل .. وطار جانتر هارتوج من لندن للقائهما ...
وسعى الثلاثة الى الظهور بمظهر سياح عابرين في رحلة نهـرية في نهر امستيل ... وقال لها جانتر : يسرني ان اعرف ما سمعته الآن من انكما اتفقتما على الزواج .. تهانيا الحارة ..
فشكرته تريسي ، بينما مضى جانتر يقول : انني احترم رغبتكما في الاعتزال ، لكنني اواجه الآن موقفا فريدا اشعر معه بانه لابد لي من وضعه تحت نظركما ... ثم انه قد يكون مثمرا جدا لكما ..
فقالت تريسي : نحن آذان صاغية ...
فمال جانتر الى الامام واخذ يتحدث بصوت خفيض .. وعندما فرغ قال لهما : مليونا دولار لكما اذا امكنكما اتمام العملية ..
فقال جيف دون تردد : هذا مستحيل ... ياتريسي ..
غير ان تريسي لم تكن منصتة اليه ... كان عقلها منهمكا في تصور كيف يمكن القيام بالعملية التي عرضها جانتر ...

الفصل الثلاثون

في مقر الادارة العامة لبوليس مدينة امستردام عقد اجتمـاع هام حضره ستة من المخبرين الهولنديين كان الحاضر الوحيد الغريب بينهم هو دانييل كوبر محقق اتحاد شركات التأمين الامريكية .

وراح المفتش فان دورين الضخم الجهير الصوت يخاطب مدير البوليس تون ويليمز المعروف بكفاءته الفذة قائلا : ان تريسي هويتني قد وصلت الى امستردام صباح اليوم ياسيدى المدير .. وبوليس « الانتربول » الدولى واثق انها ماجاءت الى هولندا الا لارتكاب جريمة جديدة ..

فالتفت مدير البوليس الى دانييل كوبر قائلا : هل لديك اى دليل على هذا يامستر كوبر ؟..

ــ لا دليل ... ولهذا لابد من القبض عليها متلبسة فعلا ...

ــ وما الذى تقترح ان نقوم به لهذا الغرض ؟..

ــ بالا ندع هذه المرأة تغيب عن انظارنا ...

فقال ويليمز بعد الذى علمه من المفتش ترينيان فى « الانتربول » من صلابة هذا الرجل : لا بأس ... اذا كانت هذه السيدة قد جاءت الى هولندا لاختبار كفاءة نظامنا البوليسى ، فسوف نضيفها ونعمل على راحتها ...

ثم التفت الى المفتش فان دورين واردف : اتخذ كافة التدابير التى تراها ضرورية ...

وهكذا اصدر المفتش اوامر مشددة لرجاله بمراقبتها على مدار الاربع وعشرين ساعة ، بحيث لا تغيب عن انظارهم لحظة ...

ولكن تريسى وجيف انهمكا فى ارتياد الاماكن السياحية والنزهة الى حد لم يجد معه المخبرون السريون الذين كانوا لهما اتبع من ظلهما سبيلا للشك فى امرهما ، وكانوا موقنين ان الاثنين هما مجرد سائحين يمضيان اجازة للترويح واللهو .. وعلى الرغم من ذلك ومن التقارير المقدمة من المخبرين بانتفاء اى شك فى امرهما ، فان دانييل كوبر لم ينزل عن اصراره وعناده ، وراح يشترك بنفسه مع المخبرين فى عملية المراقبة الدائبة ...

بل ان كوبر تمادى فى اصراره وعناده الى حد ان المفتش فان دورين ذهب الى مدير ادارة البوليس ويليمز يطالب منه ، بناء على الحاح كوبر ، الاذن بوضع اجهزة تصنت الكترونية فى حجرتى المشتبه فيهما بالفندق ، غير ان مدير البوليس ابى قائلا : عندما تتوافر لكم ادلة مادية على هذا الاشتباه ، يمكن النظر فى الامر .. والى ان يتم

هذا ، فلا يمكن ان اسمح بالتصنت على اناس كل جريمتهم انهم يطوفون بهولندا سائحين ! ...

دار هذا الحوار البوليسي يوم الجمعة ... وفى يوم الاثنين ذهبت تريسي وجيف لزيارة مصنع تقطيع الماس فى حى كوستر بوسط امستردام ... وكان دانييل كوبر فى عداد فريق المراقبة .. وكان المصنع مكتظا بالسياح الوافدين .. وقد صحبهم مرشد يتحدث بالانجليزية فى الطواف بالمصنع ... وفى نهاية الجولة قادهم الى قاعة كبيرة للعرض حيث صفت حولها « فترينات » مليئة بمختلف انواع الماس المعد للبيع .. وفى وسط القاعة قامت « فترينة » زجاجية خاصة منصوبة فوق قاعدة سوداء ، وبداخلها ابدع ماسة راتها عينا تريسي ... وقال المرشد مفاخرا : وهذه ، سيداتي وسادتي ، ماسة « لوكولان » الشهيرة التى قراتم عنها ... كان قد اشتراها مرة ممثل مسرحى لزوجته النجمة السينمائية ، وقيمتها تقدر بعشرة ملايين دولار ... انها حجر مكتمل ، وهى من انفس احجار الماس فى العالم ...

فقال جيف بصوت مسموع : لابد انها هدف متميز اللصوص ..

فاقترب دانييل كوبر اكثر لكى يستطيع الاستماع بصورة افضل ، وسمع المرشد يقول مبتسما فى سماحة وهو يومىء الى الحارس المسلح الواقف قرب « فترينة » العرض : لا ياسيدي ... ان هذا الحجر تحت حراسة مشددة اقوى من حراسة مجوهرات برج لندن ولا خطر بالمرة ... فلو قام احد بلمس « الفترينة » الزجاجية لانطلق نظام الانذار فورا واغلقت كل نافذة وباب فى القاعة اغلاقا محكما ... وفى الليل يبدا تشغيل الاشعة الالكترونية ، واذا تسلل احد الى القاعة ، ينطلق الانذار فى ادارة البوليس ..

فالتفت جيف الى تريسي قائلا : اظن انه لن يتمكن احد من سرقة هذه الماسة ابدا ...

فتبادل دانييل كوبر نظرة مع المخبر السرى ... وفى نفس اليوم ابلغ تقرير بهذا الى المفتش فان دورين ...

وفى اليوم التالى قام جيف وتريسي بزيارة متحف ريجكس بعد شراء دليل للمتحف فى مدخله ، وتقدما فى الصالة الكبرى الى قاعة « معرض الشرف » التى امتلات جدرانها بشتى الرسوم الزيتية الرائعة لمشاهير الفنانين الهولنديين ، متمهلين فترة امام كل لوحة ،

الى أن وصلا الى الحجرة المسماة « بقاعة الحراسة الليلية » ، التى ازدانت جدرانها بلوحة الرسام رمبراندت الاشهر ، حتى لم يتمالك المخبر المتابع لهما ان هتف لنفسه : « وهنا فى هذه القاعة ! ... رباه ! ... »

كانت اللوحة آية فى الروعة الفنية ، وقد أحيطت المنطقة التى قامت فيها بحبال من المخمل ، تحت حراسة حارس عن كثب ...

وبعد فحص ودراسة واعجاب اتجه جيف الى الحارس قائلا : اظن ان هذه اللوحة تحت حماية كافية ...

ـ نعم ياسيدى .. ان أى شخص يحاول سرقة أى شىء من هذا المتحف لابد ان يواجه باشعة الكترونية ، وكاميرات سرية ، وحراس فى الليل معهم كلاب بوليسية ...

فقال جيف باسما فى يسر : اظن ان هذه اللوحة سوف تبقى هنا الى الابد ! ..

وعندما ابلغ تقرير بهذا الى المفتش فان دورين لم يتمالك ان هتف : لوحة « الحراسة الليلية » !؟ .. هذا مستحيل ! ..

فلم يعد دانييل كوبر ان رمقه بعينين زائغتين ، دون أن يغضب ..

***

فى مقر قاعة المؤتمرات بالعاصمة امستردام عقد مؤتمر لهواة طوابع البريد ، وكانت تريسى وجيف فى أوائل الحاضرين .. وقد وضعت القاعة تحت حراسة مشددة ، اذ كان كثير من الطوابع المعروضة لا يقدر بثمن ... وكان كوبر واحد المخبرين الهولنديين لا يكفان عن مراقبة هذين الاثنين أثناء جولتهما بين مجموعة الطوابع النادرة .. وتوقفا امام طابع غريب الشكل لغيانا البريطانية ، فقالت تريسى : ياله من طابع أقرب الى القبح ...

فقال جيف : انه الطابع الوحيد من نوعه فى العالم .

ـ وكم يساوى ؟..

ـ مليون دولار

وعندئذ أوما الموظف المشرف برأيه مؤمنا وقال : صدقت ياسيدى معظم الناس ليست عندهم فكرة وهم يلقون عليه مجرد نظرة ... لكننى أرى ياسيدى انك تحب هذه الطوابع ، مثلى .. ان تاريخ العالم ماثل فيها ..

ومضى الاثنان فى جولتهما بين مجموعات الطوابع النادرة حتى وصلا

الى طابع من جزر هاواى ثمنه ثلاث سنتات ، فقال جيف لصاحبته: وهذا الطابع يساوى ثلاثة ارباع المليون دولار ...

وكان دانييل كوبر دائما فى اثرهما لا يغفل عن مراقبتهما لحظة ، مختلطا بالجمهور .. وقالت تريسى فى معرض الطوابع والفرجة : ان كل هذه الطوابع النادرة صغيرة الحجم يسهل سرقتها ...

فابتسم الحارس القائم عن كثب قائلا : ان اللص لن يذهب بعيدا يا آنسة ... فالفترينات كلها مكهربة الكترونيا ، والحراس المسلحون يطوفون بالمتحف نهارا وليلا ...

فقال جيف بجدية : هذا مما يريح الانسان ، فقد اصبحت الثقة نادرة هذه الايام ...

وفي آخر النهار قدم دانييل كوبر مع المفتش فان دورين تقريرا بحصيلة المراقبة الى مدير ادارة البوليس ... وبعد اطلاعه عليه قال في النهاية : ليس امامي هنا شيء محدد ، لكنني سأسلم بأن المشتبه فيهما يتشمما اهدافا قيمة ... لا بأس أيها المفتش ... عندك اذن رسمي بوضع اجهزة تصنت في غرفتيهما بالفندق ...

لم يكن في الدنيا من هو أسعد من دانييل كوبر بهذا القرار ... فمنذ هذه اللحظة سوف يستطيع أن يطلع على كافة حركات تريسى وسكناتها وخوالج افكارها وكل أحاديثها ، حتى في غرفة النوم ... وعندما خرجت تريسى مع جيف هذا المساء لتتناول العشاء خارج الفندق ، بدأ العمل فريق من الفنيين التابعين للبوليس فوضعوا « ترانزستورات » لاسلكية صغيرة جدا فى غرفتى تريسى وجيف ، اخفيت عن العيان خلف الصور وفى المصابيح وتحت المناضد المجاورة للأسرة ... واشرف المفتش فان دورين فى الجناح الذى يعلو الغرفتين مباشرة على تركيب جهاز استقبال به ايريال وملحق بجهاز تسجيل ، ولم يكن الجهاز فى حاجة الى من يديره ، فعند الكلام يقوم الجهاز بالتسجيل أوتوماتيكيا ..

الفصل الواحد والثلاثون

فى وقت مبكر صباح اليوم التالى كان المفتش فان دورين ودانييل كوبر مع احد المخبرين فى الجناح العلوى يتصنتون على الحديث الدائر من تحتهم ... وقد مضى الحديث عاديا فترة كما يحدث بين

اثنين من المحبين ، تتخلله الضحكات الناعمة التي كانت تثير سخط دانييل كوبر — الى أن سمع صوت جيف وهو يقول : خمني من يقيم في هذا الفندق ؟ ... هو مكسميليان بيير بونت ، المليونير الذى افلت منا ونحن على ظهر الباخرة الملكة اليزابيث الثانية ...

— شد ما افتقدته في تلك المناسبة ! ..

— الاغلب أنه جاء الى هنا للعمل على افلاس أحدى الشركات ، كما هي عادته ...

والآن وقد وجدناه ياتريسي مرة اخرى ، فعلينا ان نفعل شيئا حياله ، أعنى طالما هو موجود في المنطقة ...

فردت تريسى ضاحكة : ليس أحب الي من هذا ياعزيزى ...

— المفهوم أن صاحبنا المليونير هذا معتاد أن يحمل معه أشياء مما خف حمله وغلا ثمنه .. عندى فكرة أن .

وفي هذه اللحظة سمع صوت الخادمة وهي تستاذنهما في ترتيب الغرفة ... فالتفت المفتش دورين الى المخبر قائلا : اريد تخصيص فريق عمل لوضع مكسميليان بيربونت تحت الملاحظة ... وحالما يتضح ان هويتني أوستيفنز يقومان بأى اتصال به ، فليقدم الى تقرير فورى ..

ولم يطل الوقت حتى تقدم المفتش فان دورين بتقرير شامل الى مدير البوليس فون ويليمز ، وقال له بعد أن اطلع عليه : من المحتمل ياسيدى المدير انهما يسعيان الى عدد من الاهداف في وقت واحد ... فهما يبديان اهتماما كبيرا بثرى أمريكي يدعى مكسميليان بيير بونت موجود الآن هنا .. وقد شهدا مؤتمر هواة طوابع البريد العالمى ... كما قاما بزيارة مصنع تقطيع الماس وتفرجا على ماسة « لوكولان » ، وامضيا ساعتين في زيارة متحف ريجكس حيث توجد روائع فنانتا الاشهر رمبرانت ...

استمع مدير البوليس الى هذا وقد مال في مقعده الى الخلف ، ولم يتمالك أن تساءل في نفسه : أليس الذي يفعله رجاله ضربا من تضييع الوقت والجهد دون طائل ؟.. فكل ماهناك مجموعة تخمينات لا تعززها حقائق مادية كافية ... وفي النهاية قال للمفتش : اذن حتى الآن ليست لديك فكرة عما هو هدفهما ؟..

— لا ياسيدى ... لست متأكدا انهما وصلا الى قرار بعينه ...

لكن في اللحظة التي يقررن فيها شيئا ، فسوف يتكفلان هما بابلاغه لنا ...

فقطب مدير البوليس قائلا : .. ابلاغه لنا !!..

فتولى المفتش فان دورين التفسير قائلا : عن طريق اجهزة التصنت .. ليست عندهما اقل فكرة ان اجهزة التصنت التي وضعناها عندهما تسجل لنا كل شيء ! ...

***

لقد صدق المفتش فان دورين ... فعن طريق اجهزة التصنت هذه في الفندق ، بالاضافة الى تعقب المخبرين السريين لحركات تريسى وجيف خارجه ، اجتمعت للبوليس الهولندى حصيلة من المعلومات القيمة عرف منها مايلى :

ـ ان بنك امرو الهولندى ينوى شحن سبائك ذهبية قيمتها خمسة ملايين دولار الى جزر الهند الغربية ، طبقا للحديث الذي دار بين جيف وتريسى ..

ـ وان جيف ستيفنز زار وحده مطبعة صغيرة وطلب من صاحبها طبع بطاقات له باسم « كورنيليوس ويلسون ـ كبير المحققين في مكتب خدمات الامن الخصوصية في امستردام » ...

ـ وان تريسى خرجت في يوم آخر وحدها الى محل لبيع طيور واسماك الزينة واشترت اناء به أسماك ملونة ، واثنين من عصافير الكناريا ، وحمامة ...

ـ وان جيف ستيفنز قصد الى بنك امرو واجتمع برئيسه مدة نصف ساعة دار الحديث خلالها عن تدابير الامن المتبعة في البنك ، بعد أن استوثق مدير البنك تليفونيا من صحة انتسابه الى مكتب خدمات الامن الخصوصية المنوه عنه ...

ـ وانه بعد ظهر نفس اليوم وقفت أمام البنك سيارة نقل مدرعة، واخذت صورة فوتوغرافية لجيف وهو واقف في المدخل .

وفي اجتماع بمكتب مدير البوليس قال بعد أن أطلع على هذه البيانات :

ـ مامعنى هذا كله ؟..

فقال دانيل كوبر : سأقول لكم ماذا تدبره تريسى هويتنى ... انها تخطط لخطف شحنة السبائك الذهبية ..

حدق الجميع اليه ، وقال مدير البوليس : واظن انك تعرف كيف تنوى تلك المراة ان تقوم بهذه المعجزة ؟

ـ نعم ... باستخدام سيارة نقل امن زائفة والذهاب الى البنك قبل موعد وصول السيارة الحقيقية ثم الابتماد بشحنة الذهب ..

ـ ان هذا يبدو اقرب الى الخيال يامستر كوبر !..

وعندئذ تدخل المفتش فان دورين قائلا : انا لا اعرف ماهى خطتهم ياسيدى المدير ، لكنهما يخططان لشىء ... وعندنا احاديثهما مسجلة على الشرائط .. ثم انهما عرفا تدابير الامن فى البنك ، وعرفا موعد قيام السيارة المدرعة بعملية النقل و ..

فقال المدير وهو عاكف على فحص التقارير امامه : طيور زينة .. حمامة ، كناريا !.. هل تظن ان شيئا من هذا الكلام الفارغ له اية علاقة بالسرقة المدبرة ؟..

فأجاب فان دورين : كلا ...

وقال دانييل كوبر باسلوبه الغريب : نعم ...

***

اخذ المخبر السرى هاور يتابع خطوات تريسى فى عدة شوارع دون أن يغفل عنها لحظة حتى وصلت الى كشك تليفون عمومى وتكلمت مدى خمس دقائق وهو فى حالة غيظ واحباط لعدم قدرته على متابعة المكالمة ...

كان المتكلم هو جانتر هارتوج من لندن ، وقد قال لها : يمكننا الاعتماد على « مارجو » ، لكنها ستحتاج الى بعض الوقت ـ اسبوعين على الاقل ...

واصغى اليها فترة ثم عاد يقول : مفهوم ... وعندما يتم الاستعداد لكل شىء ، ساتصل بكم ... التزموا الحذر .. وابلغى تحياتى الى جيف ...

ووضعت تريسى السماعة وخرجت من الكشك وهى تبتسم للمراة التى كانت واقفة تنتظر دورها فى التكلم ..

وبعد ايام اخرى من المراقبة والمتابعة والتصنت على المكالمات التليفونية لتريسى وجيف فى الفندق اجتمعت للبوليس حصيلة اخرى من المعلومات تضمنتها التقارير الآتية :

ـ ان جيف استأجر من شركة فولترز للنقل بالسيارات سيارة نقل زرقاء بطول عشرين قدما وعرض سبعة اقدام وارتفاع ستة ،

وانه نقلها الى جراج لدهان السيارات حيث دهنت بلون معدنى رمادي ... وفى اليوم التالي نقل السيارة الى جراج آخر فى جهة نائية حيث اتفق مع صاحبه على تقوية أرضية السيارة لكى تتحمل شحنة من « الحديد الخردة » على حد زعمه لصاحب الجراج على أن يتسلم السيارة بأقرب وقت ... وعندما اعترض صاحب الجراج لقصر المدة التى أمهله جيف لاتمامها فى موعد غايته يوم الخميس ، لم يقبل الرجل الا بعد أن وعده جيف بمضاعفة الاجر ...

ــ وأن تريسى قصدت الى قناة « أودشانز » الملاحية حيث أمضت نصف ساعة فى حديث مع صاحب أحد الصنادل ، حيث اتفقت معه على استئجار الصندل لمدة أسبوع اعتبارا من يوم الجمعة للقيام برحلة عائلية مع زوجها للنزهة ...

ــ وأن الحمامة التى كانت تريسى قد اتفقت على شرائها من محل بيع طيور الزينة والاسماك الملونة قد أرسلت اليها على الفندق فى قفص ، ولما سئل .. صاحب المحل عن نوع الحمامة هل هى من النوع العادى أو من الحمام الزاجل قرر البائع انها من النوع الاول ، مؤكدا انه اصطادها بنفسه قبل يوم واحد من منطقة فونداپارك ، محط نزول أسراب الحمام ...

ــ وانه فى اليوم الذى عهد فيه جيف بالسيارة الى جراج الدوكو استأجر فى حى « أودكفلك » النائى جراجا صغيرا نقل اليه ستة صناديق خشبية كبيرة فارغة مكتوبا عليها « آلات » ...

وبعد ان اتضحت معالم المؤامرة على هذا النحو قال المفتش فان دورين فى الاجتماع الحاسم الذى عقده مع مساعديه بحضور دانييل كوبر : ان كل الاجزاء قد اكتملت فى الصورة ... فالمتهمان أصبحا يعرفان موعد وصول السيارة المؤمنة الحقيقية الى بنك آمرو ، وقد خططا لوصولهما الى البنك قبل هذا الموعد بنصف ساعة ، وعندما تصل تلك السيارة الحقيقية يكونان قد استوليا على الشحنة وانطلقا بها ... وبعد ابتعادهما عن البنك بمسافة محدودة ينزويان بالسيارة فى شارع جانبى لتغطيتها أوماتيكيا بغطاء قماش مكتوب عليه « بيرة هنيكن » ، كما يتضح من هذه الصورة الفوتوغرافية التى حصل عليها رجالنا فى تحرياتهم المتواصلة ...

وعندئذ سأل أحد المخبرين : وهل عرفنا ياسيدى المفتش كيف

خطط المشتبه فيهما لنقل شحنة الذهب الخام الى خارج هولندا !.
فاشـــار فان دورين الى الصوره التى تبدو فيها تريسى على الصندل قائلا : اولا ، بواسطة الصندل ... ان هولندا تغطيهـا شبكة متقاطعة من القنوات والممرات المائية حيث يندمج الصندل في عداد العشرات من الصنادل الغادية والرائحة ... ثم ان هـذه الصورة الاخرى تبين الرحلة التجريبية التى قاما فيها بالسيارة على طول القناة لقياس المدة التى تستغرقها الرحلة من البنك الى الصندل، مع حساب مدة شحن الذهب الى سطح الصندل ...
وقام المفتش الى الصورة الاخيرة الكبيرة والمعلقة على الحائط الى جانب عشرات الصور التي التقطها المخبرون طوال المراقبة والمتابعة ، واردف قائلا : ومنذ يومين فقط قام جيف ستيفنز بحجز مــكان للشحن على ظهر السفينة أوريستا التى ستبحر من ميناء روتردام فى الاسبوع القادم ... وقد عرفت الشحنة بأنها صناديق آلات ، ووجهتها ميناء هونج كونج ..
ثم التفت المفتش فان دورين الى رجاله قائلا : لا بأس أيهـــا السادة ... سنقوم نحن باجراء تغيير بســيط فى خططهما .. سوف نتركهما يقومان بنقل شحنة السبائك الذهبية من البنك الى السيارة ...
والتفت على الاثر الى دانييل كوبر واختتم باسما : لقد قررنا ان نقبض على صاحبينا الماكرين متلبسين ، على حد تعبيرك المفضل يامستر كوبر ...

***

تبع مخبر سرى تريسى الى مــكتب امريــكان اكسبريس حيث راقبها وهى تتسلم طردا متوسط الحجم ، ثم عـادت الى الفندق مباشرة ...
وفى مساء يوم الخميس اجتمع المفتش فان دورين وكوبر واحد المخبرين فى غرفة التصنت فوق غرفة تريسى بالفندق ، واستمعا الى الحوار التالى :
صوت تريسى : انى اتصلت بالجراج وتم فحص سيارة النقـل نهائيا وملئها بالبنزين ... قل لى ياجيف .. عندما تنتهى عمليتنـا هذه على خير ، ما رايك فى القيام برحــلة التنقيب عن الآثار التى حدثتني عنها ؟..

صوت جيف : سأتخذ التدابير اللازمة فعلا ... من الآن فصاعدا لن نفعل شيئا سوى الراحة والتمتع بالحياة .

فغمغم المفتش دورين قائلا ، في اعتقادي أن العشرين سنة القادمة سوف تكون مكفولة لهما في ضيافتنا ، ونعم الضيافة !..

ونهض المفتش وتمضى قائلا : والآن يمكننا أن نذهب للنوم .. ان كل شيء قد تم اعداده لغد صباحا ، ومن حقنا ان ننام هذه الليلة ملء الجفون !..

لكن دانييل كوبر عجز عن النوم في ليلته ... فقد راح يتصور تريسي وقد اعتقلها البوليس وقادها الى التحقيق بغلظة ، وتخبل الفزع الذى تجلى في وجهها ... فكانت هذه الصورة مدعاة الى مزيد انفعاله وطرد النوم من عينيه ... فقام الى الحمام واستلقى في المياه الساخنة الباخرة ... لقد باتت النهاية قريبة ، ولسوف تدفع تلك الفتاة ثمن فسادها وفجورها ، كما عمل هو من قبل على ان تدفع غيرها من الفاسدات الفاجرات الثمن !. ولن يحل مساء الغد حتى يكون هو في طريقه الى موطنه ... كلا ليس موطنه ... بل شقته الخاصة ... ان موطنه كان ملاذا أمينا دافئا حيث احبته امه حبا عظيما كما لم تحب أحد آخر في الدنيا كلها !

واخيرا نهض دانييل كوبر من الحمام في فندق امستردام وتأهب للنوم وهو يناجي نفسه ؟ غدا سيكون يوم القصاص من تريسي الفاسدة الفاجرة ! ..

الفصل الثاني والثلاثون

امستردام ـ الجمعة ٢٢ اغسطس ـ الساعة ٨ صباحا

جلس دانييل كوبر واثنان من المخبرين في غرفة التصنت بالفندق يتسمعون الحديث الدائر بين تريسي وجيف اثناء الافطار ..

ـ كعك للديك ياجيف ؟.. قهوة ؟..

ـ لا .. اشكرك ..

فقال دانييل كوبر لنفسه : سيكون آخر افطار يأكلانه معا ..

ـ هل تعرف ماهو مصدر سروري ؟ .. هو رحلتنا في الصندل

ـ امامنا يوم حافل ، وتفرحين برحلة في صندل !.. لماذا ؟.

ـ لاننا سنكون معا وحدنا .. هل تظنني مهووسة ؟..

ــ جداً .. قبلة .. « ورن صوت قبلة » ..
ــ الحقيقة انني ساكون آسفة ياجيف لمفارقة هذا المكان ..
ــ انها حقا كانت أياما سعيدة .. « وضحكت تريسي مغتبطة » ..
وحلت الساعة التاسعة صباحا والحديث مازال دائرا ، حتى قال كوبر لنفسه : يجب ان يستعدا ! ... يجب أن يضعا خطة آخر دقيقة ! .
وعاد جيف يقول : عليك ياحبيبتي ان تلزمي الحذر مع صاحبة الفندق وانت تسددين حساب اقامتنا هنا .. فانني ساكون مشغولا ...
ــ لا تشغل بالك من هذه الناحية ..
ومرة أخرى قال كوبر لنفسه بعد ان أستمر الحديث فترة على هذا النحو : ما هذا الذي يثرثران به بحق الشيطان ؟.. الساعة التاسعة والنصف .. والوقت حان لخروجهما ..
وعندئذ سمع صوت نسائي غريب يتكلم بالهولندية مختلطا بالحديث الدائر بين تريسي وجيف ، فلم يتمالك كوبر أن سأل رفيقه : ما الذي يجري من تحتنا بحق الشيطان ؟..
فأجاب احد المخبرين متحيرا كزميله : لا اعرف .. جاءت خادمة الفندق الى الغرفة ، ثم اتصلت تليفونيا بصاحب الفندق وقالت انها لا تفهم ، فهي تسمع كلاما في الغرفة ، لكنها لاتشاهد احدا فيها ..
وسرعان ماانتفض كوبر قائما وهو يقول : ماذا ؟! .
وهبط على السلالم طائرا يتبعه المخبران ، واندفع معهما الى غرفة تريسي ... فاذا هي خالية ، باستثناء الخادمة .. ووقعت انظارهم فوق المنضدة الصغيرة على مسجل كان لايزال دائرا ... وانبعث منه صوت جيف قائلا : هل لا تزال القهوة ساخنة ؟ ..
فردت تريسي : هي فاترة فعلا ...
راح كوبر والمخبران يحملقان غير مصدقين .. وقال احد المخبرين متلعثما :
ــ انا ... انا لا افهم !..
فهتف كوبر بحدة : ماهو رقم البوليس للطوارىء ؟..
وبعد ان ذكر له الرقم اندفع الى التليفون وقال صارخا والمسجل لا يزال مستمرا :
انا دانييل كوبر ! ... ابحث عن المفتش فان دورين حالا وابلغه

أن جيف وتريسي اختفيا ! .. اطلب منه تفتيش الجــراج ليرى ان كانت سيارة النقل قد خرجت !.. انا فى طريقى الى بنــك آمرو ! ..
والقى بالسماعة فى عنف وهرع الى الخارج ..

***

قال المفتش فان دورين :
ــ كل شيء تمام .. ان سيارة النقل خرجت من جراجهما .. وهما الآن فى الطريق الى هنا ..
كان فان دورين وكوبر واثنان من المخبرين مرابطين فى نقطــة مراقبة بوليسية فوق سطح مبنى مواجه لبنك آمرو .. وما لبث فان دورين ان مضى يقول :
ــ ربما قررا تقديم موعد خطتهما بعد أن شعرا بانهما محــل التصنت ... لكن اطمئن ياصديقى ... انظر !..
ودفع كوبر الى مكان منظار مكبر فوق السطح ... فشوهد رجل فى زى السعاة منهمكا فى تلميع لافتة البنك النحاسية ، وكناس يقوم بتنظيف الشوارع ، وبائع جرائد على الناصية ، وثلاثة عمال يتولون اصلاح احد المرافق ... وكانوا جميعا مزودين باجهــزة لاسلكى من نوع « ووكى توكى » .. وبعد أن قال فان دورين أن هؤلاء جميعا من رجال البوليس ، استطرد :
ــ لا تقلق يامستر كوبر ... ان السبائك الذهبية لاتزال موجودة فى البنك فى أتم أمان ... ان الطريقة الوحيدة لوضع أيديهمـا على السبائك هى الحضور لاخذها .. وعند لحظة دخولهما الى البنك سيكون منفذا الشارع تحت الحصار المشدد ... ولا سبيل امامهما للهروب ...
ونظر المفتش فى ساعته ، ثم أردف :
ــ ان سيارة النقل ستظهر للعيان فى اية لحظة الآن ..

***

وفى داخل البنك كان التوتر يتزايد ... لقد اخطر موظفــو البنك بالموقف ، وصدر الامر للحراس بالمساعدة فى نقل السـبائك الذهبية الى السيارة المصفحة عند وصولها ... وكان على كل فرد ان يبذل تعاونه كاملا ...
وفوق السطح كان المفتش دورين يسأل للمرة العاشرة :

ـ هل من اشارة عن السيارة الملعونة ؟..
ـ لا شيء ...
ونظر مخبر سرى في ساعته ثم قال :
ـ هناك تأخير لمدة ١٣ دقيقة عن الموعد .. واذا ...
وعندئذ دبت الحياة في جهاز اللاسلكي « ووكى توكى » :
ـ ايها المفتش ... ان سيارة النقل ظهرت توا !.. وهي متجهة الى البنك ! .. ويمكنكم رؤيتها من السطح في خلال دقيقة !..
وفجأة تكهرب الجو ..
وتكلم المفتش فان دورين بسرعة في الجهاز :
ـ جميع الوحدات انتباه ! .. السمك الآن في الشبكة ! .. دعوه يسبح في داخلها !..
وتقدمت سيارة نقل رمادية مصفحة الى مدخل البنك ثم توقفت وفيما كان دانييل كوبر وفان دورين يراقبان ، ترجل من السيارة اثنان من حرس الامن في الزى الرسمي واتجها الى البنك.
وقال دانييل كوبر بصوت عال :
ـ اين هى ؟ .. اين ترسي هويتني ؟..
فرد المفتش فان دورين مؤكدا :
ـ هذا لا يهم ... انها لن تكون بعيدة عن سبائك الذهب ..
وحتى لو كانت بعيدة ، كما فكر كوبر ، فليس لهذا اهمية .. ان التسجيلات الصوتية ستكفى لادانتها !..
وراح كوبر وفان دورين يراقبان من مرصدهما فوق سطح المبنى موظفى البنك وهم يساعدون الحارسين الرسميين في نقل السبائك الذهبية الى السيارة المصفحة ... لقد استغرقت هذه العملية ثماني دقائق ... وعندما اغلق باب السيارة من الخلف وهم الحارسان بالركوب في المقعد الامامي ، صاح المفتش فان دورين في جهاز اللاسلكي :
ـ كل الوحدات تحاصر !...
وسرعان ما اشتد الهرج ... واندفع ساعى البنك ، وبائع الجرائد ، وعمال الاصلاح ، وحشد من المخبرين الآخرين ـ اندفعوا يطوقون السيارة شاهرين اسلحتهم ... وحوصر الشارع من الناحيتين ...
والتفت المفتش فان دورين الى دانييل كوبر باسما وقال :

ـ هل هذا التلبس الذى طالما طلبته يكفيك ؟.. هيا بنا نختتم العملية ...

وقال كوبر لنفسه :

ـ انتهى أخيرا كل شيء ! ..

واسرعا بالهبوط الى الشارع ... وكان الحارسان الرسميان واقفين فى مواجهة الحائط رافعى الايدى وقد طوقتهما دائرة من المخبرين ... وشق دانييل كوبر المفتش فان دورين طريقهما الى قلب المعمعة ... وقال فان دورين :

ـ يمكنكما ان تستديرا الآن ... انتما مقبوض عليكما !

فاستدار الحارسان لمواجهة الجمع ممتقعى الوجوه ... وسرعان ما حملق دانييل كوبر والمفتش فان دورين فيهما مصعوقين .. فقد كانا غريبين تماما ...

وسأل المفتش فان دورين :

ـ من .. من انتما ؟ ..

فعالج احدهما الكلام متلعثما :

ـ اننا حارسا الامن من قبل الشركة .. لا تطلقوا النار !.. بالله لا تطلقوا النار ..

التفت المفتش فان دورين الى كوبر وقال فى نبرات هستيرية :

ـ ان خطتهما فشلت ... فقاما بالقائها ...

اما دانييل كوبر لقد شعر بغصة فى حلقه وغثيان فى معدته ، وعندما استطاع الكلام قال بصوت مختنق :

ـ كلا ... لم يفشل شيء ...

ـ ما الذى تقوله ؟!

ـ ان السبائك الذهبية لم تكن ابدآ هدفهما .. ان هذه اللعبة كانت خداعا وتمويها وتحويلا للأنظار عن شيء آخر !..

ـ هذا مستحيل !.. اعنى سيارة النقل المستاجـــرة بكل اجراءاتها ، والصندل ، والصور الفوتوغرافية لباقى المراحل ؟!..

ـ الا تفهم ؟ .. انهما كانا يعرفان ... كانا يعرفان طول الوقت اننا نراقبهما ! ..

فقال المفتش فان دورين وقد غاض الدم من وجهه :

ـ أواه يا الهى !.. وأين هما ؟..

الفصل الثالث والثلاثون

وصلت تريسي وجيف الى مصنع تقطيع الماس في حي كوستر ..
كان جيف يضع على وجهه لحية وشاربا وقد غير شكل خديه وانفه بنوع خاص من الاسفنج وارتدى ملابس رياضية وحمل كيسا مثنيا ... وكانت تريسي تلبس « باروكة » سوداء وملابس امرأة حامل وتضع نوعا من « الماكياج » الثقيل ونظارة شمسية قاتمة .. وكانت تحمل حقيبة « سمسونايت » كبيرة ولفافة مستديرة مكسوة بورق بني ... وقد دخل الاثنان الى حجرة الاستقبال وانضما الى فوج من السياح القادمين بأتوبيس كانوا ينصتون الى مرشد يقول لهم :

— ... والآن سيداتي وسادتي ، ارجو أن تتبعوني لكي افرجكم على عملية تقطيع الماس وحيث تجدون الفرصة لشراء بعض ماسنا الجميل ! ...

وفي اثر المرشد دلف الفوج الى الابواب المؤدية الى داخل المصنع .. فتقدمت تريسي معهم ، في حين تخلف جيف عنهم ... وعندما ابتعد الفوج أسرع جيف يهبط درجات سلالم مؤدية الى « البدروم » ... ثم فتح الكيس المثني وأخرج « أوفراول » مبقعا بالزيت وعلبة صغيرة بها ادوات ... وبعد أن لبس«الافراول» تقدم الى صندوق المصهر الكهربائي ونظر في ساعته ..

أما تريسي فقد تلبثت مع الفوج وهو يتنقل من حجرة الى حجرة بينما كان المرشد يفرجهم على المراحل المختلفة التي يمر بها تشكيل احجار كريمة مصقولة من الماس الخام ... وبين فينة وأخرى كانت تريسي تنظر الى ساعتها ... كان الطواف قد استغرق خمس دقائق زيادة عن الموعد المتفق عليه ، وتمنت لو مضى المرشد في طوافه بأسرع من هذا ..

وبعد انتهاء الطواف أخيرا ، وصل الفوج الى قاعة العرض الكبرى حيث تقدم المرشد الى « الفترينة » الزجاجية القائمة فوق القاعدة يحف بها حبل دائري على مبعدة ...

وراح المرشد يعلن للفوج متباهيا :

ـ في هذه « الفترينة » توجد ماسة « لوكولان » ، وهي واحدة من أثمن الماسات في العالم ... وقد اشتراها ذات مرة ممثل مسرحي مشهور لزوجته نجمة السينما ... وتقدر قيمتها بعشرة ملايين دولار ، وهي محروسة بأحدث ..

وانطفأت الانوار فجأة ... وفي الحال انطلق الانذار واغلقت النوافذ والابواب المعدنية اتوماتيكيا ، فسدت كافة المنافذ باحكام واخذ بعض السياح يصرخون ...

وارتفع صوت المرشد عاليا بين الصراخ :

ـ من فضلكم .. لا لزوم للانزعاج ! ... هو مجرد خلل كهربائي وبعد دقيقة سيعمل المولد الكهربائي الاحتياطي .

وعادت الانوار الكهربائية قبل أن يتم كلامه ..

فقال المرشد يطمئن السياح :

ـ هل رأيتم ؟ .. لا يوجد مايزعج ..

وقال سائح الماني مشيرا الى المصاريع الفولاذية :

ـ ما هذه ؟ ...

فتولى المرشد البيان قائلا :

ـ احتياطات امنية ...

واخرج من جيبه مفتاحا غريب الشكل وأدخله في ثقب في الحائط وأداره ، وسرعان ما ارتفعت المصاريع الفولاذية عن النوافذ والابواب مرتدة الى مواضعها ...

ثم رن جرس تليفون على مكتب قريب ، فرفع المرشد السماعة وتكلم :

ـ أنا هندريك ... شكرا لك ياكابتن .. لا .. كل شيء على مايرام .. كان مجرد انذار خاطيء ـ ربما بسبب توقف قصير للتيار الكهربائي .. وسأعمل على فحصه في الحال ... حاضر ياسيدي ..

وأعاد السماعة والتفت الى الفوج السياحي قائلا :

ـ لكم أصدق اعتذاري سيداتي وسادتي ... مع وجود مثل هذه الماسة الثمينة هنا لا يمكن التهاون ازاء اي طاريء .. والآن ، لمن يريد منكم أن يشتري شيئا من ماسنا الجميل ...

وانطفأت الانوار مرة ثانية ... وفي الحال رنت أجراس الانذار وانطبقت المصاريع الفولاذية من جديد .

وصرخت امرأة بين الفوج :
ـ هيا بنا نخرج من هنا ياهارى !..
فانتهرها زوجها مزمجرا :
ـ هلا أقفلت فمك ياديانا .
وفى « البدروم » كان جيف واقفا امام صندوق المصهر الكهربائى يصغى الى صراخ السياح فوقه ... وقد انتظر بضع لحظات ، ثم أعاد توصيل التيار الكهربائى .. فانبعثت الانوار ساطعة ..
ولعلع صوت المرشد فوق الضجيج والهرج :
ـ سيداتى وسادتى ! .. هو مجرد خلل كهربائى ..
واخرج مفتاحه مرة اخرى ووضعه فى ثقب الحائط ، فعادت المصاريع الفولاذية سيرتها الاولى ..
ورن جرس التليفون .. فأسرع اليه المرشد ورفع السماعة قائلا :
ـ أنا هندريك .. كلا ياكابتن .. حاضر .. سنعمل على أصلاح الخلل بأسرع مايمكن .. شكرا ياسيدى .
وفتح باب فى القاعة ودخل جيف حاملا علبة الادوات وقد مال « بيريه الشغل » فوق راسه الى الخلف .. وشق طريقه بين الفوج الى ان وصل الى المرشد وساله :
ـ ماهو المشكل ؟ .. ان احدهم أبلغ عن وجود خلل كهربائى ..
فتولى المرشد البيان قائلا :
ـ ان الانوار تطفأ وتضاء أكثر من مرة .. أرجوك ان تعمل على اصلاح الخلل بسرعة ..
واتجه الى السياح من جديد وهو يتكلف الابتسام قائلا :
ـ لماذا لا ننتقل الى هذه « الفترينات » هناك حيث يمكنكم انتقاء ماسات جميلة بأثمان معقولة ؟ ..
وبينما أخذ السياح يتقدمون الى « الفترينات » ، عمد جيف وهم عنه غافلون فى تزاحمهم الى اخراج اداة اسطوانية صغيرة من جيبه ونزع مشبكها والقى بها خلف القاعدة التى تحمل ماسة « لوكولان » ... وفى الحال اخذ الجهاز الاسطوانى الصغير ينفث دخانا وشررا ..
وعندئذ نادى جيف المرشد :

ـ يا اخ ! .. الخلل هنا ! .. في السلك الكهربائي الممدود تحت الارضية ! ..
وصرخت امرأة :
ـ النار ! ..
وبدوره صاح المرشد :
ـ من فضلكم كلكم ! .. لا لزوم للفزع !.. الزموا الهدوء ! .
والتفت نحو جيف وقال بصوت كالفحيح :
ـ اصلحه ! .. اصلحه !..
فقال جيف في يسر :
ـ ليس مشكلة ...
وتقدم نحو الحبال المخملية التي تحف بالفترينة ذات القاعدة .. فاستوقفه المرشد قائلا :
ـ لا ... لا يمكن ان تقترب من « الفترينة » ! ..
فهز جيف كتفيه قائلا :
ـ احسن لي ! .. اصلحها انت !..
وانثنى لكي يخرج ..
في هذه الاثناء كان الدخان يتدفق متكاثفا ... وبدأ الفــزع يستولي على السياح من جديد .. فقال المرشد لجيف مستعطفا :
ـ انتظر ! .. دقيقة واحدة !.
واسرع الى التليفون وادار الرقم قائلا :
ـ ياكابتن .. انا هندريك !.. لابد ان ارجوك وقف تشــغيل كل اجهزة الانذار ... عندنا مشكلة صغيرة ! .. حاضر ياسيدي .
وتلفت الى جيف سائلا :
ـ ماهي المدة المطلوبة للتوقف ؟..
فأجاب جيف :
ـ خمس دقائق ..
فردد المرشد في التليفون :
ـ خمس دقائق .. شكرا ياسيدي ..
واعاد السماعة قائلا :
ـ ستتوقف اجهزة الانذار خلال عشر ثوان .. بالله اسرع !.. اننا لا نوقف الانذار ابدا ! ..
ـ وانا ياصديقي ليس لي اكثر من يدين !..
وانتظر جيف عشر ثوان .. ثم تقدم وتخطى الحبال ويمم شطر

القاعدة ، بينما أشار هندريك الى الحارس المسلح ، فأومأ هذا برأسه وركز عينيه على جيف ...

اخذ جيف يعمل خلف القاعدة ... والتفت المرشد المخذول الى الفوج السياحي قائلا :

ــ والآن سيداتي وسادتي ، كما كنت أقول لكم ، عندنا هنا مجموعة مختارة من الماس الجميل ، بأسعار مخفضة ... ونحن نقبل الشيكات السياحية ، فضلا عن الدفع نقدا بالطبع ...

كانت تريسي واقفة أمام منصة البيع ، فقالت بصوت عال :

ــ هل تشترون الماس ؟..

فحدق اليها المرشد قائلا : ماذا ؟..

ــ ان زوجي منقب عن المعادن ... وقد عاد توا من جنوب افريقيا ويريد أن أبيع هذه الماسات ...

وأثناء الحديث فتحت تريسي الحقيبة « السمسونيت » التي كانت تحملها ، ولكنها امسكت بها بالمقلوب ، واذا سيل من الماس المتلألىء يتدفق الى الارض ويتناثر فوقها ، حتى صاحت تريسي :

ــ ماساتي ! .. ساعدوني !..

حدثت لحظة صمت شامل ، ثم اعقبها هرج شديد ... فقد استحال الجمهور المهذب الى غوغاء .. وراحوا يزحفون على أيديهم وركبهم ويدفعون بعضهم بعضا لافساح الطريق لانفسهم وهم يتصايحون :

ــ أنا فزت بماسة ! ..

ــ اخطف غرفة ياجون !..

ــ دع هذه ... أنا اخذتها قبلك !..

ووقف المرشد والحارس عاجزين عن الكلام .. بل لقد قذف بهما جانبا في بحر من هذه الكتلة البشرية المتدافعة الجشعة وهم يملأون جيوبهم وحقائب أيديهم بالماس المتناثر ..

ثم صرخ الحارس فيهم :

ــ الى الخلف ! .. كفوا عن هذا !..

وفي اللحظة التالية طوحوا به على الارض ..

وفي هذه اللحظة دخل فوج من السياح الايطاليين قدم توا بأوتوبيس مليء ، وعندما شاهدوا مايجرى ، انضموا الى الفوج الاول المتقاتل على الغنيمة ...

وحاول الحارس أن يقوم على قدميه لاطلاق اجراس الانذار ، غير

ان هذا المد البشري جعل هذه المهمة مستحيلة ... فقد داسوه بالاقدام ... وانقلبت الدنيا فجأة الى ساحة مجنونة ... كان كابوسا بدا ان ليس له من نهاية ..

وعندما افلح الحارس المشدوه أن يتحامل على قدميه في النهاية ، شق طريقه في غمار الحشد المجنون ، ووصل الى القاعدة ، ثم فقد اختفت جوهرة « لوكولان » ..

كما اختفت ايضا المرأة الحامل ، والكهربائي ...

***

ازالت تريسي تنكرها في احدى مقاصير مغسل عمومي على مبعدة من مصنع تقطيع الماس ، حاملة معها اللفافة المحزومة بورق بني ، واتجهت الى مقعد في المتنزه المجاور ... لقد سار كل شيء على احسن واكمل مايرام ... وعندما فكرت في الحشد الغوغائي الذي راح يتدافع ويتقاتل للفوز باحجار ماس زائفة لم تتمالك ان ضحكت عاليا ...

ثم لاح لها جيف يقترب ، مرتديا بدلة رمادية قاتمة وقد اختفت اللحية والشارب من وجهه ... فوثبت قائمة .. وتقدم منهما جيف وهو يقول باسما :

ـ احبك ! ..

واستل ماسة « لوكولان » من جيبه واعطاها لتريسي قائلا :

ـ اطعمي هذه لصديقتك ايتها الحبيبة !.. ساراك فيما بعد ..

وجعلت تريسي تراقبه وهو يبتعد وقد لمعت عيناها ... انهما الآن قلب واحد في جسدين .. ولسوف يستقل كل منهما طائرة منفردة ثم يتلاقيان في البرازيل ... وبعدها سوف يبقيان معا ويتلازمان مدى حياتهما ..

وتطلعت تريسي حولها لتتاكد أن احدا لا يراقبها ، ثم فككت اللفافة التي كانت تحملها واخرجت منها قفصا صغيرا به حمامة رمادية ...

كانت عندما راقبها المخبرون السريون وهي تدخل الى مكتب « امريكان اكسبريس » منذ ثلاثة ايام قد اخذت الحمامة الواردة في القفص الى غرفتها بالفندق واطلقت الحمامة الاخرى من النافذة .. والان وهي في الحديقة فقد اخرجت من حقيبة يدها كيسا صغيرا من « الشامو ا » ووضعت الماسة بداخله .. ثم اخرجت الحمامة الرمادية من القفص وأمسكت بها ريثما ربطت بحرص كيس

« الشاموا » الى ساق الحمامة ، وقالت لها :
ــ يابنيتي الجميلة « مارجو » ! .. خذيها الى موطنك من حيث جئت ! ..
وفجاة ظهر شرطي كانما انشقت عنه الارض امامهــا وبادرها قائلا :
ــ امسك ! .. ماذا تفعلين ياهذه ؟..
كاد قلبها يثب من مكانه ... وغمغمت :
ــ ماهي .. ماهي المشكلة ، ياحضرة الضابط ؟..
كانت عيناه على القفص ، ينظر في غضب .. وقال :
ــ انت تعرفين ماهي المشكلة ... هو شيء ان تطعمي الحمام هنا، ولكنه شيء مخالف للقانون أن تصيدي واحدة وتضــعيها في القفص ! ... والآن ، ماعليك الا أن تطلقي هذه الحمامة قبل أن اقبض عليك ! ..
ابتلعت تريسي ريقها وتنفست عميقا ، وقالت :
ــ مادمت تقول هذا ياحضرة الضابط ..
ورفعت جناحي الحمامة « مارجو » وطوحت بها في الهواء .. واشرق محياها بابتسامة عذبة وهي تراقب الحمامة تحلق الى اعلى واعلى .. وقد قامت بدورة مرة واحدة ، ثم اتجهت في طريقهــــا الى لندن ، على بعد ٢٣٠ ميلا غربا .. ان الحمــامة الزاجلة تطير بمعدل اربعين ميلا في الساعة ــ كما اخبرها جانترهارتوج ــ وهكذا فان « مارجو » سوف تصل اليه في موطنها في غضون ست ساعات.
وقال لها الشرطي محذرا :
ــ لا تحاولي أن تفعلي هذه مرة ثانية !..
فاجابت بصدق واخلاص :
ــ لن افعل ! .. ابدا ياحضرة الضابط !..

***

في وقت متأخر عصر هذا اليوم ، دخلت تريسي الى مطار تشيفول الهولندي واتجهت الى المدخل الذى تستقل منه الطائرة المتجهة الى البرازيل ... ووقف دانييل كوبر في احد الاركان يراقبها وقــد امتلأت عيناه مرارة ... ان تريسي هويتني قد سرقت جوهــرة « لوكولان » .. لقد عرف هذا في اللحظة التي سمع فيها التقــرير البوليسي ... كان هذا هو اسلوبها ، الجسور ، والخصب الخيال

ومع ذلك لم يكن ثمة من سبيل لاى عمل حيال هذا ..
لقد اطلع المفتش فان دورين حارس المتحف على صورتى تريسى وجيف الفوتوغرافيتين ، فنفى نفيا قاطعا انه راى اى واحد منهما ان اللص كانت له لحية وشارب ، وكان أنفه وخداه ممتلئين أكثر ، وكانت السيدة التى جاءت بحجارة الماس الزائف حاملا وسوداء الشعر ...

ثم انه لم يعثر على اثر للماسة المسروقة ... فان جيف وتريسى فى هيأتهما الطبيعية قد خضعا لتفتيش دقيق مع امتعتهما فى المطار ..

وقد اقسم المفتش فان دورين امام كوبر قائلا :

ــ ان الماسة لا تزال فى امستردام ! .. ولسوف نجدها !..

ولكن كوبر قال لنفسه مغضبا : كلا ... لن تجدها .. انها ابدلت حمامة بحمامة ! .. ان الماسة تم تهريبها الى خارج هولندا بواسطة حمامة زاجلة !..

ووقف دانييل كوبر مقهورا مدحورا يراقب تريسى وهى لتجه الى مدرج الطائرة ... انها اول انسان تهيأ له ان يهزمه .. ولسوف يذهب الى جهنم بسببها ، بعد عجزه عن اقتناصها وتقديمها الى العدالة ...

وعندما وصلت تريسى الى الباب باب المدرج ترددت برهة ، ثم التفتت ونظرت الى عينى كوبر رأسا ... لقد كانت تعلم طول الوقت انه ظل يتبعها فى كافة اقطار اوروبا مثل كلب صيد لا يكف عن طريدته ... كان فى هيأته سمات غريبة ، مستنكرة ومروعة ، وفى نفس الوقت مؤثرة .. ولم تتمالك تريسى ان شعرت بالرثاء له على نحو غير مفهوم ... ثم انما هى تلوح له بلفة صغيرة مودعة ... وانثنت لكى تستقل الطائرة

فما كان من دانييل كوبر الا ان وضع يده على خطاب الاستقالة فى جيبه ...

***

جلست تريسى فى مقعدها بالطائرة المجاور للممشى فى الدرجة الاولى ... وان هى الا ساعات معدودة حتى تكون مع جيف ... ولسوف يعقد زواجهما فى البرازيل ... ولن تكون هناك مغامرات اخرى ، وان ذهبت تناجى نفسها : لكننى لن اشتاق للمغامرات .. فان الحياة مع جيف فيها كل الاثارة .

ـ من اذنك ! ..

تطلعت تريسى الى المتكلم ... شاهدت رجلا متوسط الســـن منتعشا تبدو عليه امارات الانحلال واقفا يشرف عليها ... ثم أشار الى المقعد المجاور للنافذة قائلا :

ـ هذا مكانى ياحلوة ! ...

فانثنت تريسى جانبا لكى يمر امامها ، وعندما انزلق طرف فستانها نظر الى ساقيها معجبا ...

وقال لها غامزا بطرف عينه :

ـ هذا يوم رائع للسفر بالطائرة ...

اشاحت تريسى بنظرها عنه ... فلم تكن لها رغبة فى التحدث مع رفيق سفر .... اذ كان لديها الكثير مما تحب أن تفكر فيه .. فأمامها حياة جديدة ممتدة .. ولسوف تختار هى وجيف مــكانا ينعمان فيه بحياة الاستقرار ويصبحان مواطنين مثاليين يحظيــان من الناس باوفى الاحترام والتقدير تحت اسم مستر ومسز جيف ستيفنز ..

وما لبث رفيقها فى السفر ان وكزها قائلا :

ـ مادمنا ياسيدتى الصغيرة سنكون رفيقى سفر فى هــــذه الرحلة ، فلماذا لا نتعارف ؟ ... أنا مـــكسميليان بيير بونت ، المليونير العالمى ! ..

تمــت

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٢٤١٤ / ٨٦

الترقيم الدولى ١ ـ ٢١٦ ـ ١١٨ ـ ٩٧٧ ISBN

٧٥ قرشا

هذه الرواية

مؤلف هذه الرواية الجديدة التى صدرت منذ شهور معدودة والتى تترجم الى العربية لأول مرة هو أشهر مؤلفى روايات الخفاء والغموض فى العصر الحديث حتى لُقِّب بأستاذ الرواية الجنائية واصبحت رواياته أوسع الروايات مبيعاً وانتشاراً وترجمت الى أكثر من ثلاثين لغة . وهو يقدم لنا فى هذه الرواية بطلة تفردت بالجمال والذكاء والدهاء والاعصاب الباردة البتارة ، وقعت ضحية لملوك الجريمة المنظمة من عتاة (المافيا) الذين زجوا بها فى السجن عن جريمة ملفقة ، ولكن عزيمتها الجبارة هيأت لها التحرر من اغلال الأسر لكى تتصدى للانتقام من ظالميها القساة . غير أنها لاتلبث ان تخوض معارك اخرى فى ساحة اوسع شملت نيويورك ولندن وباريس ومدريد وامستردام دوخت فيها دوائر البوليس المحلى والدولى (الانتربول) فى وقائع ومغامرات مذهلة مما يجعل من البطلة اسطورة فى عالم البطلات .


روائع مجلة
الابتسامة
من الكتب
المعالجة
والصفحات الفردية